هديتك مع العدد
براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة
AL- WA E I AL- ISLA MI

العدد ٣٧٠ - جمادى الآخر ١٤١٧هـ - أكتوبر ١٩٩٦م



نفق الظلام... اعتداء يهودي جديد

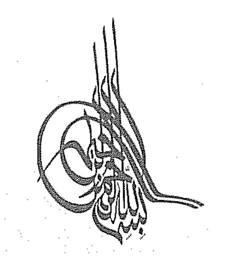
الحرية في نظر الإسلام

الأسرى عبر التاريخ بين الضمير العربي والقانون



الأسرى والمفقودون قضية وطنية وإنسانية كبرى

اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمفقودين



الوعي الإسلامي
AIWEI AL-ISLAMI

اسلامية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٧٠ - السنة الثانية والثلاثون
جمادى الآخر ١٤١٧هـ - أكتوبر ١٩٩٦م

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
بدر سليمان القصار
Bader Al-Qassar

المشرف الاداري و المالي
ADMINISTRATOR & FINANCIAL DIRECTOR
خالد عبد اللطيف بو قماز
Khaled.A.Buqammaz

الاشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
S. M. Saleh

المراسلات :

مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 - الكويت
كافة المراسلات باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami

P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097
KUWAIT TEL: 965-2487210 -
FAX: 965-2431740

هـاتف:
٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

وكيل التوزيع:
شركة الخليج لتوزيع الصحف
ص.ب: ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت
برقيا نيوزبيبر

كلمة العدد

الحق كلٌ لا يتجزأ

المواجهات الأخيرة التي حصلت في القدس العربية المسلمة وسائر الأراضي المحتلة في أعقاب قيام الصهاينة بحفر النفق تحت المسجد الأقصى المبارك ليست أمراً مفاجئاً أو غريباً بل هي قضية متوقعة وقابلة للتكرار في أية لحظة باعتبارها إفراز طبيعي لقضية مزمنة تحاول أطراف عديدة حلها عكسياً وبشكل غير منصف أو عادل!! ترى ماذا نتوقع من إنسان اغتصبت أرضه ودُمّر منزله وانتهكت حرمة مقدساته وعُذّب وشُرّد في شتى أرجاء الأرض بل هو مازال يتعرض كل يوم لمثل هذه الاعتداءات الظالمة؟ هل نتوقع منه أن يسكت على هذا الضيم ويسلم للطرف الآخر المعتدي بشرعية ممارساته ويتنازل له عن كافة حقوقه؟ إذا كان الطرف المعتدي جاد في الوصول إلى حل شامل وعادل فما عليه إلا أن يعيد الحقوق المغتصبة كلها لابنائها الأصليين فهذه الحقوق مجتمعة بما فيها القدس الشريف هي القضية الجوهرية التي ينبغي عدم إغفالها والانسياق وراء قضايا وأحداث جانبية فالحق كلٌ لا يتجزأ. وما على المسلمين إلا أن يتحدوا وتتآلف قلوبهم وعندها ينالون حقوقهم كاملة غير منقوصة ويوفرون على أنفسهم عناء الشجب والاستنكار والتنديد بحادث النفق وغيره من الأحداث وصدق الشاعر إذ يقول:

يا ألف مليون مخلوق لو ائتلفوا
لزلزلوا الكون دانيه وقاصيه

الوعي الإسلامي

الإشتراكات

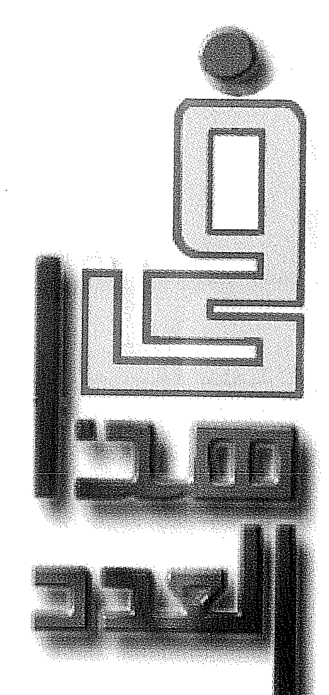
داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير - للمؤسسات ١٠ دنانير
الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية (أو مايعادلها)
للمؤسسات ١٢ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها)
دول العالم: للأفراد ١٠ دنانير (أو مايعادلها)
للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها)

* ترسل الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

الكويت ٣٥٠ فلسا - السعودية ٤ ريالات - البحرين ٣٠٠ فلس
قطر ٤ ريالات - الامارات ٤ دراهم - سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة
الاردن ٥٠٠ فلس - ج.م.ع جنيه مصري واحد - السودان ٥ جنيهات
موريتانيا ١٢٠ اوقية - تونس دينار واحد - الجزائر ٥ دنانير
اليمن ٥ ريالات - لبنان ١٠٠٠ ليرة - سوريا ٢٠ ليرة
المغرب ٦ دراهم - ليبيا ٥٠٠ مليم - اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله
أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما

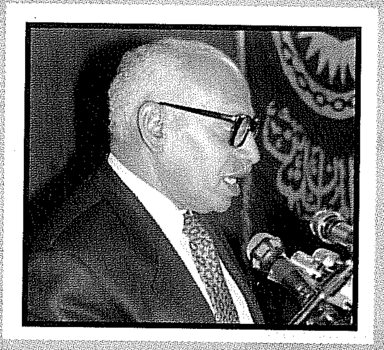
طبع في مطابع دار السياسة





اقرأ في الأعداد القادمة

- همومُ مدارسنا الاسلامية في الخارج
  د. عبد الصبور فاضل
- العبودية وقضية التوحيد
  عطية فتحي الويشي
- لتربية المجتمعية في ضوء القرآن والسنة
  د. مصطفى رجب



- حوار مع الدكتور أحمد كمال ابو المجد

عبد الحي محمد

النميمة بين الاسترسال والاستئصال

٣٨

النميمة مرض اجتماعي خطير تناوله الاسلام بالبحث والتشخيص والعلاج حتى يخلص المجتمع من شروره وآثامه ونتائجه المدمرة(٣٨)

المرأة في ظلال الإسلام الوارفة

٧٠

خصوم الاسلام وجهوا سهاماً مسمومة لمبادىء الاسلام وأثاروا حولها كثيراً من الشبهات ناسين أو متناسين ان المرأة في ظل الاسلام وصلت الى مكانة لم تصلها في ظل الحضارات السابقة أواللاحقة(٧٠)

الحرية في نظر الإسلام

٧٣

الحرية في الإسلام لايمكن ان تتحقق إلا اذا عنت الوجوه لبارئها وانعتقت من أغلال التقليد والاتباع وتحكمات البشر وأهوائهم..

ترى كيف خط الاسلام لاتباعه حدود حريتهم في الرأي والعقيدة والحياة الحرة الكريمة؟

مبادىء علم النفس الجنائي في الشريعة الإسلامية

علم النفس الجنائي في الفكر المعاصر علم تخصصي يدرس مصادر الاجرام واسبابه بهدف التصدي لظاهرة الجريمة، والإسلام سبق كافة النظريات في سبر أغوار هذا العلم وفق أصول ومبادىء ثابتة ينبغي إلا يحيد عنها عالم النفس الجنائي في بحوثه ودراساته.

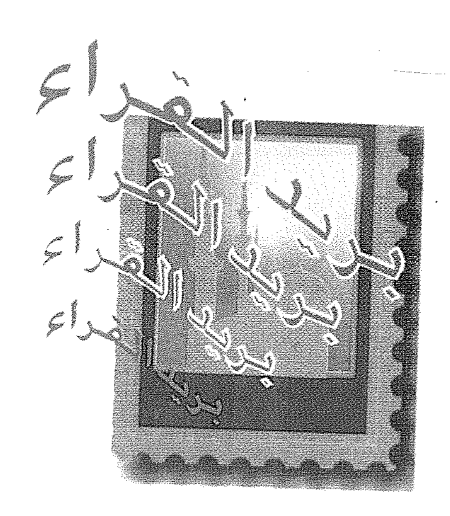


المذهب المالكي

٥٩

الموطأ أهم مؤلفات الإمام مالك بن أنس فهو الذي يجمع أحاديثه ومروياته عن السلف وفقهه واجتهاداته وقد تتالت شهادات المنوهين به منذ عهد تأليفه إلى عصرنا هذا.

الفهرس



ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

أخطاء شائعة

من الخطأ أن يُقال لمن مرض: اصفرّ وجهه، واحمرّ خده من الخجل، لأن اللغويين يقررون إنما يُقال: اصفرّ واحمرّ في اللون الخاص الذي يكون متمكناً ومستقراً فأما إذا كان اللون عارضاً لسبب يزول فيقال: فلان اصفارّ وجهه، واحمارّ خده حتى يكون فرقاً بين اللون الثابت واللوّن العارض، جاء في الحديث: فجعل يحمارُّ مرة ويصفارُّ أخرى.

من الخطأ أن يطلق السوقة اسم لأهل السوق، ولكن السوقة الرعية سموا بذلك لأن الملك يسوقهم إلى ما يريد، ويستوي لفظ الواحد والجماعة منه فيقال: رجل سوقة وقوم سوقة قال الشاعر:

فبينا نسوق الناس والأمر أمرنا

إذا نحن فيهم سوقة تنصف

والسوق في كلام العرب تذكر وتؤنث.

إسماعيل عبدالفضيل خير الله ـ مصر

المجتمع المسلم

المجتمع المسلم هو مجتمع قائم على أخلاق الإسلام ونظام الإسلام. وهو مجتمع يعبد الله، يعبده فعلاً لا قولاً يؤدي عباداته وفروضه مؤمناً بها منفذاً لها، يستمد من الله منهج حياته ويسير على هديه الذي ارتضاه الله هو المعبود وكل شيء غيره هباء. في المجتمع المسلم لا يكتفي للإنسان المسلم بأن يصلي ويصوم ويدفع الزكاة بل لا يفعل الفاحشة ولا يسمح بوقوعها ولا يدعو إليها ولا يحبذها ،مجتمع يقوم على المودة والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مجتمع تأمن فيه أن تتعامل مع الموظف فلا يستهتر بمصلحتك ومع التاجر فلا يغشك في البضاعة أو السعر ومع المدرّس الذي يترك التلاميذ يرسبون ليأخذوا دروساً خصوصية، ومع الموظف الذي ينافق من أجل الوصول إلى علاوة أو ترقية أو مكافأة مالية ومع المدير الذي يضطهد الموظف الصغير، المجتمع المسلم هو مجتمع لا يسرق لا يكذب لا يغش لا يخدع. مجتمع لا يغتاب لا يتجسس لا يغمز لا يلمز مجتمع يحب السلام والخير ويكره الشرمجتمع لا يطغى بجبروته على الفرد ولا يسمح للفرد أن يتجبر عليه مجتمع توازنت اقتصادياته لا فقير فيه يموت جوعاً ولا غني يفسد قلبه الثراءمجتمع ليس فيه متعطل فالبطالة من منابت الشرمجتمع يحب العدل ويحارب الظلم.

حسن اللبان ـ مصر

حقيقة لا إله إلا الله

يوجد في عالمنا اليوم ألف مليون مسلم يقولون لا إله إلا الله ملء أفواههم صباح مساء.

مليار مسلم ليس بالعدد السهل أبداً كل هؤلاء، ملمون حقاً! إنهم يجلبون الرهبة بعددهم الهائل.

ولكن هل باستطاعة هؤلاء فعل ما فعله سلفهم الذين كانوا أقل بكثير في عددهم وعتادهم؟

أكاد أجزم بأنهم لن يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً في ظل ظروفهم الراهنة وسلبيتهم في شتى مجالات الحياة.

هذه هي الحقيقة والواقع الذي نعيشه اليوم إن لا إله إلا الله ليست مجرد كلمات وأحرفاً مركبة تكون لنا في نهاية الأمر جملة سطحية ليس لها علاقة بالواقع.

إن معنى لا إله إلا الله أشمل من ذلك إنها عقيدة وعمل وسلوك يجب إبرازه على واقع الحياة وكل مظاهرها الدينية والدنيوية.

محمد علي الهاجري ـ السعودية

ملاحظة وتعقيب

نشرت المجلة في عددها رقم ٣٦٧ الصادر في ربيع الأول ١٤١٧هـ العرض الذي قدمه الأستاذ أحمد أبو زيد لكتاب «عوالم الإسلام» من تأليف «جرنوت روتر» ولنا على هذا الكتاب ملاحظات:

١ ـ يقول الكاتب: في العصور الوسطى قام الأوروبيون بتصنيف العرب والمسلمين بطريقة عنصرية لا تمت إلى المسيحية بصلة على أنهم بشر من الدرجة الثانية لأنهم ينحدرون من أم كانت جارية لإبراهيم عليه السلام وهي هاجر في حين أن الأوروبيين ينحدرون من أم كانت سيدة من الحرائر وهي سارة زوجة إبراهيم.

والحقيقة أن السيدة هاجر لم تكن جارية كما تزعم التوارة المتداولة (تكوين ١٦: ١ـ ٢) بل كانت أميرة مصرية. يقول الطبري في تاريخه (١٠٧/٤) إن عمرو بن العاص لما ملك مصر أخبرهم بوصية النبي صلى الله عليه وسلم بهم فقالوا: هذا نسب لا يحفظ حقه إلا نبي لأنه نسب بعيد. وذكروا له أن هاجر كانت ابنة ملكنا، وكانت من أهل منف. ووقعت بيننا وبين أهل عين شمس حروب كانت لهم في بعضها دولة، فقتلوا الملك وسبوها ومن هناك تسبرت إلى أبيكم إبراهيم.

٢ ـ يقول الكاتب: إن الصورة المشوهة التي يرسمها المؤلفون المسلمون عن الغرب تقوم في الغالب على تعميمات خاطئة.

فماذا تقول حقائق التاريخ؟ يقول المؤرخ الفرنسي جوانفيل الذي رافق الملك لويس التاسع في حملته على مصر: «إن لويس رأى أن القضاء على الإسلام أو على الأقل وقف توسعة عند حد أمر حيوي. وأهاب بأوروبا بأن تقوم بتضييق الخناق على الإسلام والقضاء عليه. ومن أجل تحقيق هذا الهدف حاول الملك لويس التاسع محالفة المغول، يقول الأسقف دي مسنيل du Mesnil نائب مدير البعثات التنصيرية في روما في كتابه عن الكنيسة والحملات الصليبية: لقد كانت الحملة المغولية ضد الإسلام والعرب حملة صليبية بالمعنى الكامل لها. حملة نصرانية نسطورية تستهدف القضاء على الإسلام والمسلمين.

وفي العام ١٠٩٥م تحدث البابا أربان الثاني في كليرمون، إلى أمراء أوروبا وفرسانها، وحضهم على تحرير الأرض المقدسة «فلسطين» من المسلمين. «د. قاسم عبده قاسم: ما هية الحروب الصليبية في الكويت. ١٩٩٠، ص ٥٤».

وقد صفق الجميع نبلاء، ورجال دين، وأفراد شعب للحروب الصليبية التي شنت على المسلمين ولقد بلغ بغض الفرنجة لهم حداً لم يترددوا معه في ذبح النساء والأطفال وتعذيب الجرحى والقضاء عليهم. وقد أمر «جود فرى دي بويون» بفقىء أعين فرسان المسلمين. وأمر القائد «برهيمون» بشي الأسرى على لنار «البيريابية: تاريخ إعلان حقوق الإنسان، ترجمةمحمد مندور، ص ٢٠».

وفي يوم ١٥ يوليو ١٠٩٩ قتل الصليبيون في بيت المقدس أكثر من سبعين ألفاً منهم جماعة من أئمة المسلمين وعلمائهم «ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤٩٢هـ».

ويقول المؤرخ ابن العبري الملطي بالحرف الواحد: ولبث الفرنجة في البلد أسبوعاً يقتلون فيه المسلمين. وقتل بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً، (تاريخ مختصر الدول ص ١٩٧».

قارن بين هذا السلوك وسلوك القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي عندما فتح بيت المقدس العام ١١٨٧م. فقد شهد المؤرخون المسيحيون ـ المعاصرون وغير المعاصرين ـ بكرم صلاح الدين وسماحته، وبأن صلاح الدين عامل نساء الفرنجة معاملةحميدة. وسمح لهن بالخروج من بيت المقدس معززات مكرمات ومعهن أموالهن وأتباعهن وحشمهن.

أما اليتامى والشيوخ والأرامل من الفرنجة، فإن صلاح الدين لم يكتف بإطلاق سراحهم دون فداء، بل منحهم أيضاً مساعدات مالية من ماله الخاص «أبو شامة: كتاب الروضتين ٩٦/٢، ابن واصل: مفرج الكروب ٢١٦/٢».

٣ ـ كانت حرية العقيدة مكفولة. وقد عدد توماس أرنولد في كتابه «الدعوة إلى الإسلام» أمثلة للتسامح في الكنائس التي أمر ببنائها الخلفاء، وأنفقوا عليها في شمال الجزيرة والعراق والشام. ولا يزال بعضها قائماً إلى اليوم ككنيسة«أبو سرجة» في مصر العتيقة مما بني في العهد الأول الإسلامي بالفسطاط. وليس أدل على سعة الصدر من أن والي الأمويين في العراق وفارس ـ خالد القسري ـ بنى لأمة المسيحية كنيسة لتتعبد فيها في العهد الأول للدعوة وأيام صولة الفتوحات.

ويرسم المؤرخ المسيحي صورة رائعة من صور التسامح الديني فيقول: إن الكنيسة النصرانية قويت وتقدمت في رعاية المسلمين وحكمهم، فلم يحل الحكم الإسلامي بينها وبين الانتعاش والرقي، بل إن النساطرة لم تتفجر فيهم الحمية والحماسة الدينية إلا بعد أن دخلوا في حكم الإسلام بما لا عهد لهم به من قبل. فنشروا النصرانية تحت راية الإسلام، وبلغوا بدعوتهم الصين والهند تحت حماية الخلفاء... وإذا لم يكن لغير النساطرة من أهل النصرانية ما لهؤلاء من النشاط والهمة في نشر دعوتهم الدينية. فليس هذا ذنب المسلمين، ولا ذنب حكامهم، فقد كانت جميع المذاهب النصرانية تتمتع بالرعاية والتسامح من الحكام المسلمين على حد سواء. بل كان هؤلاء الحكام هم الذين يمنعون اضطهاد بعض النصارى بعضاً، ويكفلون الحرية الدينية للجميع.

وبعد.. فإن الهدي القرآني ليس ماضياً انقضى، ولكنه شروق متجدد يستوي فيه الماضي والحاضر والمستقبل، وما أكبر أن تكون أمتنا نموذجاً لهذا الهدي تقدمه للإنسانية في مسيرتها نحو تحقيق حياة أفضل وغد أوسع وأرحب للإنسان.

محمد الشرقاوي ـ مصر

الافتتاحية

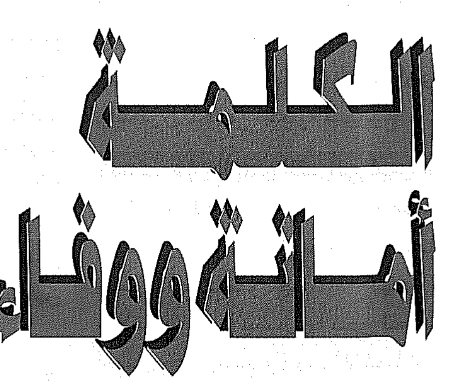
الأمانة

مسـؤوليـة كبيرة وذلك مصداقاً لقول الله سبحانه وتعالى: (إنّا عرضنـا الأمانة على السمـوات والأرض والجبـال فأبين أن يحملنهـا وأشفقن منها وحملهـا الإنسان إنـه كان ظلوماً جهولاً» الأحـزاب (٧٢).. فالأمانة منها الطـاعة والفـرائض التي يتعلق بـأدائها الثواب وبتضييعها العقاب ـ وعلى ذلك نجد في قوله تعـالى أن السموات والأرض والجبال على كبر أجرامهـا، لو كـانت بحيث يجوز تكليفها لثقل عليهـا تقلـد الشرائع، وقـد كُلِّفَ بها الإنسان فتحملها وهو ظلوم جهول لو عقل...

والأمـانـة لا تقف فقـط عنـد حمل النقـود وحسن أدائها وكذلك الأمور المادية بل تتعدى ذلك لتشمل أركان الإسـلام جميعاً فالعـلاقة بين الإنسان المسلم وخـالقه أمـانة، وذلك من خلال التزامه بما أمر بـه وما نهى عنه التزاماً صادقاً أميناً لا يبتغي من ورائه غير رضى الله سبحانه وتعالى، وعـلاقة المسلم بأخيه المسلم أمانة وعلاقة المسلم بأهله أمانة وعلاقة المسلم بوطنه أمانة.

وثمة جـانب مهم ومؤثـر وهو جانب أمـانة الكلمـة وهي من أعظم الأمـانات التي حملهـا الأنبياء والمصلحـون من بعدهم.... فبـالكلمة الأمينـة يستقيم حـال المجتمـع وبـالكلمـة الصـادقة تقـوم أسس وأركان المجتمع المسلم، وبـالكلمـة الموضـوعيـة ينصلح حـال الأمـة المسلمـة وتأخـذ مكـانها بين الأمم الأخـرى المتقدمـة... ولا شك أن الإنسان العـاقل يدرك بفطرته وحسه أن الكـلام شهوة من الشهوات النفسيـة التي قـد تضر بصاحبهـا إذا هـو لم يأخـذ حذره منهـا لـذا نبـه الله الإنسـان إلى ضرورة التخاطب بالكلمـة الطيبة وضرب مثلا فقال تعالى: (ألم ترَ كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجـرة طيبة أصلهـا ثابت وفـرعها في السماء. تـؤتي أكلهـا كـل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للنـاس لعلهم يتذكرون) إبراهيم) ـ ٢٤، ٢٥.

ويلقي هذا بالتبعة على قائل الكلمة وضرورة وأهميـة التيقن من صـدق الكلمـة والتحـري الدقيق قبـل أن تلحق أضراراً بـالآخريـن، وقد قال الله سبحانـه وتعالى مخاطباً المؤمنين: (يا أيها الذين آمنوا إن جـاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبـوا قومـا بجهالـة فتصبحوا على مـا



فعلتم نادمين) الحجرات ـــ ٦، وعن أبي هريرة رضي الله عنـه أَنَّ رسول اللـه صلى الله عليـه وسلم قال: «من كان يؤمن بـالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كـان يؤمن بـالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» صدق رسول الله صلى اللـه عليـه وسلم... إذاً فنحن مأمـورون بقول الخير وبقول الصدق وبـالأمانة في قول الخير... مأمـورون بتحـري الـدقـة في قـول الكلمـة، مأمـورون بتحـري الـدقـة في نقل الكلمة...

وقد حذرنـا المصطفى صلى الله عليه وسلم من مغبة التفريط بأمانة الكلمة فقال في حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين منها يزل بها إلى النار أبعد ما بين المشرق والمغـرب» متفق عليه، وفي حـديث آخر رواه أبـو هريرة يقـول: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات وإن العبـد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعـالى لا يلقي لها بالاً يهوى بها في جهنم» رواه البخاري.

هـذا إلى جـانب أن تحري الصـدق وتحري الحقيقة وعـدم التلاعب بالمشاعـر والأحاديث والوعود البراقة ـ وصـولاً إلى المصلحة الذاتية والآنيـة من أهم مـا يجب أن يتحلى بـه المسلم الحق حتى نستطيع وكما سبـق القـول بنـاء المجتمع المسلم على أسـس وركـائز سليمـة وبذلك يرتفع البناء، أما القول بأن «الغاية تبرر الوسيلـة» فهذا مبدأ ـــ مرفـوض في الإسلام ـ لأنه لا يتفق والمبادىء والمثـل العليا التي نادى بها وأكـد عليها الإسـلام الحنيف في أكثـر من مرة وأكثر من مناسبة...

فالكلمـة أمانة والوعـد أمانة والعهد أمـانة، ويصبح المرء مسؤولاً عن هـذه الأمانـات أمام اللـه سبحانـه وتعالى ـــ فهلا تحرينـا الدقـة والصـدق والموضوعيـة قبل أن نكبل أنفسنـا بالأمـانات وقبل أن نقطـع على أنفسنا الـوعود وقبل أن نتخـذ العهـود والمواثيق حتى إذا مـا حـدث أصبحنـا قادرين على الـوفـاء وبـذلك نحصل على الأجـرين ـــ أجر الـدنيـا، وحسن ثواب الآخرة.

والعهـود التي يـرتبط المسلم بها درجـات، فأعلاها مكانة وأقـدسها ذماماً العهد الأعظم، الـذي بين العبد ورب العـالمين، فإن اللـه خلق الإنسان بقدرته، وربـاه بنعمته، وطلب منه أن يعرف هـذه الحقيقة وأن يعترف بها وألا تشرد به المغـريات فيجهلها أو يجحدهـا: (أَلَمْ أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبـدوا الشيطان، إنه لكم عدو مبين وأن اعبـدوني هذا صراط مستقيم) يس ٦٠ ـ ٦١.

والوفـاء بالحق واجب مع المؤمن بـالإسلام ومع الكافر به، فـإن الفضيلة لا تتجزأ فيكون المرء خسيساً مع قوم كريماً مع آخرين.

إن الله عز وجل يحب الأوفياء من عباده، وما أهلك القرى الظالمة إلا بعد أن قال في أهلها (وما وجدنـا لأكثرهم من عهد، وإن وجدنـا أكثرهم لفاسقين) الأعراف ـ ١٠٢. ■

أنشطة الوزارة

وكيل وزارة الأوقاف يستقبل السفير الباكستاني لدى دولة الكويت

إعداد : عيد علي إسماعيل ـ
العلاقات العامة بالوزارة

استقبل وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية خالد عبدالله الزير في مكتبه سفير جمهورية باكستان الإسلامية لدى دولة الكويت كرامة الله خان، وقد جرى خلال اللقاء تبادل الأحاديث الودية وبحث سبل تدعيم التعاون الإسلامي بين دولة الكويت وجمهورية باكستان الإسلامية إضافة إلى الأمور ذات الاهتمام المشترك في الشؤون الإسلامية وسبل تعزيزها لما فيه خدمة الإسلام والمسلمين.



●وكيل وزارة الأوقاف خالد الزير يستقبل سفير باكستان كرامة الله خان في مكتبه.

«العُمْرَة» مكافأة للمتميزين من طلبة حلقات حفظ القرآن الكريم في الأوقاف

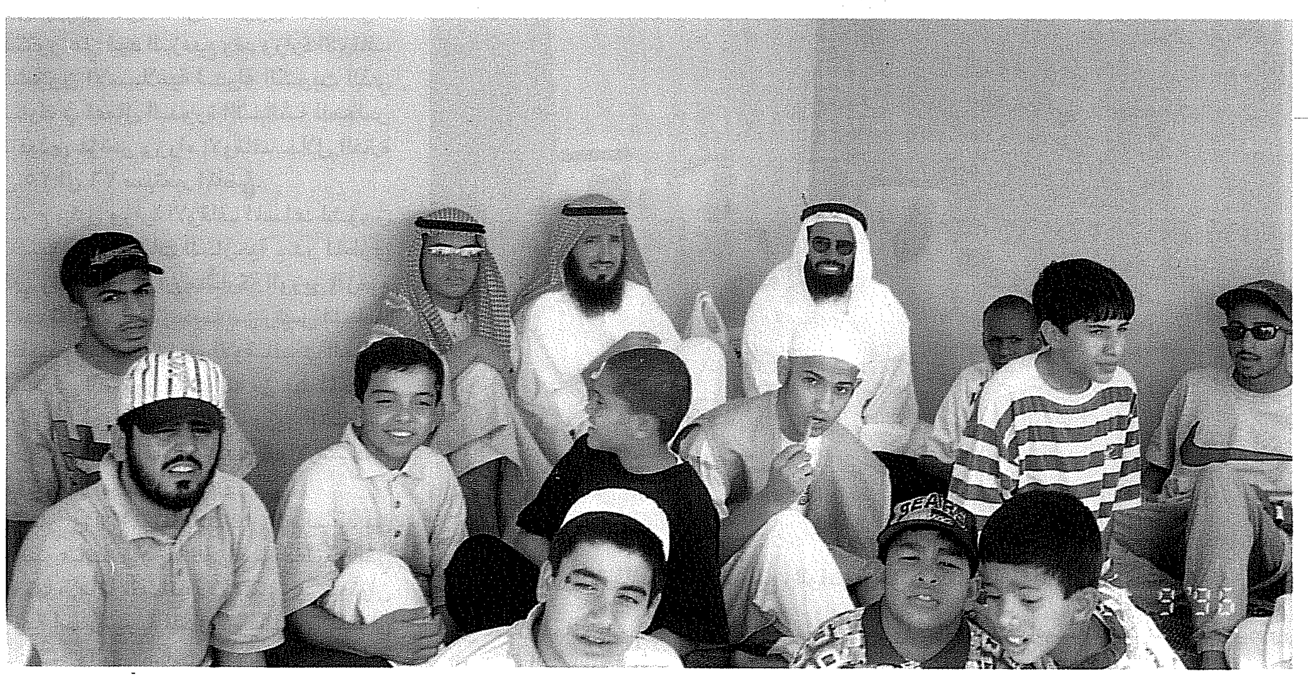
عاد إلى البلاد وفد الطلبة المتميزين في حلقات تحفيظ القرآن الكريم في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بعد تأدية مناسك العمرة في مكة المكرمة. وصرح رئيس الوفد مدير إدارة الدراسات الإسلامية عبدالله محمد الناجم أن الوفد ضم في عضويته مراقب الحلقات عبدالله السنان وثمانية وعشرين طالباً متميزاً تم اختيارهم من حلقات التحفيظ المنتشرة في جميع محافظات الكويت البالغ عددها ١٢٤ حلقة للشباب ويدرس فيها أكثر من ألفين وخمسمائة طالب.

وأشار إلى أن الوفد قام بزيارة للمسجد النبوي الشريف وبعض الأماكن الإسلامية في المدينة المنورة وبعدها توجه إلى جنوب المملكة العربية السعودية للاطلاع على المعالم السياحية موضحاً أن الرحلة تخللها بعض الفقرات الإيمانية ومسابقة للقرآن الكريم وأخرى للحديث الشريف ومسابقات ثقافية ورياضية وترفيهية، وأعرب الناجم عن ارتياحه للنتائج الإيجابية للرحلة حيث أعطت الطلبة نشاطاً وحيوية وأكسبتهم خبرة واطلاعاً على معالم وأماكن جديدة وأثرت معلوماتهم ومعارفهم حولها. وقال مدير إدارة الدراسات الإسلامية: إن مثل هذه الرحلات والزيارات تمنح الطلبة أوقاتاً للاستجمام والراحة لينشطوا للدراسة والاجتهاد فيكونوا أكثر بذلاً وعطاء، وتساهم في تنمية مواهبهم ومداركهم، كما أنها تقوي أواصر العلاقات الأخوية بين الطلبة في أجواء إيمانية وروحانية مفعمة بالمشاعر المرهفة والأحاسيس النبيلة في رحاب الكعبة الشريفة وبيت الله العتيق في تلك الديار المقدسة.

كما أن هذه الرحلة تعتبر من الحوافز المشجعة التي تعدها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ضمن خطتها لدفع وتشجيع طلبة الحلقات على المنافسة والتسابق في حفظ كتاب الله.

٢٥٥٧ دارساً في ١٢٤ حلقة لتحفيظ القرآن

وزارة الأوقاف حريصة على نشر الوعي الديني بين صفوف المسلمين



● جانب من حلقات تحفيظ القرآن الكريم التي تقوم عليها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

أكد مراقب حلقات تحفيظ القرآن الكريم في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عبدالله السنان أن الوزارة تعمل باستمرار على نشر الوعي الديني بين صفوف المسلمين وتمكين الراغبين من المسلمين في حفظ القرآن الكريم وإجادة ترتيله والاهتداء بالقرآن الكريم في التأثير الإيجابي على الآخرين.

وأضاف السنان: إن الدراسة في حلقات تحفيظ القرآن الكريم تتركز حول كتاب الله تعالى تلاوة وفهماً وحفظاً وتخلقاً بأخلاقه وتأدباً بآدابه، فهو الكتاب الوحيد الذي يتم تدريسه في الحلقات.

وقال إن حلقات القرآن منتشرة في المحافظات والمناطق كافة وتبلغ عدد حلقات البنين «١٢٤» حلقة كما بلغ عدد الدارسين (٢٥٥٧) طالباً.

وعن أهم النشاطات الصيفية التي قامت بها الحلقات أوضح السنان أن رحلة العمرة هي أهم نشاط تم القيام به، وهدفت إلى التعايش الجماعي والتربية الإيمانية وتقوية الروابط بين طلبة الحلقات وتحفيزهم وتشجيعهم على الاستمرار في حفظ القرآن الكريم، بالإضافة إلى النشاطات الرياضية والرحلات الترفيهية والمسابقات الثقافية، وأنشطة مراكز الإشراف في المحافظات.

ومن الجدير بالذكر أن إدارة الحلقات تقوم باختيار الطلبة المتميزين والمتفوقين في الحلقات العادية لزيادة الاهتمام بهم كما يتم تفريغ مشرف وشيخ خاص لكل حلقة للعمل على الوصول بهم إلى ختم حفظ القرآن الكريم كاملاً.

ورداً على سؤال حول الأساليب التشجيعية التي يتم الاعتماد عليها لدفع وتحفيز أكبر عدد ممكن من النشء للإقبال على حفظ القرآن الكريم، أكد السنان أن مراقبة الحلقات تمنح الفائزين من الحفظة مكافآت تتفاوت تبعاً للمقدرات في الحفظ والتلاوة، بالإضافة إلى إقامة حفلات التكريم والحفل الختامي السنوي للحلقات ومنح الطلبة المتميزين شهادات التقدير واختيار بعضهم لرحلة العمرة والقيام بالرحلات الداخلية والترفيهية والرياضية.

واختتم السنان حديثه موضحاً أن مراقبة حلقات تحفيظ القرآن الكريم تستعد للتوسع في حلقات الطلبة المتميزين وإنشاء مركز بيانات وإحصاءات لمتابعة طلاب الحلقات وإقامة مخيمات ربيعية خاصة بالأنشطة الثقافية والرياضية في المحافظات.

بالإضافة إلى الاستعداد لمسابقة صاحب السمو أمير البلاد لحفظ القرآن الكريم والترتيب للمشاركة في المسابقة الدولية للقرآن الكريم في مكة المكرمة.

العثمان يعرض الرؤية الاستراتيجية للنهوض بالدور التنموي للوقف

مؤتمرات اسلامية

الدكتور الزميع رئيساً للوفد الكويتي في مؤتمر وزراء الأوقاف في الاردن

رأس وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الدكتور علي فهد الزميع وفد وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية لدولة الكويت الذي شارك في اعمال الدورة الثالثة للمجلس التنفيذي لمؤتمر وزراء الاوقاف خلال الفترة من ٢٥ الى ٢٦ سبتمبر الماضي.

وصرح وكيل وزارة الاوقاف المساعد لشؤون التنسيق والعلاقات الخارجية بدر المطري الذي رافق الوزير ان مشاركة الوزير الزميع جاءت تلبية لدعوة رسيمة من رئيس المجلس التنفيذي لمؤتمر وزراء الاوقاف في العالم الاسلامي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي الذي يشغل منصب وزير الشؤون الاسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية.

واشار الى ان المؤتمر ناقش العديد من الموضوعات، وأهمها الدراسة العلمية التي قدمتها الامانة العامة للاوقاف وهي بعنوان «رؤية استراتيجية للنهوض بالدور التنموي للوقف» والتي جاءت تنفيذا لتكليف دولة الكويت بإعدادها في الدورة الثانية للمجلس والتي عقدت في جدة بالمملكة العربية السعودية لما لدولة الكويت من تجربة رائدة في النهوض بالوقف وتفعيل دوره التنموي على المستويات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

واضاف المطيري ان المؤتمر السادس للدورة الثالثة للمجلس التنفيذي سيناقش ايضا موضوعات عدة من بينها اتفاقية التعاون بين وزارات الاوقاف والشؤون الاسلامية والدعوة الاسلامية وخطة اعداد الدعاة الاكفاء وتبادل الخبرات في مجال المحافظة على كنوز التراث الاسلامي والتعريف بالاسلام باللغات المختلفة وتصحيح صورته في الخارج.

كما ناقش المؤتمر ايضا موضوع تبادل الخبرات حول المحافظة على الوقف واستثماره والتوعية باهميته والنظام الاساسي للمؤتمر والمجلس التنفيذي والامانة العامة للمؤتمر والاعداد للمؤتمر السادس من خلال ماتم انجاره مع وزير الشؤون الدينية الاندونيسية وموضوعات اخرى يقترح طرحها امام المؤتمر السادس.

ومن جهته قال الامين العام للأمانة العامة للاوقاف عبد المحسن العثمان الذي رافق الوزيرالزميع لطرح الدراسة الخاصة بالتجربة الكويتية في مجال الوقف: ان تجربة الامانة العامة للأوقاف في دولة الكويت هي محل اعجاب وتقديرلعديد من دول العالم وذلك بسبب النهوض بالاوقاف وربطها بالتنمية داخل المجتمعات واحياء سنة الوقف الشريفة في الاسلام من خلال توسيع اعمالها الخيرية.

واضاف ان الدراسة تدعو الى تحقيق تنمية اسلامية من خلال الوقف وذلك بعقد العزم على تنمية مجتمعاتنا المسلمة من خلال اطلاق جميع قوى التفعيل التنموي في هذه المجتمعات.

وقال ان الوقف مؤهل للدخول في مجالات العمل المجتمعي والتنموي كافة وهو مرشح ليكون احد السبل الرئيسية للمسلمين في العالم المعاصر للخروج من ازمتهم.



● وزيرالاوقاف د. علي الزميع والوفد المرافق له اثناء جلسات المؤتمر

وذكر ان الدراسة تشمل خمسة محاور مترابطة، هي دور الوقف في العملية التنموية، والاتجاهات المعاصرة في تطوير الاستثمار الوقفي، والدعوة والاعلام لإحياء سنة الوقف، وملامح البناء المؤسسي للقطاع الوقفي، وافاق الاجتهاد الشرعي في المسائل الوقفية المعاصرة.

واشار الى انه خلال الفترة المتبقية من العام الحالي ستكون هناك مجموعة من الفعاليات التي تخدم مشروع النهوض بالوقف منها على سبيل المثال صدور دراسة محكمة بعنوان الاتجاهات المعاصرة في تطوير الاستثمار الوقفي وعقد ندوة سيدعى لها مجموعة من المهتمين بعنوان القواعد المحاسبية للاموال الوقفية، وعقد ندوة حول التجربة الكويتية في الوقف والتي ينظمها البنك الاسلامي للتنمية بالتعاون مع الامانة العامة للاوقاف خلال الاسبوع الاول من نوفمبر المقبل في دولة البحرين الشقيقة.

ورافق الوزير مسؤولون أخرون في الوزارة. ■

في ذمة الله...
الشيخ محمد بن سليمان الجراح

فقدت الكويت يوم الأربعاء ١٢ جمادى الأولى ١٤١٧هـ الموافق ٢٥ سبتمبر ١٩٩٦م علماً من أعلامها وشيخاً جليلاً
شيوخها الأجلاء وعالماً فذاً من علمائها المخلصين ممن أفنوا حياتهم في القراءة والبحث والعلم والتعليم في كافة ع
الشريعة ألا وهو الشيخ محمد بن سليمان الجراح يرحمه الله.

ولد المربي الفاضل الشيخ محمد بن سليمان الجراح في الكويت في العام ١٣٢٢هـ - ١٩٠٤م.

بدأ تعليمه في مدرسة الملا أحمد الحرمي الفارسي، ثم انتقل إلى مدرسة الملا محمد المهيني حيث تعلم فيها القرآن الك
سرداً وتلاوة وحفظاً، ثم التحق بمدرسة السيد هاشم الحنيان فتعلم أصول الكتابة، والحساب، وخصوصاً قس
المواريث «علم الفرائض».

وقد حبب إليه طلب العلم طيلة حياته، فحفظ المنظومات المختلفة في العقيدة، والمواريث والفقه.

ومن أشهر شيوخه في الفقه الشيخ عبدالله الخلف الدحيان والشيخ عبدالوهاب بن عبدالله الفارس.

أما في اللغة العربية فكان من أبرز أساتذته الشيخ أحمد عطيه الأثري، والشيخ صالح العلجي.

ومن زملائه خلال الدراسة أخوه الأكبر الشيخ الأديب إبراهيم الجراح، والشيخ عبدالله النوري رحمه الله، كما تدا
الفقه معه الشيخ عبدالرحمن الدوسري رحمه الله.

كان المربي الفاضل - منذ شبابه المبكر زاهداً بمتاع الدنيا الزائل بسيطاً في زيه متواضعاً في سمته يأكل من عمل يد
فتح والده - له ولإخوته - حانوتاً لبيع وشراء المواد الغذائية، ثم تولى الإمامة في مسجد العثمان في حي القبلة، ث
مسجد عباس الهارون، كما خطب نيابة عن الشيخ أحمد الخميس في مسجد البدر، ثم في مسجد الساير القبلي، وأ
تولى الإمامة في مسجد السهول في ضاحية عبدالله السالم، كما تولى الخطابة في مسجد المطير في المنطقة نفسها ح
وفاته.

والمربي الفاضل كان لا يبخل بعلمه على أحد، وإنما كان ينثره كالضياء على من حوله، وعلى السائلين. ولقد كان مس
السهول في ضاحية عبدالله السالم، منارة من منارات العلم في الكويت، إذ كان يدرس فيه المربي الفاضل الف
والفرائض، واللغة العربية، كما كان يؤدي واجب الإفتاء، ويعقد القران لمن طلبه منه ، ويأمر بالمعروف وينهى
المنكر، ومن أخلاقه التواضع لطالب العلم والصبر على السائل مهما أكثر وأطال.

تخرج على يدي شيخنا الفاضل عدد كبير من طلاب العلم قديماً وحديثاً وقد أحبه تلاميذته وانكبوا عليه ينهلون
علمه ويسيرون على دربه ويتخلقون بأدبه فلا غرابة أن تنعية لأهل الكويت والأمة الإسلامية قاطبة الأوس
الشعبية والرسمية وفي مقدمتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية واللجنة الاستشارية العليا للعمل على استك
تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في الديوان الأميري والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية وعدد كبير من ط
ومحبيه...

إن إدارة مجلة الوعي الإسلامي التي آلمها هذا المصاب الجلل لتدعو الله تعالى أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ويس
فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً والحمد لله رب العالمين.

الوعي الإسلا

قضايا
اسلامية

نفق الظلم....
اعتداء يهودي جديد!!

كتب تمام أحمد:

في تحدٍ إسرائيلي جديد لمشاعر العرب والمسلمين ووسط تجاهل واستخفاف بالقرارات الدولية أقدمت إسرائيل يوم ٢٥/٩/١٩٩٦م على فتح نفق في القسم الشرقي من مدينة القدس. ويمتد النفق مسافة ٤٨٨ متراً تحت الحي العربي الإسلامي في القدس القديمة على طول حائط أساسات المسجد الأقصى ويبدأ النفق من أسفل الحرم القدسي وينتهي عند المخرج الجديد في الحي الإسلامي إلى الشمال ويسمح بمشاهدة سلسلة من المواقع الأثرية في القدس، ويمر القسم الأول من النفق في شبكة من الأقبية المعقودة تعود إلى فترة المماليك في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين.

أما الجزء الثاني من النفق الذي فتح بعد العام ١٩٨٧م فيسلك طريقاً تعود إلى العهد الروماني أُقيم مكان قناة مائية قديمة ضيقة جداً وترتفع خمسة أمتار بنيت في فترة الممالك اليهودية في القرن الثاني قبل الميلاد، أما الجزء الأخير الذي يمتد حوالي عشرة أمتار فقد حفر حديثاً في الأرض بهدف بناء سلم يفضي إلى قرب خزان ماء من العهد الروماني.

ويهدد النفق الطابع العربي الإسلامي للقدس ويندرج في إطار مشاريع التطوير الإسرائيلية الهادفة إلى تهويد المدينة وتغيير مركزها القانوني إذ يمكن إسرائيل من السيطرة بشكل كبير على القدس الشرقية...

هذا وقد أسفرت المواجهات بين المواطنين الفلسطينيين وقوات الاحتلال الإسرائيلية عن سقوط مئات القتلى والجرحى مما يؤكد الطبيعة العدوانية للصهاينة واحترافهم للقتل والإجرام.

موقف جامعة الدول العربية

هذا وقد أدان مجلس جامعة الدول العربية في اجتماعه الطارىء يوم ٢٦ سبتمبر على مستوى المندوبين الدائمين الاعتداءات والإجراءات الإسرائيلية المتكررة في القدس العربية واعتبر فتح النفق أسفل المسجد الأقصى جزءاً من مؤامرة صهيونية إسرائيلية هدفها تدمير المسجد الأقصى وإقامة هيكل سليمان وطمس المعالم العربية الإسلامية وتغيير المركز القانوني لمدينة القدس تمهيداً لتهويدها من خلال سياسة تفريغ المدينة من سكانها العرب وإقامة المزيد من المستوطنات فيها. وفي الوقت نفسه أدانت كل الدول العربية والإسلامية الأعمال الإسرائيلية الاستفزازية وطالبت إسرائيل بالحفاظ على عروبة القدس وإسلاميتها.

موقف الأزهر
والمنظمات الإسلامية

كما دعا إمام الأزهر الشيخ محمد سيد طنطاوي إلى مقابلة «العدوان» الإسرائيلي على المسجد الأقصى «بالدفاع التام عن المسجد حتى لو أدى ذلك إلى الاستشهاد».

وقال طنطاوي في رسالة وجهها إلى الفلسطينيين عبر «إذاعة صوت فلسطين» «يجب أن نقابل هذا العدوان بالدفاع التام عن المسجد، ولو أدى ذلك إلى الاستشهاد من أجل إعلاء كلمة الله، ونفتدي به كل ما نملك لأن المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وإليه تشد الرحال». واتخذت مواقف مماثلة جميع الهيئات والمنظمات العربية والإسلامية وفي مقدمتها رابطة العالم الإسلامي والمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية وغيرها.

ردود غاضبة
على جميع المستويات

من جانب آخر أدانت معظم دول العالم الإجراءات الإسرائيلية واعتبرت قيام إسرائيل باستئناف العمل في نفق مدينة القدس السبب في الأحداث الخطيرة التي وقعت في الأراضي الفلسطينية وطالبت إسرائيل بإغلاقه واتخاذ إجراءات لضمان استئناف عملية السلام على الأساس الصحيح والتراجع عن أسلوب المواجهة. وكمثال على ذلك تعدى الخوف الفرنسي «القلق» على عملية السلام في الشرق الأوسط ليطال تغييرات سياسية وجيوبوليتيكية محتملة نتيجة الانتفاضة الثانية التي اندلعت بسبب المراهقة السياسية لنتنياهو، فإذا كانت كل التصريحات السياسية للقادة الفرنسيين قد حملت نتنياهو ضمناً «المسؤولية عما حدث في الأرض المحتلة»، ولكن بلغة دبلوماسية، فإن الصحافة الفرنسية كافة ذهبت إلى حد اتهامه بالمراهقة السياسية وبأنه تلميذ الجن والعفاريت.

مجلس الأمة الكويتي يستنكر

ومن جهة أخرى استنكر مجلس الأمة في دولة الكويت في جلسته المنعقدة يوم السبت الموافق ٢٨ من سبتمبر ١٩٩٦م الاعتداء على المسجد الأقصى والعدوان على الفلسطينيين وأصدر بياناً جاء فيه:

إن مجلس الأمة ـ في دولة الكويت ـ وهو يتابع بقلق بالغ الأحداث الدامية في الأرض المحتلة بفلسطين ـ والتي تقوم بها إسرائيل ضد شعب فلسطين وضد المقدسات الإسلامية ـ وأهمها الاعتداء على المسجد الأقصى بشق نفق ـ يستهدف محو المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين الأمر الذي أثار غضبة المسلمين في كل مكان في العالم وأشعل

نيران الانتفاضة الفلسطينية في الأرض المحتلة... إن مواجهة أبناء الشعب الفلسطيني المجاهد بالمدافع والطائرات وسقوط العشرات من الشهداء ومئات الجرحى لهو عمل جبان يندى له جبين البشرية ويتنافى مع أبسط مبادىء الشرعية وحقوق الإنسان.

ومجلس الأمة في دولة الكويت الذي ما انفك يعلن في المناسبات كافة تضامنه مع الشعب الفلسطيني من أجل استرجاع أراضيه المغتصبة وتحرير القدس الشريف — يناشد الضمير العالمي والمجتمع الدولي والمنظمات والمؤسسات أن تقف عند مسؤولياتها بحزم وقوة لوقف العمل الإجرامي الذي يتعرض له المسجد الأقصى والانتهاك الصارخ الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني نتيجة العدوان الآثم على الشعب الآمن والذي يعتبر انتكاسة لعملية السلام وخرقاً فاضحاً للقانون الدولي والشرعية الدولية.

إن مجلس الأمة - يناشد الأمم المتحدة ومجلس الأمن التحرك سريعاً لحماية القدس الشريف - ووقف الأعمال الاستفزازية والعدوان على الشعب الفلسطيني.. والذي تقوم به إسرائيل ويهيب بالمجتمع الدولي أن يمارس مساعيه وضغطه لحمل إسرائيل على العدول عن خططها الرامية إلى محو المسجد الأقصى — ووقف الهجوم والانتهاكات الصارخة لقرارات مجلس الأمن في هذا الشأن... وإنا لعلى يقين من أن الله سبحانه وتعالى الذي حمى الكعبة الشريفة من أبرهة الحبشي. لهو قادر على حماية المسجد الأقصى من أبشع جريمة ترتكبها إسرائيل... وإن قوى الخير في العالم بأسره لن ترضى التطاول على أشرف المقدسات الإسلامية في فلسطين وانتهاك حقوق مليار مسلم في العالم.

حفظ الله القدس الشريف والمسجد الأقصى من كل أيد تعبث به، ورد عنهما كيد المفسدين.

وزير الأوقاف يندد بالإجراءات الإسرائيلية

في غضون ذلك ندد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتي الدكتور علي فهد الزميع بالإجراءات الإسرائيلية الأخيرة بشق نفق بجوار المسجد الأقصى في مدينة القدس. وقال د. الزميع في تصريح للصحفيين على هامش مؤتمر المجلس التنفيذي لوزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية في الدول العربية والإسلامية الذي انعقد في عمان أخيراً: إنّ مواقف الكويت معروفة إزاء هذه القضية المقدسة وهي المطالبة دوماً بتحريرها وإعادتها إلى السلطة العربية». وأكد د.علي الزميع: أن «سياسة دولة الكويت ظلت على الدوام منذ استقلالها وحتى بعد العدوان العراقي الغاشم على أراضيها تحرص كل الحرص على التضامن العربي ودعم القضايا العربية في كل المحافل الدولية».

مطامع قديمة

وختاماً فإن الإجراءات الصهيونية الجديدة ليست غريبة فقد سعى اليهود منذ القرن الماضي إلى تهويد القدس ولم تتوقف الحفريات فيها منذ أن استولى اليهود عليها بعد حرب العام ١٩٦٧م بل إن إسرائيل قامت في ٣٠ يوليو العام ١٩٨٠م بسنّ قانون أعلنت فيه مدينة القدس عاصمة أبدية لها متحدية بذلك الرأي العام العالمي ومنظماته العالمية، وقد ذكرت صحيفة «هاآرتس» الصادرة في ١٤ ديسمبر ١٩٩١م أنه ضمن خطة تهويد القدس وضعت خطة تقضي بإنشاء ٢٢ بؤرة استيطان في القطاع العربي من القدس...

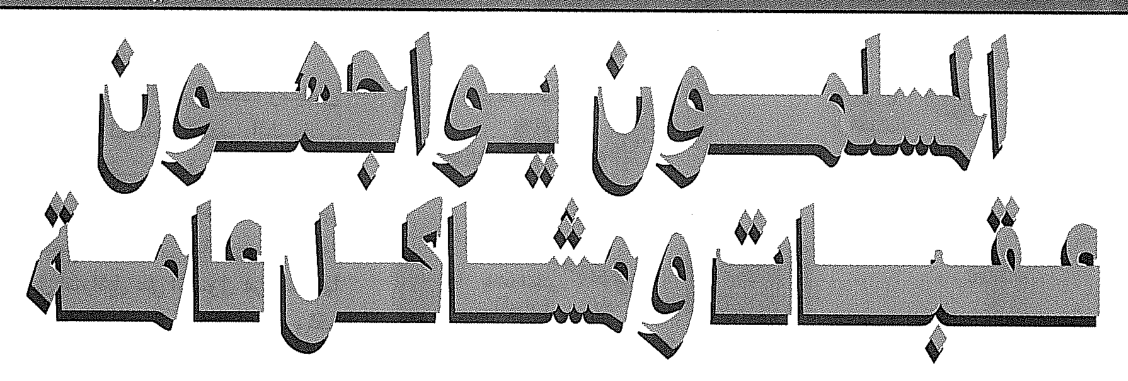
هذا هو الواقع فهل يتنبه العرب والمسلمون لعدالة قضيتهم ويبادرون إلى حشد جهودهم وتوحيد طاقاتهم لتظل القدس وتعود إلى أصحابها كما كانت دائماً عربية وإسلامية اللهم آمين. ■

حوار

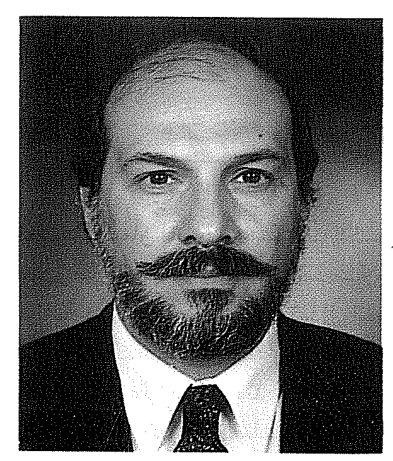
الناظر إلى حال المسلمين هذه الأيام، داخل بلادهم الإسلامية يجد تغييراً واضحاً في بعض القوانين والقضايا التي تهم الإسلام، والناظر أيضاً إلى المسلمين خارج بلدانهم الإسلامية يجد صحوة إسلامية كبرى سواء على مستوى مسلمي المهجر أو على مستوى السكان الأصليين لهذه البلاد التي تدين بديانات غير الإسلام، فالإسلام في نظرنا هذه الأيام قادم وبقوة. ولو قلبت نظرك إلى أي بلد من بلدان العالم غير الإسلامية تجد نشوة الإسلام وزفيره بدأ يسخن داخل رئتيه وخارجهما لما يرى من الكيل الذي طفح للمسلمين في شتى بقاع الأرض فمن يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله يضطهد ويُعامل معاملة غير سوية من جانب المحاربين لهذا الدين.

البلدان العربية والأميركية بدأت عندهم نشوة الإسلام والحفاظ عليه وعلى تراثه ومبادئه وتوريثها للأجيال القادمة وبات الاهتمام بالدين عندهم أساساً لحياة كريمة ملؤها الإيمان بالله أولاً والدفاع عن الدين قدر الإمكان سواء أكان الدفاع مادياً أم معنوياً وإن وصل إلى جسمانياً فلن يألو جهداً في ذلك. التقينا أحد المسؤولين عن مكتب الثقافة والدعوة الإسلامية في بلاد المهجر «الأرجنتين» المهندس محمد يوسف هاجر مدير المكتب ليبين لنا حال المسلمين في الأرجنتين والظروف التي يمرون فيها من خلال عقبات ومشاكل تصادفهم:

المهندس محمد يوسف هاجر مدير مكتب الثقافة والدعوة الإسلامية في الارجنتين:



المسلمون يواجهون عقبات ومشاكل عامة



حاوره - حسين الديب

□ ما سبب زيارتك إلى الكويت؟

- حضرت إلى الكويت في مهمة عملية إلى جانب المهمة الأساسية وهي شرح ظروف وملابسات مكتب الثقافة في الأرجنتين وبيان الأعمال المناطة به والاحتياجات التي يطلبها.

□ هل الكويت قدمت لمسلمي الأرجنتين مساعدات؟

- الحق يُقال إن الكويت لم تبخل علينا فقد قدمت الكثير لنا من المساعدات المادية والعينية وبخاصة من وزارة الأوقاف وبيت الزكاة إلى جانب بعض العلماء والدعاة الذين يجيدون اللغة الأسبانية وكذلك علماء ومشايخ من الأزهر في مصر، كما أؤكد أن الوزير الزميع زارنا مع الدكتور بدر المطيري منذ أحد عشر عاماً وعندهم خلفية وفهم عن موضوع الأقلية المسلمة في الأرجنتين وقدمت الكويت ما يصل إلى ٩٠٪ من المساعدات في بعض الأعوام السابقة.

□ على اعتبار أنكم أقلية مسلمة في بلد غير مسلم هل هناك تضييق للخناق عليكم؟

- حدث تضييق علينا بالفعل وبخاصة أثناء حادث انفجار المركز اليهودي الأخير في الأرجنتين لدرجة أنهم وصفوا المسلمين في التلفاز بأن المسلم يحمل في يده سلاحاً وفي اليد الأخرى قرآناً وأنه دموي وبدأت العصابات اليهودية تتزعم الإساءة إلينا وإلى الدين لكن الدولة كانت تحاول المساعدة والتخفيف من ذلك، وبإمكاني القول: رب ضارة نافعة فقد بدأ الناس يتساءلون عن الإسلام ويحضرون معنا اللقاءات للاستفسار عن هذا الدين ولذلك كثفنا جهودنا للتعريف بهذا الدين بصورة صحيحة.

□ أولوية المساعدات المقدمة إليكم تكون لمن؟

- عندما تصلنا مساعدات مادية نقوم بتفضيل بعضها على بعض ونقدم الأولى فالأولى فمثلاً في المساعدات الأخيرة، طبعنا كتباً دينية باللغة الإسبانية فهي لغة أهل

البلد وكانت الطباعة نحو خمسين ألف نسخة.

□ ما هدف الزيارة الأساسي؟

ـ الطلب إرسال مشايخ إلى مكاتب الدعوة هناك لأن مكاتب الدعوة محتاجة إلى دعاة للعمل فيها فهي متفرقة في جميع أنحاء البلاد.

□ هل توجد عقبات تمنع مسيرة الحركة الإسلامية في الأرجنتين؟

ـ لا يخفى على المسلم المتتبع لأوضاع الأقليات المسلمة، وجود عقبات ومشاكل عامة مشتركة بين الجميع، على الرغم من اختلاف المكان والزمان، ومن ثَمَّ هناك مشاكل وعقبات لكل أقلية في مكان تواجدها تبعاً للظروف الخاصة التي تحيط بها، فالأقلية الإسلامية في الأرجنتين وخصوصاً في أميركا اللاتينية عامة، مشاكلها مشابهة لتلك المشاكل التي تواجه المسلمين في مناطق مختلفة من العالم، وقد استندت على المعلومات الميدانية المتوافرة عن المسلمين في الأرجنتين وظروفهم ومشاكلهم، وهو كما ذكرت عينة تعكس إلى حدٍ كبير أوضاع المسلمين في أميركا اللاتينية، نظراً للتشابه، ومن باب تقديم الأدلة على التشابه بين دول أمريكا اللاتينية، يمكن الإشارة إلى العوامل والنواحي التالية:

* أغلب المسلمين المقيمين في بلدان أميركا اللاتينية من المهاجرين العرب وقلة من الدول الإسلامية الأخرى، وآخرون من أهل البلد المعتنقين للدين الإسلامي.
* أغلب هؤلاء المهاجرين من سورية ولبنان.
* مشاكلهم تشابه بلدان أميركا اللاتينية تشابهاً قوياً.
* التشابه من حيث المعتقدات الدينية، غالبيتهم مسيحيون.
* التشابه في الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية... إلخ.

هجرة المسلمين للأرجنتين

□ كيف وضع المسلمين في الأرجنتين؟

ـ الوضع في الأرجنتين يكاد يكون حالة استثنائية، فغالبية السكان من الأجانب، ونسبة الأميين فيهم قليلة، حيث درجة التعليم مرتفعة، ومشاكل الأرجنتين أقل من باقي دول أميركا اللاتينية الأخرى، نظراً لقوانين العمل والنقابات القوية جداً في هذا البلد.

□ متى هاجر المسلمون إلى الأرجنتين ومتى بدأت الهجرة؟

ـ لا يُعرف للجالية العربية والإسلامية في الأرجنتين تاريخ صحيح لبداية ومصادر هجرتها، كما تفتقر لتقويم وافٍ لقدرتها الثقافية والمادية، ولدراسة دقيقة لأوضاعها كي يصبح بالإمكان معالجة شؤونها وفق خطة شاملة تستهدف الحفاظ عليها ومن ثم تحويلها إلى قوة ذات شأن في حياة الأرجنتين أو كخط إعلامي أمامي للدفاع عن القضايا العربية والإسلامية أمام الرأي العام المحلي:

تشير بعض الوثائق إلى أن الهجرة العربية إلى هذه البلاد ربما تكون قد بدأت خلال الفترة ما بين سنة ١٨٥٠ إلى ١٨٦٠م وأن المغترب الأول كان من أصل لبناني، ثم توالت موجات الهجرة من سورية ولبنان فيما بعد تلك الحقبة، وفقاً للظروف التاريخية التي مر بها هذان البلدان، وأكبر تلك الموجات حدثت في أوائل القرن الحالي وعلى أثر الحرب العالمية الأولى وفي أواخر العشرينات ثم بعد الحرب العالمية الثانية ومنذ هذه الموجة الأخيرة انقطعت موجات الهجرة، حيث إن العرب الذين وصلوا هذه البلاد منذ أواخر الخمسينات حتى تاريخه كانوا قلائل جداً وبعضهم جاء لتلقي العلم والتخصص في الجامعات.

التيار الأول من المهاجرين كان من الشباب الذي يتجاوز العشرين من العمر، دفعهم الطموح وحب المغامرة، وأوصلهما إلى هذه المنطقة الجديدة والبعيدة الغريبة عنهم في كل شيء، اللغة، الدين، العادات التقاليد... إلخ، ليس لديهم من التعليم والثقافة إلا النذر اليسير، وأقل من ذلك المال، وقد كانت الفكرة السائدة في ذلك الوقت عند هؤلاء المهاجرين هي: البقاء في المهجر عدة سنوات ثم الرجوع إلى الوطن بشيء من المال الذي يساعدهم في التغلب على ظروف المعيشة وعقبات الحياة، ولكن الأيام مرت سريعاً وتعاقبتها السنون

> الهجرة العربية الى الارجنتين بدأت خلال الفترة ١٨٥٠ ـ ١٩٦٠م والمغترب الاول من الاصل لبناني

فتزوج الكثير منهم من نساء أجنبيات، فكان هذا عاملاً مساعداً على البقاء وعدم العودة، واستطاع الكثير منهم شق طريقه بنجاح في هذا المجتمع الجديد، وخاصة في النواحي التجارية، فكانوا مبعث ثقة وصدق وأمانة ونزاهة في المعاملة، وتوصلوا إلى مرحلة الاستقرار الاجتماعي والمادي، ولكن دون اهتمام بالنواحي الدينية والقومية، لأن جُل اهتمامهم الكسب المادي فقط.

□ كيف تم الالتزام بالدين والتمسك به في ظل هذه الظروف؟

ـ شيخوخة المهاجرين الأوائل، وانقراض الجيل الأول الذي ورث أبناءه المال والسمعة الطيبة لكن لم يورثهم الثقافة الدينية، فكان الجيل الثاني أبعد من سابقه في التزامه الديني ولغته العربية وعاداته، وكان أفضل منه وأوفر حظاً في اقتصادياته وثقافته العامة. فالمهاجرون الأوائل لم ينقلوا إلى أبنائهم وأحفادهم تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي، ولم ينقلوها لهم بلغة أهل هذا البلد، لذلك ضاع جزء كبير من أبناء الجالية في المجتمع الأرجنتيني وذاب فيه، ومنهم من تنصر وتحول إلى الدين المسيحي أيضاً. نظراً لكل ما يحيط بالشباب المسلم في هذا البلد، فالأب لم يعلم أبناءه أصول الدين الحنيف، والمدرسة والشارع والأصدقاء ومظاهر الثقافة الأخرى من صحف ومجلات وتلفاز وإذاعات ومسارح وغيرها، ساعدت الشباب من أبناء المسلمين في الانحراف والتحول عن دين آبائهم وأجدادهم.

□ كم عدد المسلمين في الأرجنتين؟

يقدر عدد المسلمين وأحفادهم في الأرجنتين نحو ٦٥٠ ألف نسمة منهم ١٦٠ ألف نسمة يعيشون في بوينس أيرس، وتجدر الإشارة إلى أن هذه الإحصاءات لا تتركز على أرقام علمية أو عملية مسح حقيقية، وإنما هي تقديرات تقريبية بعضها قريب جداً من الواقع خصوصاً في الضواحي والقرى حيث إن المسلمين والعائلات العربية تعرف بعضها بعضها، فالمسلمون في الأرجنتين ينتشرون في مختلف الولايات ولا يوجد لهم في العاصمة بوينس أيرس وضواحيها، وفي الولايات الأخرى مثل: مندوسا ـ توكومان ـ روساريو ـ كوردوبا ـ لاريوخا ـ خوخوي ـ سالتا وغيرها، ونظراً لهذا الانتشار الواسع والممتد للمسلمين، وتسهيلاً لتحقيق اللقاءات فيما بينهم وتحاشياً لصعوبات النقل

والمواصلات، فقد أنشأوا في أماكن تواجدهم جمعيات وأندية ومؤسسات، سواء في المدن أو في الأحياء، يلتقون فيها ويمارسون الأعمال والنشاطات الاجتماعية وإحياء المناسبات الدينية والثقافية وغيرها.

□ هل توجد جمعيات إسلامية متعددة في الأرجنتين وما هي؟

ـ توجد جمعيات إسلامية كثيرة من أشهرها:

المركز الإسلامي ومقر هذا المركز في العاصمة بوينس أيرس، ويعود تأسيسه في عام ١٩٢٢ لكن ليس بصفة رسمية، وحصل على الشخصية الاعتبارية قانونياً في سنة ١٩٥٩، كما سُجل في إدارة الأقليات الدينية غير الكاثوليكية التابعة لوزارة الخارجية الأرجنتينية، كما أنه عضو في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وعضو في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في جمهورية مصر العربية، ويطمح في أن يكون ممثلاً لجميع المسلمين في الأرجنتين والمتحدث الوحيد باسمهم.

الجمعية العربية الأرجنتينية الإسلامية. هذه الجمعية كانت أصلاً في الأربعينات والخمسينات، مؤلفة من عدة جمعيات، اندمجت في جمعية واحدة في مطلع السبعينات، وتمتلك هذه الجمعية مقراً مهماً في العاصمة ومدرسة ابتدائية وروضة أطفال، وهي تعمل من عدة سنوات في المجال التربوي، حيث يُدرس فيها البرنامج الرسمي المعتمد من وزارة التربية الأرجنتينية صباحاً، وفي المساء تدرس اللغة العربية والدين الإسلامي، ومقر الجمعية في حي فلورس.

الجمعية الإسلامية اليبرودية: أعضاء هذه الجمعية يعود أصلهم إلى قرية يبرود في سورية «مسقط رأس والدي رئيس الجمهورية الحالي كارلوس منعم» هذه القرية قريبة من دمشق، وتملك الجمعية مقراً كبيراً من خمسة طوابق ملاصقة للمسجد الذي جرى بناؤه على قطعة أرض ملك لهذه الجمعية، فهي والمركز الإسلامي بدأ في مشروع المسجد ثم بعد ذلك قدمت مساعدات من دول ومنظمات إسلامية لإتمام المشروع، مقرها في حي سان كرستوبل على بعد، كيلو متر واحد من المركز الإسلامي.

جمعية الاتحاد العلوي: تقع في ضواحي بوينس أيرس، وهي كما يدل عليها اسمها، محصورة بالمسلمين العلويين، ونشاطها ديني اجتماعي، مقرها في منطقة تسمى خوسيه انخينيروس.

الجمعية الإسلامية العلوية: توجد هذه الجمعية في العاصمة، نشاطها اجتماعي ديني وهي لا تختلف عن سابقتها، والسبب في وجود جمعيتين هو البعد الجغرافي لأماكن سكن العائلات العلوية، ومقرها في منطقة تسمى تشاكاريتا.

الجمعية الخيرية الدرزية: وتقع في العاصمة، وكانت مزدهرة ولها نشاط في الماضي، ولكن منذ عدة سنوات لا نشاط لها وهي مشلولة الآن أو معدمة، وأعضاؤها من الدروز السوريين واللبنانيين، مقرها في حي فيجا كرسبو.

جمعية الاتحاد العربي الأرجنتيني: هذه الجمعية حديثة العهد، وتوجد في مدينة مورون في ضواحي بوينس آيرس.

مركز الدراسات الإسلامية: قليل الأعضاء لكنه دائم الحركة والنشاط، ويركز في نشاطه على المحاضرات وطبع النشرات والكتيبات الدينية، مقره في العاصمة في منطقة بريميرا خونتا. جمعية الاتحاد الإسلامي: مقرها في مدينة روساريو في ولاية سنتافيه التي تبعد نحو ٣٦٠ كيلو متراً عن بوينس آيرس، لها نشاط الآن بعد أن كانت مشلولة الحركة وبعد قدوم مبعوث وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية من الكويت، وهو الآن المسؤول عن الشؤون الدينية فيها.

الجمعية الإسلامية الثقافية: مقرها ولاية توكومان التي تبعد عن بوينس أيرس نحو ١٢٠٠ كيلو متر.

الجمعية العربية الإسلامية: مقرها ولاية قرطبة التي تبعد عن العاصمة نحو ٧٠٠ كيلو متر، نشاطها إسلامي ثقافي عربي، وهي من أقدم الجمعيات الإسلامية في الأرجنتين، حيث تأسست في سنة ١٩٢٨.

الجمعية العربية الإسلامية: مقرها ولاية مندوسا التي تبعد عن بوينس أيرس قرابة ١١٠٠ كيلو متر وتعتبر من أحسن الجمعيات الإسلامية في الأرجنتين لنشاطها وحركتها الدائمة.

جمعية الشباب الإسلامي: مقرها في ولاية قرطبة، وتعني بشؤون الشباب الإسلامي.

المركز الإسلامي: بمدينة ماردي لا بلاتا وهو مؤسسة حديثة تم انشاؤها في سنة ١٩٩٢ من مجموعة من الشباب المتحمس للعمل الإسلامي، ولا يوجد مقر لها، ومقرها المؤقت الآن الذي تجرى فيه الاجتماعات هو بيت رئيس مجلس الإدارة الحالي.

المنشآت الإسلامية الدينية: توجد في العاصمة وضواحيها ممتلكات للجالية الإسلامية، وهي مسجد بوينس أيرس والمقبرة الإسلامية، ويمكن اعتبارهما من الممتلكات المشتركة لجميع المسلمين، حيث توجد لجنة للمقبرة وأخرى للمسجد، هاتان اللجنتان هما اللتان تشرفان على إدارة شؤون كل منهما، كما توجد مقابر إسلامية في الداخل مثل مندوسا وغيرها، ويوجد في حي فلورس في العاصمة مسجد التوحيد وهو عبارة عن بيت حوِّل إلى مقر للصلاة اشترته السفارة الإيرانية للمسلمين الشيعة في أوائل الثمانينات.

عدد المسلمين في الارجنتين يقارب ثلاثة ارباع المليون يحتاجون الدعم المتواصل ليكملوا مسيرتهم

المشكلات والحلول

□ ما العقبات التي تواجه المسلمين وهل وجد لها حل؟

ـ العقبات التي تواجه المسلمين والقائمين على العمل الإسلامي في الأرجنتين هي:

ـ غياب الوعي الديني والتفقه في الدين الإسلامي.

ـ إهمال ممارسة الشعائر الدينية.

ـ عدم العناية بتعليم اللغة العربية بالشكل المطلوب والمفتوح أمام الجميع.

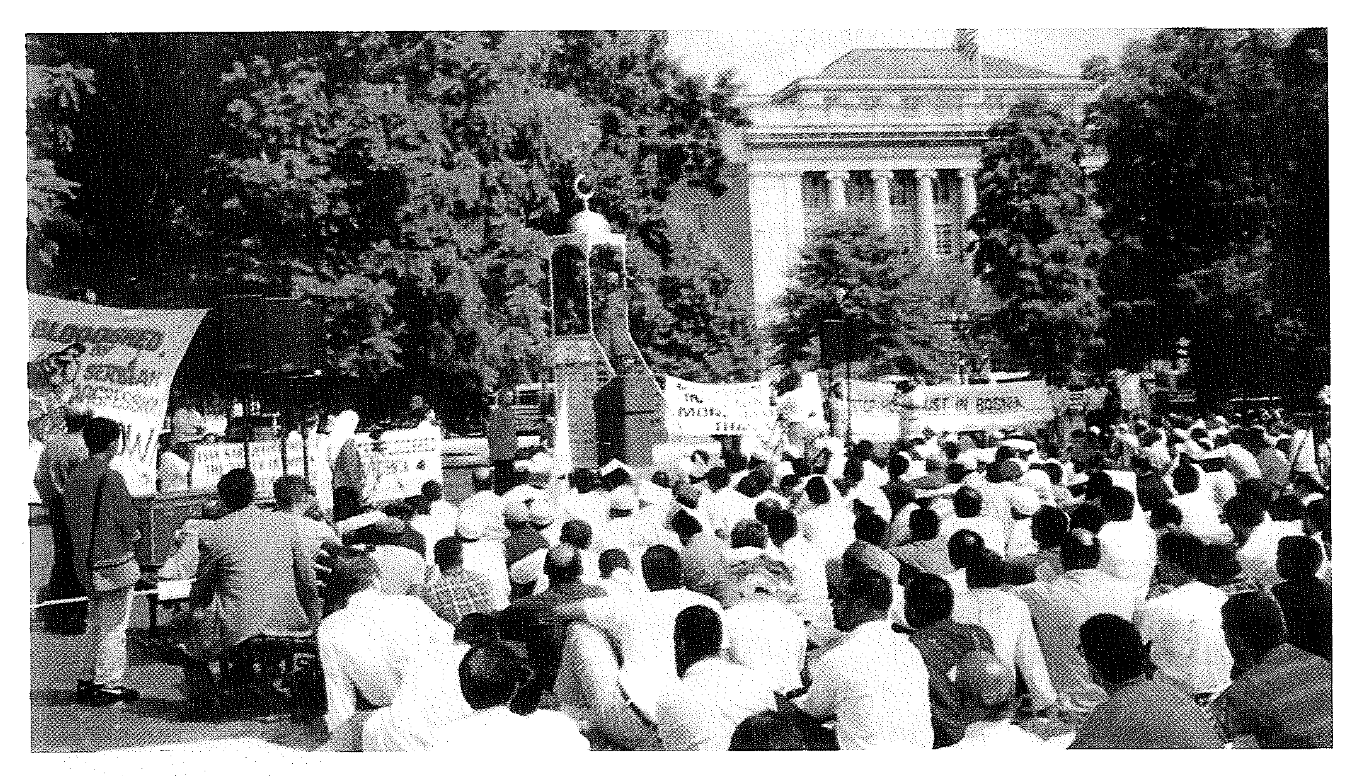
ـ عدم توافر الموارد المالية اللازمة.

ـ عدم توافر الدعاة الذين يجيدون لغة أهل البلد في الكثير من المناطق.

ـ انتشار الغايات الفردية والمصالح الشخصية وكثرة المتعيشين.

ـ غياب العناية بالأطفال والشباب إلا فيما ندر.

ـ عدم وجود هيئة وقف إسلامي.



- عدم تواجد المدارس الإسلامية والعربية لتكون بديلاً عن المدارس الأرجنتينية.
- عدم توفر المطبوعات الإسلامية في اللغة الإسبانية، كذلك عدم توفر الكتب والمكتبات.
- عدم التنسيق بين الجمعيات الإسلامية المتواجدة في جهودها ونشاطاتها، مما يجعل عمل الكثير منها يذهب سُدى.
- عدم وجود الاتصال فيما بين المسلمين على المستويات كافة سواء كانت فردية أوعائلية أوجمعيات وتنظيمات .
- النقص في إلقاء المحاضرات والندوات الدينية بشكل عام وواسع.
- عدم توافر مجموعة من الأفراد المثقفين المتفرغين للعمل الإسلامي.
- البحث عن الطريق السليم لإيجاد قيادات إسلامية مدركة لمسؤوليتها والتي تمثل الجالية بحق، وتتبنى مشاكلها بأمانة وإخلاص، إضافة إلى تطبيقها للعقيدة الإسلامية في شؤون حياتها.
- إحياء الدور الفعلي للمسجد كما هو في الإسلام، وليس جعله مكاناً للتشريفات وإحياء المناسبات والأعياد فقط.
- دور الإعلام من صحافة وإذاعة وتلفاز في تشويه الإسلام واتهامه بالإرهاب.

كما أن الحلول المقترحة الواقعية والسهلة التحقيق هي:

- القيام بدراسة مفصلة ودقيقة عن احتياج الجالية الإسلامية في هذا البلد.
- عمل برنامج مكثف من ندوات ومحاضرات ولقاءات ودروس ووعظ وإرشاد ولقاءات تربوية وفكرية هادفة.
- الشعور التام بالواجب والإحساس بالمسؤولية بين الشباب المسلم.
- العمل وبأسرع ما يمكن على إصدار صحيفة يومية أو أسبوعية معبرة وناطقة باسم الجالية الإسلامية مع ضرورة الاكتفاء الذاتي من الناحية المادية لهذه الصحيفة.
- إيجاد الترجمة الصحيحة والموثوقة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الإسبانية.
- تنشيط الجالية الإسلامية في المناطق التي لا يتواجد فيها جمعية أو مركز إسلامي والعناية بهم.
- التربية والتعليم الإسلامي وبخاصة للجيل الجديد.
- حضور المنظمات والمؤسسات الإسلامية العالمية في أوساط الجالية لمساعدتها في التخطيط والتعاون والتنسيق بين الجمعيات الإسلامية المحلية والمنظمات العالمية، وإرسال الدعاة.
- إقامة المساجد في المناطق التي لا توجد فيها.
- العمل الإعلامي على نشر حقائق عن الإسلام وتكذيب كل ما ينشر ضد الإسلام وما يدس من سموم، والعمل أيضاً على نشر التراث الإسلامي.
- إنشاء صندوق للمساعدات الخيرية والصحية والإغاثة، الخاصة بالعجزة والفقراء والعناية بالمرضى.
- اتخاذ موقف موحد ما بين المسلمين في كثير من المسائل مثل حالات الزواج والوفاة والدفن... إلخ.
- العمل على توحيد المسلمين في اتحاد عام في المنطقة. يعمل على توحيد الآراء والعمل المشترك.
- حث المسلمين في هذا البلد بالشعور بالمسؤولية والمساهمة الفعالة، وخاصة من الناحية المادية.
- إيصال البث «التلفزيوني» الفضائي لهذه المنطقة من الدول العربية، حتى يتعود أبناء الجالية السماع والتحدث باللغة العربية.■

> الكويت قدمت ما يصل إلى ٩٠٪ من المساعدات ولم تبخل علينا بالمال والدعاه

استطلاع

تضم القاهرة مجموعة كبيرة من العمارة والآثار الاسلامية التي أنشئت خلال العصور الاسلامية السابقة وعلى رأس هذه الآثار يأتي جامع عمرو بن العاص الذي يعد الأثر الوحيد الباقي من مدينة الفسطاط أولى عواصم مصر الإسلامية، والمسجد عرف بأسماء عدة منها جامع الفتح وتاج الجوامع والجامع العتيق.

■ شارك في بناء المسجد ثمانون رجلا من أصحاب الرسول ﷺ وزيدت مساحته عن المساحة الأولى ست عشرة مرة



■ صحن وأروقة المسجد من الداخل

■ جامع عمرو بن العاص هو رابع مسجد في الاسلام والأول في مصر وافريقيا بعد مساجد المدينة والكوفة والبصرة

العمارة الإسلامية في جامع عمرو بن العاص في القاهرة



■ مآذن مسجد عمرو بن العاص وصوامعه خير دليل على عظمة العمارة الاسلامية

بقلم ـ أحمد أبوزيد

ويعتبر أول مسجد يقام في مصر وأفريقيا كلها ورابع مسجد أقيم في الإسلام بعد مساجد المدينة والكوفة والبصرة، وقد تعرض المسجد ـ طوال العصور التالية لإنشائه ـ لأعمال الترميم والزيادة والاضافات حتى استقرت مساحته كما هي عليه الآن على هيئة مربع منتظم طوله نحو ١٢٠ مترا وعرضه نحو ١١٠ أمتار بزيادة ١٦ مرة عن مساحته الأولى.

واهتمام مصر بهذا الجامع الأثري الرائع الذي يمثل عظمة العمارة الإسلامية خلال العصور السابقة جعل وزارة الأوقاف المصرية منذ مايزيد على العام تصدر قرارا بتحويل مسجد عمرو بن العاص إلى مركز اسلامي متكامل، وانشاء لجنة لتصميم مشروع متكامل لترميم المسجد والسور المحيط به والذي تهدم جانب منه أخيرا، ورصدت الوزارة ميزانية مفتوحة لاتمام هذا المشروع الضخم.

بساطة التصميم

المسجد في شكله الحالي يمتاز ببساطة التصميم والتخطيط فهو عبارة عن صحن مكشوف تحيطه أربعة أروقة أكبرها رواق القبلة بأعمدته الرخامية المختلفة الطُرز، والتي لا تزال بعض ألواحها الخشبية تحمل زخارف بيزنطية.

وقد بناه عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عام ٢١ هـ بعد أن أتم فتح مصر ليكون أول مسجد جامع بمصر وكانت مساحته (٢٨,٩٠×١٧,٢٤ متر) وكان في بادىء الأمر مغطى بالجريد ومشيداً على قوائم من جذوع النخل، وجاء إنشاؤه في مدينة الفسطاط بحيث يشرف على النيل، واتخذه عمرو مركزاً لتخطيط العاصمة فبنى بجواره داراً له واختط الجند دوراً حوله وقد سميت دار عمرو بالدار الكبرى تمييزا لها عن الدار التي بناها لابنه عبدالله وعرفت بالدار الصغرى، وحول المسجد أقيمت أحياء المدينة التي سميت بأسماء القبائل التي اشتركت في فتح مصر.

بناة المسجد

كان جامع عمرو بن العاص على حد وصف الليث بن سعد تحيطه الحدائق والأعناب، واختلف المؤرخون حول مكانه فمنهم من ذكر أنه أقيم مكان خان قديم، ومنهم من يعتقد أنه بني على أطلال دير قديم، ويحكي (هيبره بن أبيض) أن (قسيمة بن كلثوم) وهو من أصحاب عمرو سار معه من الشام إلى مصر أثناء الفتح فرأى حدائق بالقرب من حصن بابليون الموجود حتى الآن فعرج إليها وأقام فيها ثم خرج مع عمرو وترك أهله فيها وبعد أن تم لعمرو فتح مدينة الإسكندرية عاد قسيمة إلى أهله واختط عمرو داره مقابل تلك الحدائق، وتشاور المسلمون حول مكان مسجد المدينة الجامع فاتفقوا على أن يكون في نفس مكان دار قسيمة، فرحب قسيمة وقال لاخوانه (إني ملكت هذا المنزل ويسعدني أن أتصدق به للمسلمين) وذكر (علي باشا مبارك) في خططه التوفيقية أن ثمانين رجلا من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ اشتركوا في اقامة جامع عمرو منهم: الزبير بن العوام وعبادة بن الصامت والمقداد وأبو الدرداء وفضالة بن عبيد وعقبة بن عامر ـ رضي الله عنهم جميعا ـ وذكر عبدالله بن أبي جعفر أن الذي أقام محراب جامع عمرو هو الشيخ عبادة بن الصامت ورافع بن مالك.

وكان للجامع الأصلي بابان أمام دار عمرو، وبابان في الجهة البحرية وبابان في جهته الغربية، واختار عمرو موقع جامعه على الضفة الشرقية لنهر النيل ولكن أخذ مجرى النيل ينتقل تدريجيا نحو الغرب حتى صار يبعد الآن عن الجامع نحو خمسمائة متر. وكنتيجة لما أضيف للجامع من زيادات وما أجرى به من إعمار، ولم يبق شيء من بناء عمرو غير مساحة الأرض التي كان قد بني عليها وتقع في النصف الشرقي من رواق القبلة، أي على يسار الواقف في رواق القبلة تجاه المحراب.

أقدم الطُرز المعمارية

يمثل جامع عمرو أقدم الطُرز المعمارية لبناء المساجد وأهمها وهو الطراز المستوحى من عمارة الحرم النبوي الشريف أي طراز الجامع الذي يتألف من صحن مربع أو مستطيل يحيط به أروقة أربعة أعمقها رواق القبلة.

وقد استوحى عمرو في تخطيط الجامع وفي العلاقة بينه وبين داره مسجد النبي ﷺ وداره في المدينة المنورة إذ بنى عمرو داره خارج المسجد في شرقه محاذية لجداره وترك بينها وبين المسجد طريقا يبلغ عرضه نحو أربعة أمتار، وهذا الطريق يحيط بالمسجد من جهاته الأربع. ويقال إنه استخدم في أول الأمر منبرا يخطب فوقه، وحينما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أرسل إليه من يقول له:

(أما يكفيك أن تقوم قائما والمسلمون جلوس تحت عقبيك) ومن المرجح أن المنبر الذي أقامه عمرو في مسجده كان على نفس نمط المنبر الذي صنع للنبي ﷺ سنة ٧ هجرية وكان يتكون من ثلاث درجات فقط.

وقد امتثل عمرو بن العاص لرسالة عمر بن الخطاب وأزال المنبر.

أكبر عمارة تمت لهذا المسجد كانت في العهد العباسي، كما أصابه الحريق مرتين في العصرين الطولوني والفاطمي

مراحل إعمار المسجد

كان لمسجد عمرو بن العاص نصيب كبير من الاصلاح والإضافة حتى ظهر بمظهره الحالي، فكل من تولوا حكم مصر بعد عمرو بن العاص اهتموا بهذا الجامع العتيق، فهدم بعد إنشائه بنحو ٢٥ عاما عن آخره وأعيد بناؤه، ثم أضيف إليه بعد ذلك زيادات في عصور مختلفة، وتوالت عليه الإصلاحات والبنايات الجديدة التي جاءت بقصد التجديد أو الترميم أو التجميل حتى تغيرت معالمه المعمارية والزخرفية القديمة، ولم يبق أثر واحد من بنائه الأصلي. ومانراه اليوم هو التجديد الضخم الذي أقامه عبدالله بن طاهر سنة٨٢٧م والذي ترتب عليه وصول مساحة المسجد الحالية إلى ستة عشر ضعفا من المساحة التي كان عليها في زمن إنشائه.

هدمه واعادة بنائه

في عهد مسلمة بن مخلد الأنصاري والي مصر من قبل الخليفة معاوية بن أبى سفيان هدم المسجد وزادت مساحته من ناحية الجانب المواجه للقبلة وتم تجميله بكسوته بالطلاء وزخرفة جدرانه وسقوفه وفرشت أرضه بالحصر بدلا من الحصاء، وزود الجامع بوحده معمارية صارت أساسا لظهور أحد المعالم المهمة في تصميم المساجد ونعني بذلك المئذنة فبنى (مخلد) أربع صوامع في أركان الجامع ليلقى من فوقها الأذان ونقش اسمه عليها وأمر بأن يؤذن المؤذنون منها في وقت واحد.

ولقد امتدح عابد بن هشام الأزدي ماقام به والي مصر مسلمة بن مخلد الأنصاري في

جامع عمرو فقال:

لقد مدت لمسلمة الليالي
على رغم العداة مع الأمان
وساعده الزمان بكل سعد
وبلغه البعيد من الأماني
أمسلم فارتقي لازلت تعلو
على الأيام مسلم والزمان
وكم لك من مناقب صالحات
وأجدر بالصوامع للأذان
كأن تجاوب الأصوات فيها
إذا ما الليل ألقى بالجران
كصوت الرعد خالطه دوي
وأرعب كل مختطف الجنان

وقد سبق بناء هذه الصوامع بناء المآذن الأربعة ذات التخطيط المربع التي أقيمت سنة٩١هـ بالحرم النبوي الشريف في المدينة المنورة في عهد الوليد بن عبدالملك، والتي كانت مقدمة للمئذنة المصرية الأولى التي أقامها «قرة بن شريك» في جامع عمرو نفسه العام٩٢هـ وحينما هدم الجامع وأعاد بناء من جديد.

توسعة عبدالعزيز بن مروان

عندما تولى عبدالعزيز بن مروان حكم مصر من قبل أخيه الخليفة عبدالملك بن مروان أجرى بالجامع عمارة تضمنت توسعته وعمل على أن يوفر للمسجد وسائل الهدوء والوقار فرتب به قراءة المصحف وكان أول من فعل ذلك ومما يذكر هنا أن عبدالعزيز بن مروان دخل المسجد بعد أن انتهت أعمال التعمير والتجديد فيه فلم يعجبه أمر المصلين فأمر بغلق أبواب المسجد وعدم السماح لأحد بالخروج منها واستدعى المصلين فردا فرداً فسأل أحدهم: هل أنت متزوج؟ فقال: لا. فأمر بأن يزوجوه، وسأل آخر: أحججت؟ فقال لا فأمر بأن يحججوه، وسأل آخر: أعليك دين؟ فقال نعم، فأمر بأن يقضوا دينه، فأصبح مسجد عمرو بعد ذلك عامرا بالخيرات.

وقد استوحت عمارة جامع عمرو في كثير من مظاهرها عمارة الحرم النبوي الشريف في المدينة المنورة، والتي تمت في عهد الوليد سنة ٩١هـ حيث ادخلت في عمارة الحرم الشريف مساكن زوجات النبي، وادخلت دار عمرو ودار ابنه عبدالله في رقعة جامع عمرو، وكذلك زود كل منهما بمحراب مجوف وتشابه التصميم العام بينهما من حيث الصحن والأروقة، وكان لكل هذه المظاهر أثرها الكبير في عمارة المساجد في مصر.

وقد أقام قرة بن شريك في جامع عمرو منبراً من الخشب كان بداية لإقامة المنابر في مساجد مصر كلها بعد ذلك.

عمارة الجامع في العصر العباسي

وفي العصر العباسي استمر الاهتمام بعمارة جامع عمرو بن العاص حيث قام صالح بن علي بتوسعته من الشمال الغربي فأضاف إليه دار الزبير ابن العوام - رضي الله عنه - والتي كانت تقع إلى الشمال الشرقي من الجامع، أما العمارة الأساسية للجامع في هذا العصر فتمت على يد عبدالله بن طاهر والي مصر من قبل الخليفة المأمون سنة ٢١٢هـ-٨٢٧م وكان الجامع قبلها طويلا وضيقا فقام عبدالله بتوسعته من جهة العرض حيث أضاف إليه من جانبه الجنوبي الغربي مساحة تعادل مساحته قبل العمارة، وبذلك تضاعفت مساحة الجامع وحدث توازن بين طوله وعرضه، وبهذه الزيادة استقرت حدود الجامع حتى الوقت الحاضر وصار الجامع على هيئة مربع منتظم طوله نحو ١٢٠متراً وعرضه نحو ١١٠أمتار.

وكان اتساع جامع عمرو بعد عمارة عبدالله بن طاهر سببا في إقبال طلاب العلم اليه وإلى زيادة حلقات الدرس فيه خصوصاً وأن الإمام الشافعي كان قدم إلى مصر العام ٢٠٠هـ وألقى في المسجد دروسه في الفقه وعرف المكان الذي كان يلقي فيه هذه الدروس باسم زاوية الامام الشافعي، وصار يحرص على التدريس فيه بعد ذلك كبار الفقهاء والعلماء، ففي سنة ٣٢٦هـ بلغت حلقات الدروس في الجامع ٣٣ حلقة منها ١٥ حلقة للشافعية و١٥ للمالكية و٣ حلقات للحنفية وزادت هذه الحلقات بعد ذلك حتى بلغت ١١٠حلقات في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري.

> استوحيت عمارة المسجد من المسجد النبوي في المدينة وسمي بجامع الفتح، وتاج الجوامع والعتيق

أحمد بن طولون واهتمامه بالجامع

وفي عصر الدولة الطولونية وعلى الرغم من أن أحمد بن طولون قد شيد جامعا كبيرا عرف باسمه ولايزال باقيا بمعظم معالمه الأصلية حتى اليوم إلا أنه اهتم بجامع عمرو بن العاص وبمكانته وقد سيته باعتباره الجامع العتيق وأول جامع بني في مصر، ومن ثم ظل جامع عمرو وهو الجامع الأساسي الذي تقام فيه الصلوات وتعقد فيه الجمع والاجتماعات.

وفي هذا العصر قام أبو أيوب أحمد محمد ابن شجاع بإضافة مساحة جديدة للمسجد أمام واجهته الرئيسية وصارت تعرف لذلك بـ(رقية أبي أيوب).

وفي عهد خمارويه بن أحمد بن طولون اجتاح جامع عمرو حريق سنة٢٧٥هـ دمر معظم القسم الذي بناه عبدالله بن طاهر فأمر خمارويه بعمارة الجامع وترميمه وإعادته إلى ماكان عليه.

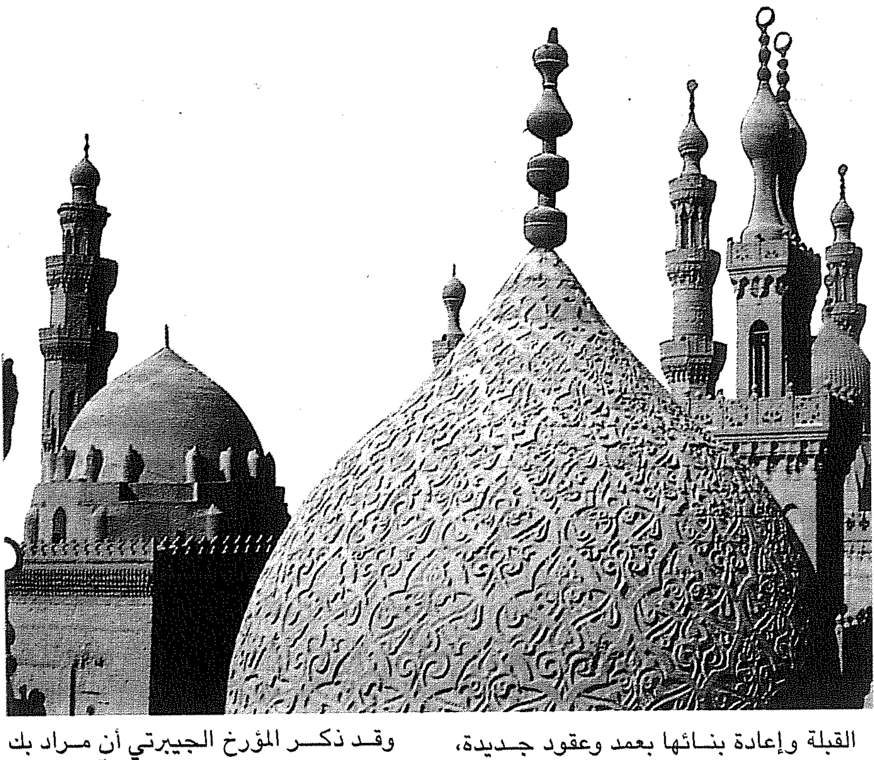
الجامع في العهدين الأخشيدي والفاطمي

وفي عهد الاخشيديين تم طلاء أعمدة الجامع بماء الذهب وأقيمت صومعة في سطحه ليؤذن فيها المؤذنون.

وفي العصر الفاطمي لم يفقد جامع عمرو مكانته رغم قيام الفاطميين بإنشاء القاهرة والجامع الأزهر فقد ظل جامع عمرو هو المسجد الجامع للفسطاط، وحرص

الفاطميون على عمارة الجامع وتجميله وتزويده بالأثاث الفخم حتى بلغ أوج ازدهاره، وقد تمت أهم الأعمال في عهد الحاكم بأمر الله حيث جدد بياض المسجد وأقام رواقين على (كمد) من حجر بدلا من الأعمدة الخشبية، وأمر بأن يزود الجامع بألف ومائتين وثمانية وتسعين مصحفا شريفا بعضها مكتوب بالذهب، كما أمر بإقامة «تنور» ضخم لانارة الجامع تكلف مائة ألف درهم فضة وعلق في الجامع في احتفال كبير، كما أمر أيضا بتزويد الجامع بمنبر كبير فأقيم منبر ذهبي فخم نقلة (الحاكم).. بعد ذلك إلى جامع عمرو بالاسكندرية، وظل جامع عمرو محتفظا بالمنبر الخشبي الذي أقامه قرة بن شريك العام ٩٤هـ، ويعتبر أقدم منبر في الاسلام بعد منبر الحرم النبوي في المدينة المنورة.

وفي عهد المستنصر بالله تمت عدة أعمال لتجميل وتعمير مسجد عمرو وزود الجامع بمحاريب خشبية كما زود بمئذنة أقامها القاضي أبوعبدالله أحمد أبى زكريا سنة ٤٤٥هـ، كما شيدت في المسجد مئذنتان أخريان سنة ٥١٥هـ في عهد الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي عرفت الأولى بالمئذنة الكبيرة والأخرى بالمئذنة السعيدية.



حريق هائل

وفي نهاية العصر الفاطمي تعرض جامع عمرو لخسائر كثير بسبب الحريق الهائل الذي أشعله الأمير «شاور» وزير الخليفة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين في مدينة الفسطاط ليمنع دخول قوات عموري ملك بيت المقدس فسطاط مصر، وظلت آثار هذا الحريق في الجامع حتى أمر الناصر صلاح الدين الأيوبي بإعادة عمارته وتجديده سنة٥٦٨هـ.

العمارة في العصر المملوكي

وعندما جاء العصر المملوكي اهتم سلاطين المماليك بجامع عمرو فأجريت به بعض الأعمال بقصد الترميم والتجميل والصيانة، فقام عز الدين أيبك بعمليات تجديد شاملة في الجامع، وقام الظاهر بيبرس سنة٦٦٦هـ بهدم واجهة إيوان القبلة وإعادة بنائها بعمد وعقود جديدة، وفي عهد السلطان منصور قلاوون جددت عمارة الجامع، وأجريت تجديدات أخرى له في عهد الناصر محمد بن قلاوون وتعتبر من وجهة النظر الأثرية والفنية من أهم الأعمال التي أجريت للجامع في العصر المملوكي.

وفي العصر العثماني لم يحظ جامع عمرو باهتمام الولاة اللهم الا في عهد مراد بك الذي تولى حكم مصر قبل دخول الفرنسيين إليها إذ أمر بإعادة تعمير المسجد وترميمه واعداده للصلاة وتمت عمارته في ١٢١٢هـ-١٧٩٧م، وقد أعادت هذه العمارة للجامع أهميته حيث أعيد بناؤه من جديد وتم تبييضه وتجديد سقفه وفرشه بالحصر وتزويده بالقناديل.

> اختاره الامام الشافعي لإلقاء الدروس فيه ثم تبعه من بعده الفقهاء والعلماء

وقد ذكر المؤرخ الجيبرتي أن مراد بك صلى بالجامع بعد إتمام عمارته آخر جمعة من رمضان سنة١٢١٢هـ وأحيا بذلك التقليد الذي بدأ في عصر الفاطميين إحياء لذكرى عمرو بن العاص مؤسس الجامع والذي توفي في ليلة عيدالفطر المبارك.

وفي عهد محمد علي أهمل المسجد حتى سقط إيواناه الجانبيان سنة ١٣٠٠هـ-١٨٨٢م على الرغم من الاصلاحات التي أجراها فيه.

وقد تولت بعد ذلك لجنة الآثار العربية ومن بعدها هيئة الآثار المصرية أعمال صيانة وترميم الجامع ليظل رمزا لشموخ العمارة الاسلامية في مصر وغيرها من البلاد الاسلامية ■

المراجع

١- العمارة الإسلامية - د.كمال الدين سامح - مطبوعات معهد الدراسات الاسلامية.

٢- عواصم مصر الاسلامية - حسن الرزاز - سلسلة «كتاب الشعب».

٣- الآثار الاسلامية - مطبوعات الهيئة المصرية العامة للتنشيط السياحي.

٤- جريدة العالم الاسلامي - ١٧ ذوالقعدة ١٤١٥هـ-١٧ أبريل ١٩٩٥م.



حرب الخليج وآثارها

لقد أثارت حرب الخليج الأخيرة اهتماماً عالمياً فاق الاهتمامات السابقة في حروب دامية جرت في العالم بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) وقد نشبت هذه الحرب بسبب غزو النظام العراقي للكويت واحتلاله له في فجر الثاني من أغسطس العام ١٩٩٠م، وامتناعه عن الانسحاب استجابة لقرارات مجلس الأمن التي بدأت منذ اليوم الأول لغزو الكويت واستمرت حتى بعد انتهاء هذه الحرب ووقف إطلاق النار في ٢٨ فبراير ١٩٩١، وقد فاقت هذه الحرب في آثارها الإقليمية والدولية الآثار التي خلفتها الحرب (العراقية الإيرانية ١٩٨٠ ـ ١٩٨٨)، فهذه الحرب التي تسمى حرب الخليج الأولى قامت بالدرجة الأولى بين جيشين وبلدين هما (العراق وإيران) وحصل العراق خلالها على دعم شبه مطلق من دول عديدة عربية وإسلامية وغربية

الأسرى عبر التاريخ بين الضمير العربي.. والقانون الدولي

قضايا دولية

حرب الخليج أثارت اهتماماً عالمياً فاق اهتمامات العالم بالحرب العالمية الثانية (٣٩ـ١٩٤٥)

لا تزال قضية الأسرى والمفقودين الكويتيين قضية معاناة مستمرة في حياة الكويتيين ككارثة صنعها النظام العراقي بعدوانه الآثم على وطن مسالم، فأصبحت هذه القضية الشغل الشاغل للقيادة والشعب الكويتي والعالم العربي.ومن أجل هذه القضية التي تشغل كل مواطن كويتي، فقد قامت اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمفقودين بدور فعال حتى تظل هذه القضية ساخنة دائماً على السطح وللتمسك بحق الأبناء والأخوة في الأسر بحقهم المفقود في الحرية والحياة الكريمة، وتنتهز اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمفقودين كل فرصة لعرض هذه القضية الإنسانية.

وشرقية (وعلى رأس هذه الدول دولة الكويت، التي قدمت للعراق كل دعم خلال حربها مع إيران)، بينما كان الهدف من الحرب إسقاط الثورة الإسلامية في إيران التي حققت انتصارها يوم ١١ فبراير ١٩٧٩م، وشعر العديد من الحكومات الإقليمية وغيرها بأنها مهددة بالسقوط لأن الثورة في إيران أعطت دافعاً قوياً للشعوب المجاورة لتفجر غضبها في وجه أنظمة بعيدة كثيراً أو قليلاً عن رضا شعوبها، واعتقد النظام العراقي أنه بغزوه للأراضي الإيرانية في صبيحة يوم ٢٢ سبتمبر العام ١٩٨٠م، إنما يقوم بمهمة نيابة عن أنظمة المنطقة بأغلبها، وإذا كانت حرب الخليج الأولى (الحرب العراقية الإيرانية) قد كلفت الشعبين الإيراني والعراقي من الخسائر في الأنفس والأموال (والتي فاقت قيمة الخسائر في البلدين بـ ٦٠٠مليار دولار) وقد تركت الحرب آثاراً اجتماعية ونفسية واقتصادية مضرة في البلدين، فإن حرب الخليج الثانية، قد دمرت البقية الباقية من إمكانات العراق الاقتصادية والبشرية والعسكرية، ففي أيام قليلة تمكنت الطائرات الحربية الأمريكية والبريطانية والفرنسية والكويتية من تدمير البنية التحتية للصناعات العراقية،والتي شملت المصانع الحربية ومحطات توليد الطاقة الكهربائية ومصافي النفط والمصانع الكبرى، وطال التدمير معظم الجسور المهمة والطرق في العراق بأسره، إضافة إلى التدمير الذي ألحق بالمنشآت العسكرية كالقواعد الجوية ومخازن السلاح والوقود ووسائل الاتصالات المدنية والعسكرية ومقرات الحكومة المهمة.

مأساة الحرب على الشعب العراقي

إن المأساة العراقية لا تتجسد في الدمار الذي تعرض له العراق فحسب، وإنما لهذه المأساة وجوه عديدة منها، استمرار المقاطعة التي حولت الشعب العراقي إلى شعب فقير يتعرض لخطر المجاعة والمرض والتدني الحضاري بشكل لم تتعرض له احدى شعوب الأرض في تاريخها الحديث، وقد أفادت المقاطعة النظام العراقي كثيراً لتشديد قبضته على الشعب والسيطرة على المتبقي من اقتصاد البلد وتقوية سلطته،إلا أنها أضعفت احتمال المقاومة الشعبية وتركت الناس مشغولين بزادهم اليومي، ومازالت الدول الكبرى تصر على المقاطعة رغم المطالب المتزايدة بضرورة فكها شريطة أن يتم الإشراف دولياً على توزيع المساعدات والموارد على الشعب بإشراف دولي وضمن القرار (٦٨٨) وهو القرار الوحيد الذي لا يفرض إلزاماً على الحكومة العراقية بالتطبيق، كما يصر المجتمع الدولي على حل قضية الأسرى والمحتجزين لدى العراق بأسرع وقت ممكن، حتى يمكن فك المقاطعة الدولية.

> قضية الأسرى تطورت تطوراً كثيراً من القتل والتعذيب والاسترقاق إلى صون حياتهم وبدنهم وحقوقهم

الدروس المستفادة

ودروس حرب الخليج كثيرة ومتنوعة وشاملة تطال الحياة العادية للشعوب وتمس الأبعاد الحضارية لحضارات متباينة متصارعة على مدى القرون، كما أن دروس هذه الحرب لا تتقيد بالحدود الحربية ولا بالحدود الجغرافية للصراع، فإن الاستفادة منها لا يمكن أن تقتصر على الذين خاضوها وقرروا حدودها وإنما تتعدى ذلك إلى جميع الشعوب الحية الراغبة في تحقيق مصالحها في عالم مزدحم بتضارب المصالح وتقاطع التوجهات وتقابل الضغائن والأحقاد، وقد تكون استفادة الشعوب أو الحكومات التي كانت تبتعد عنها مسافة بعدت أم قربت أكثر من تلك التي تورطت فيها ودفعت الثمن باهظاً، ومازالت حرب الخليج حتى الوقت الراهن تتصدر صفحات الصفح الأجنبية والعربية، لقد كان لسياسات الرئيس العراقي صدام حسين التي تتصف بالمجازفة والتهور والأحقاد على الشعوب المجاورة دور أساسي في إظهار صورة العراق المخالفة لطبيعتها.

قضية الأسرى عبر التاريخ

تطورت قضية الأسرى عبر التاريخ الحديث، تطوراً كبيراً في موضوع معاملة أسرى الحرب، من القتل والتعذيب والاسترقاق، إلى معاملة نصت عليها القوانين والمعاهدات الدولية لتقنين معاملة الأسرى وصون حياتهم وبدنهم وحقوقهم، فمع بداية الحضارة الإنسانية كانت تستخدم الأسرى في استعبادهم واسترقاقهم واستغلال قوتهم وتسخيرهم في الزراعة بدلاً من قتلهم وتعذيبهم، فقد لجأ المنتصر في الحرب إلى إسناد الأعمال الشاقة إلى الأسرى، مثل إقامة الجسور وشق الترع وإقامة الطرق وأعمال البناء والعمل في المناجم. فمنذ تدوين تاريخ البشرية، تم تسجيل لوحات تبين انتصارات بعض الدول في الحروب، وهذا ما فعله المنتصر بأسراه.

الأسرى في عهد السومريين

ومن ذلك ما يعرف بـ (لوحة العقبان) التي خلدت ذكرى السومريين على دولة (أدما) العام ٢٩٠٠ قبل الميلاد، حيث سجل في هذه اللوحة صورة الملك وقواته وبعض أسراهم، ومنها (لوحة النصر) والتي تحكي انتصارات أحد ملوك الدولة السومرية على أعدائه وأسره لثلاثة ملوك وتكبيلهم، ويحدثنا تاريخ السومريين عن بيع أسراهم عبيداً، وذبحوهم خلال المعارك عندما كثرت أعدادهم، كما اعتاد السومريون ذبح عشرة من الأسرى قرباناً لآلهتهم ولإظهار قوتهم وإدخال الإرهاب في نفوس أعدائهم وقد امتلأت قصور الملوك السومريين بالعبيد من الأسرى واستخدموهم في الزراعة وخدمة المعابد، حيث كان الأسير يستعبد ويصبح ملكاً لسيده يفعل به ما يشاء، وكان السيد يعاقب أسيره بقسوة بالغة إذا ما حاول الهرب، ثم رأى السومريون أن يظل العبد قوياً ليقدر على آداء الأعمال التي يكلفوه بها، فبدأوا في تحسين معاملتهم، وبدأت تستقر للعبد حقوقه المدنية، فدخل في المعاملات التجارية وكان بوسعه أن يستدين النقود ويشتري حريته، ويروي لنا التاريخ أنه في هذه الأونة كان سعر العبد أقل من الدابة.

الأسرى في عهد حمورابي

أما في عهد حمورابي فكانت معاملة الأسرى حسنة، وكان العبيد يمنحون بعض الحقوق والضمانات، حيث كان السيد مسؤولاً عن دفع أجر الطبيب الذي يعالج العبد وكان مسؤولاً عن إطعامه دون مقابل في حالة مرضه وشيخوخته، كما كان من حق العبد أن يتزوج من حرة، فيكون أولاده أحراراً، وكان من حقه أن يتملك العقار والمنقولات، كما كان السيد يوكل إلى عبده القيام ببعض الأعمال التجارية، وكان يمنحه جزءاً من الربح، حيث يمكنه فيما بعد أن يشتري حريته.

الأسرى في عهد الأشوريين

أما تاريخ أسرى الأشوريين، فكان أسوأ حالاً، إذ كان الأشوريون اصحاب غلظة وقسوة، فإذا دخلوا مدينة دمروها وتفننوا في وسائل قتل وتعذيب أهلها والتنكيل بهم، وكان الأسير يعتبر عبداً، وكثيراً ما قام الأشوريون بقتل جميع أسراهم تخلصاً من أعباء إطعامهم أو إذا خشوا من أن يشكل الأسرى خطراً على مؤخرة جيوشهم، وكان ملوك أشور يرأسون هذه المجازر، فيأمرونهم بالركوع ثم يضربون رؤوسهم بالهراوات أو تقطع رقابهم بالسيوف، بينما يقوم الكتبة بإحصاء القتلى من أسرى أعدائهم لمعرفة خسائر العدو ليقدروا حصة الجند من الأنفال، ويذكر التاريخ أن الملك الأشوري سنحاريب الذي تولى العرش العام ٧٠١ قبل الميلاد، أنه استولى على ست مدن وأسر أكثر من مائتي ألف، واستخدم أسراه في تشييد القصور والمعابد وبناء العاصمة والزراعة وشق الترع، كما قام بتدمير مدينة بابل وسواها بالأرض وحول مجرى أحدى الترع الكبيرة وسلطه على الأنقاض ليزيل معالم المدينة، كما استخدم أسراه بدلاً من دواب الحمل، حيث أمرهم بجر العربات المحملة بالخشب.

> وضع النظام العالمي الجديد بعد الحرب العالمية الثانية ميثاقاً يعزز السلم والأمن الدوليين ووضع ضمانات حماية الإنسان

الأسرى في عهد اليهود

أما اليهود لا يزالون أكثر الأقوام غلظة ووحشية وهمجية، فكانت معاملتهم لأسراهم غاية في السوء وربما كانت أشد قسوة من الأشوريين، فحينما هزم اليهود الكنعانيين قتلوا كل من استطاعوا قتله منهم وسبوا من بقي حياً من نسائهم، وقد اعتاد اليهود عبر تاريخهم قتل الذكور، إذا ما أحرزوا نصراً في حرب، وكذا قتل الأطفال والنساء والشيوخ، وتدمير الممتلكات والمنشآت، ويروي التاريخ أن اليهود كانوا يشترون الأسرى الذين أسرهم الفرس عندما فتحوا بيت المقدس العام ٦١٥م حتى يتمتعوا بقتلهم.

قضية الأسرى بين الحرب العالمية الأولى والثانية

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، ظهرت الحاجة الماسة إلى وضع نظام جديد للعالم يضمن سيادة القانون ونبذ الحرب، فتم توقيع ميثاق عصبة الأمم، والتي نصت مقدمته على تعزيز التعاون الدولي وتحقيق السلم والأمن الدوليين، وكان طبيعياً أن يشرع العالم في إعادة النظر في «اتفاقية جنيف ـــ ١٩٢٩ بعد أن تأكد من عدم فاعليتها خلال الأحداث المأساوية للحرب العالمية الثانية، فاتجه العالم نحو إعادة دراستها والعمل على وضع ضمانات لتنفيذها واحترام بنودها، حماية للإنسان وكرامته وحقوقه، وبعد نحو أربع سنوات تم توقيع اتفاقية جنيف في الثاني عشر من أغسطس العام ١٩٤٩، ولا شك أن هذه المعاهدة جاءت وليدة الحاجة الملحة التي فرضتها ظروف الحرب العالمية الثانية، كما أنها وليدة معاهدة جنيف لعام ١٩٢٩، بعد إدخال التعديلات اللازمة عليها، وكان موضوع أسرى الحرب خاص مراحل عديدة عبر التاريخ وتطور طبقاً لظروف المجتمع الدولي، وبالفعل جاءت القوانين والمعاهدات الدولية لتحكم وتمنع الحرب، فقد وضعت لها قواعد، وعبر تاريخ الحروب تطورت تلك

القواعد، وبعد أن شهدت العصور السحيقة والوسطى مآسي وآلام الحرب، حيث كانت الحرب فوضى لا تحكمها قوانين أو قواعد، وكانت عبارة عن مجازر وحشية، بدأت مفاهيم الرحمة الإنسانية تدب في فكر الإنسان، وكان لظهور الأديان السماوية أثر كبير في هذا لتطور فضلاً عن التطور الفكري والاجتماعي، فظهرت أفكار نادت بضرورة وقف أعمال العنف عند حد تحقيق الغرض من الحرب، وتحريم أعمال القسوة دون مبرر، وأدى ذلك إلى تطور قواعد الحرب وتنظيم حقوق وواجبات المحاربين حتى أصبحت قواعد الحرب ملزمة لدول العالم.

نص الاتفاقية

فقد نصت اتفاقية الصليب الأحمر العام ١٩٢٩م على وجود قيام الدولة بإبلاغ قواتها المسلحة والأشخاص المعنيين برعاية المرضى والجرحى أثناء الحرب، وإصدار تعليمات تتفق وقانون الحرب لتحقيق ذلك، والعمل على إلزام الجيوش بذلك، كما أوجبت المعاهدة إلحاق مستشارين قانونيين بالجيوش لإرشاد القوات المسلحة بحقوقهم وواجباتهم، وحثت المعاهدة الدول على النص في قوانينها على معاقبة كل من يخالف قانون الحرب سواء من رعاياها أو من الجيوش الأخرى، وإنشاء محاكم الغنائم على إقليم الدول المتحاربة لاحترام أحكام قانون الحرب، كما خولت الاتفاقية الدول حق معاقبة من لا يلتزم بقانون الحرب،

ولا سيما الأسرى المخالفين لهذه القواعد، ومن أمثلة تلك المخالفات، الإجهاز على الجرحى ـ السرقات أثناء العمليات العسكرية ـ وهذه المخالفات قامت بها القوات العراقية علانية أثناء غزو دولة الكويت.

وقد اتجه الفكر العالمي في أعقاب الحرب العالمية الأولى والثانية إلى معاقبة مجرمي الحرب الذين أخلوا بقوانين الحرب، كما اتجه إلى التفرقة بين جريمة إشعال حرب الاعتداء، وجرائم الحرب التي ترتكب أثناء الحرب.

قضية الأسرى بين القوانين والمعاهدات الدولية

لم تكن الحرب على مر العصور خاضعة لقوانين أو معايير أو مقاييس تلتزم بها الدول المتحاربة، فكانت فوضى وهمجية ودماراً، وقد نشأت تلك القواعد بحكم العرف في البداية، ثم عقدت عدة معاهدات في مراحل تطور البشرية، حيث بدأت المعاهدات العسكرية بتنظيم اتفاقات تسليم وتبادل الأسرى، ومعاملة الجرحى والمرضى والمدنيين، ثم جمعت هذه القواعد وإعادت صياغتها الحكومة الفرنسية ما بين عامي (١٧٩٢ و ١٧٩٣) بشأن أسرى الحرب، وكذا القواعد التي أصدرتها بريطانيا وفرنسا أثناء حرب القرم وقد تحولت معظم القواعد العرفية إلى معاهدات ثنائية مكتوبة، ولعل أهم تلك المعاهدات هي (معاهدة جنيف العام ١٨٦٤) وجرى تعديلها العام ١٩٠٦ ثم العام ١٩٢٩، حيث نظمت تلك المعاهدات معاملة الأسرى والجرحى خلال الحروب البرية، ثم تم تطبيق مبادئها على الحروب البحرية بمقتضى اتفاقية لاهاي العام ١٨٩٩ و ١٩٠٧ وهذه المعاهدات تتسم بأنها ملزمة للدول الموقعة عليها فقط، أما العرف فيعد ملزماً لجميع الدول، وقد عقدت أول معاهدة صداقة لتنظيم معاملة الأسرى العام ١٧٨٥، بين الولايات المتحدة وبروسيا، حيث اتفقت الدولتان على معاملة الأسرى معاملة لائقة ومنعت حبس الأسرى في السجون أو وضع القيود في أياديهم، وأقرت اعتقال الأسرى بشرط أن تتوافر في المعتقل الشروط الصحية، كما اشترطت المعاهدة إعطاء الأسرى فرصة للرياضة البدنية، وكذا إطعامهم من طعام الجنود، وتلا هذه المعاهدة معاهدات أخرى، ففي العام ١٨٧٠ تم توقيع معاهدة بين المملكة المتحدة وفرنسا حيث نظمت هذه المعاهدةافتداء الأسرى، على أن تقوم الدول المتحاربة بدفع الفدية وليس الأسير، ثم عقدت معاهدة ثالثة في بروكسل العام ١٨٧٤، لتنظيم أحوال الأسرى، إلا أن هذه المعاهدة لم توضع موضع التنفيذ، وفي العام ١٨٩٩، عقد مؤتمر لاهاي وجرى إعادة بحث تنظيم أحوال الأسرى، إلا أن الحرب العالمية الأولى أثبتت عدم كفاية المعاهدات والمؤتمرات السابقة عليها لحماية الأسرى، لذا عقد اجتماع دولي في جنيف العام ١٩٢٩، لتعديل اتفاقية الصليب الأحمر وتم وضع نظام كامل لمعاملة الأسرى يلزم جميع دول العالم المشاركة في المعاهدة والتي لم تشارك على حد سواء، وقد وضعت اتفاقية جنيف تعريفاً للأسير وهو كل شخص يقع في يد العدو بسبب عسكري وليس بسبب جريمة ارتكبها، وشمل التعريف أفراد القوات النظامية البرية والبحرية والجوية، وكذا أفراد ميليشيا المتطوعين، واشترطت الاتفاقية ضرورة أن يقود الميليشيا شخص مسؤول وأن يكون لهم شارة خاصة تميزهم، وأن يحملوا السلاح علناً وأن يراعوا قوانين الحرب وعاداتها، حتى تتوافر لهم الحماية القانونية الدولية ويعاملوا معاملة أسرى الحرب، وتؤكد النزعة الحضارية العالمية لمعاملة الأسرى ورعاية شؤونهم، من خلال اتفاقية جنيف العام ١٩٢٩ أنها أقرت المواد على وجوب اتخاذ الإجراءات اللازمة للحفاظ على نظافة المعتقلات التي يودع فيها الأسرى، وضرورة توفير الشؤون الصحية فيها ومنع تفشي الأمراض وتوفير المعدات والأدوية اللازمة للاستحمام والنظافة الشخصية، وتوفير الوقت لهم للرياضة والمشي في الهواء الطلق، بل إن الاتفاقية نصت على ضرورة توافر المستشفيات في معتقلات الأسرى، على أن تتوافر بها الوسائل والأدوية على نفقة الدولة الآسرة، كذلك أوجبت الاتفاقية على الدولة الآسرة فرز المرضى والمصابين بأمراض معدية وعزلهم، وأجازت للدول المتحاربة الاتفاق على الاحتفاظ بأطباء وموظفين صحيين في معسكرات الأسرى للعناية بأسراهم.

> استمرت معاهدة جنيف بشأن الأسرى في دراسة أوضاع الأسرى وحفظ أكبر قدر ممكن من حقوقهم

واستمرت معاهدة جنيف بشأن أسرى الحرب في دراسة أوضاع الأسرى وعملت على ضمان أقصى قدر ممكن من حقوقهم، فأوجبت على الدول المتحاربة الإعلان في بداية الحرب عن طرق اتصال الأسرى بأهلهم وأوطانهم وإبلاغ ذلك للمعنيين بالأمر وكذلك التحديد والإعلان عن عدد الرسائل التي



يسمح بها شهرياً واتباع أقصر الطرق لنقلها، ومنعت الاتفاقية تأخير نقل رسائل الأسرى أو منعهم من الكتابة، وعدم اتخاذ ذلك موضوعاً تأديبياً، كما أوجبت الاتفاقية على الدولة الآسرة السماح للأسير بإرسال رسالة بريدية لأسرته خلال أسبوع واحد من وصوله إلى معسكر الأسر، وكذلك في حالة مرضه والسماح بكتابتها بلغة الأسير وأمرت الاتفاقية أيضاً السماح للأسرى بتسلم الطرود البريدية التي تحوي الأطعمة والملابس، وإعفاء الرسائل والحوالات والطرود والهدايا والمواد العينية من الرسوم، كما أجازت الاتفاقية للأسرى حق إرسال البرقيات إلى ذويهم عند الضرورة وتلقي الكتب والمجلات على أن تخضع للرقابة.

قضية الأسرى والأديان السماوية

مع ظهور المسيحية، دعا السيد المسيح إلى تحرير الأرقاء والعبيد والأسرى، وعلى الرغم من أن المسيحية لم تُحرم الرق إلا أنها ساعدت على تحسين أحوال العبيد والرقيق بالرق، وتكاثرت في ظل هذا الدين أسباب تحرير العبيد وتناقصت أسباب الاسترقاق، وأعطت المسيحية للرقيق المزيد من الحقوق والحرية.

وحينما دخل الإسلام الجزيرة العربية، تغيرت أوضاع الأسرى ضمن تغير شامل من حيث العقيدة والنواحي الاجتماعية والمعاملات وغير ذلك، وكان الإسلام يحث على معاملة الأسرى معاملة حسنة، وقد يتناول القرآن الكريم شؤون الأسرى، في بداية ظهور الإسلام، إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم عمل بنظام المفاداة، ولم يلجأ إلى القتل إلا في حالات نادرة، فقد أوصى الرسول أصحابه خيراً بأسراهم بعد انتصارهم في معركة بدر كما شاور المسلمين في أمر الأسرى، وانتهوا إلى قبول الفدية، ولم يأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بالرأي

> **حينما دخل الإسلام الجزيرة العربية، تغيرت أوضاع الأسرى ضمن تغير شامل من حيث العقيدة والنواحي الاجتماعية والمعاملات**

القائل بقتلهم، كما رفض الرسول الكريم التمثيل بالأسرى، إذ تقدم أحد الرجال بنزع ثنيتي سهيل بن عمر فقال «لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً».

وقد انحصرت معاملة المسلمين للأسرى في مبادلتهم بالأسرى من المسلمين أو إطلاق سراحهم مقابل فدية أو من دون فدية، وقد نزلت [الآية ٦٧] الكريمة في سورة الأنفال (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم) كما أوضحت ا[الآية ٤] في سورة محمد حكم الأسير فقال تعالى: (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منّاً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها)، كما حث الإسلام على عتق الرقاب كثيراً، وأمر بحسن معاملة الأسرى فيقول صلى الله عليه وسلم: «اكسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تطعمون».

خاتمة

من هنا لابد من التسليم أن الإنسان قد فطر على الخير والشر معاً.. وأن الحرب والقتال ملازمان له منذ بدأ الخليقة وحتى قيام الساعة.. وأن الصراع بين الخير والشر لن يتوقف ما دامت الحياة البشرية على ظهر هذا الكوكب المسمى بـ (الأرض).

وقد يزيد في الفائدة قراءة الدروس التي قررها مفكرو الدول التي خاضت حرب الخليج، وحققت انتصاراتها العسكرية المتوقعة منها، إن الفائدة تصبح ذات دلالة إذا حاولنا معرفة كيفية الاستفادة من الدروس، فليس كافياً أن نعرف أن الحلفاء انتصروا لأنهم امتلكوا الإرادة والقدرة، بل إن العبرة في الاستفادة من هذه الدروس لتغيير الواقع وتحويل الحقائق المجردة والعبر المفهومة والظاهرة إلى حقائق تجسدها إرادة الواقع ويكشف عنها أداء الأمة، إن النظام العراقي الذي لم يراع ما جاء بالشريعة الإسلامية ولا بالقوانين الوضعية، بل خالف كل المعاهدات والمواثيق الدولية بشأن الأسرى الكويتيين التي دخلت عامها الرابع، هكذا فإن قضية الأسرى تظل قائمة على الساحة العربية والدولية لإجبار النظام العراقي على فك قيد الأسرى دون اعتبار.

مبادىء علم النفس الجنائي في الشريعة الإسلامية

شريعة

من الطبيعي أن يعتور النقصان والقصور نظريات وفلسفات بني البشر. تلك حقيقة واقعية أقرها رب العزة بقوله (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) [الإسراء - ٨٥]. ومن العلوم التي نحبذ إلقاء الضوء عليها - من منظور الشريعة - علم النفس الجنائي، وذلك بغية إظهار جانب دقيق من جوانب المعرفة غطاه الشرع الحنيف تغطية شاملة، تزيل ذلك اللبس والغموض الذي أفرزته مذاهب أصحاب الفكر الفلسفي المثالي والواقعي والتجريبي والمادي، حول حقيقة النفس البشرية وتكوينها الفطري. إذ ركزت أفكارهم على حقيقة الجسد ونفي واستصغار حقيقة الروح وحقيقة ارتباط الروح بالجسد في كل نشاط يقوم به الإنسان...

بقلم دكتور رضا عبدالحكيم

وعلم النفس الجنائي في الفكر المعاصر، هو شعبة من علم طبائع المجرم والذي يعد أحد فروع علم الإجرام Criminologie، وهو علم تخصصي يدرس مصادر الإجرام وأسبابها بهدف التصدي لظاهرة الجريمة. ولا يتقيد عالم النفس الجنائي بعلم مُعين. وذلك في سبيل إحصاءاته واستنتاجاته، فهو يستعين — بصفة أساسية - بالعلوم البشرية les Sciences humaines، وأهمها على الإطلاق علم النفس Psycho-logie كذلك علم الاجتماع والتاريخ... إلخ. أيضاً قد يتعين أن تصيب دراسته علم الإنسان Arthropologie الذي يبحث في أصل الجنس البشري وتطوره وأعراقه وعاداته ومعتقداته، وعلم الفراسة Phys-iogroinonie لمعرفة المزاج والخلق في ملامح الإنسان، أو حتى علم الجنس Sex-ologie، أو غير ذلك من علوم أخرى حسب متطلبات البحث العلمي.

ومن منطلق اعتبار أن علم النفس الجنائي يدرس — بصفة جوهرية - أساس النزعة الإجرامية في النفس البشرية — فإنه من العبث أن يركز علماء الجيل على الفكر الذي يسقط من حسابه التحليل النفسي الجنائي الذي عرضته الشريعة الإسلامية حول عناصر النشاط النفسي للإنسان.

وقبل الولوج في المفهوم الإسلامي للنفس الإنسانية، تجدر معرفة مداخل ومخارج الفكر المادي وأنصاره، وفيما انتهى إليه من نتائج عن حقيقة نفس الإنسان ومكوناتها، وحينئذ نجري وزنها بميزان الشريعة، وهي في غنى عن ذلك، ولكنها فرصة كي نتأمل كمال الشرع ومحاسنه.. يقول تبارك وتعالى (ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يوسف/ ٤٠].

> من العبث أن يركز علماء الجيل على الفكر الذي يسقط من حسابه التحليل النفسي والجنائي الذي عرضته الشريعة الاسلامية حول عناصر النشاط النفسي للإنسان

تطور علم النفس الجنائي

سبر أغوار النفس البشرية له تاريخ طويل، ويذكر أن فلاسفة الإغريق القدماء وعلى رأسهم المشاهير أمثال إيبوقراط وسقراط وأفلاطون وأرسطو، تحدثوا عن المجرمين بوصفهم ذوي نفوس فاسدة أساسها عيوب خلقية جسمية. وفي القرون الوسطى ظهر اتجاه فلسفي يرمي إلى استيضاح طبيعة النفس من خلال الشواهد الجسدية. وفي مرحلة تالية سادت نظرية خرافية تربط بين تكوين النفس ذات الميول الإجرامية وحركة الكواكب.

وبداية من النصف الأخير للقرن السادس عشر وحد الفلاسفة الطبيعيون النظرية الجزائية ، وعلى رأسهم ديلابورتا ودولاشمبر وداروين، منتجين المنظور الفكري والمادي الذي يبحث في الاستدلال على طبيعة النفس ونوازعها من خلال العيوب الخَلْقية الظاهرة.

ومع مطلع القرن التاسع عشر ذهب العالمان لافاتيه وجال إلى القول إن الخلل في التكوين العضوي للإنسان من شأنه أن يؤدي إلى ضعف خلقي.. وأضاف العالم موريل أن مصدر جنوح الإنسان إلى الجريمة هو التركيب المعيب للمخ، وقد سار في هذا الاتجاه العالمان ماجنان وفيرجيليو.

وفي العام ١٨٧١ زاع صيت الطبيب الإيطالي لومروزو بفضل أبحاثه التي رسم من خلالها نظرية محددة لأساس من الإجرام في النفس البشرية، إذ لم تقتصر دراسته - مثل

سابقيه ـــ على مجرد الأحوال الجسمية والعضوية، بل فحص كذلك الأحوال النفسية، وربط بين العيوب الخَلقية والشذوذ النفسي، وحيث يمكن أن يكون للوراثة تأثير في الميل الإجرامي في وجود عوامل معينة. وكان هذا العالم قد أجمل فكره في مؤلفه الشهير «الإنسان المجرم» سنة ١٨٧٦م.

كما أن تلميذ لومبروزو العالم جاروفالو صاغ سنة ١٨٨٠ نظرية جديدة توضح أن الإجرام في النفس البشرية ليس مصدره خلقة جسمية شاذة، وإنما هو شذوذ نفسي ينقصه الورع والأمانة، فكما أن تخلف الأول يفضي إلى جرائم الدم، فإن تخلف الثاني يفضي إلى جرائم المال.

أنريكو فرى زعيم المدرسة الإيطالية الحديثة في علم الإجرام ألقى ظلالاً حول مبدأ الاختيار الإرادي في التصرفات، واعتنق الجبرية مقرراً أن توفر الاستعداد النفسي للإجرام من شأنه أن يسوق إلى حتمية وقوع الجريمة، فالمجرم بالنسبة للجريمة يعد مُسيراً لا مخيراً، ودحض فرى فكرة المسؤولية عن الخطيئة لانتفاء الإرادة الآثمة، ولذلك طعن هذا العالم في نظم العقاب قصاصاً من الجاني، وقد سايره في ذلك كولاياني العام ١٩٨٩.

جاء الأمريكي دونالد تافت ليؤكد خلو النفس الإنسانية من أي ميول جانحة وأن البيئة المحيطة بالإنسان هي المؤثرة في درجة الفساد النفسي، وانضم إلى رأيه كليفورد شاو وسوزرلاند وسيلين العام ١٩٤٥.

ويسجل لعلماء إيطاليا وأطبائها النفسيين أمثال نيسيفورو وسيرجي وأدلر وفرويد.. إرساء المفهوم المعاصر لعلم النفس الجنائي حول أساس جنوح البشر إلى الجريمة، بمنزلة أن الإجرام هو وليد الكيان الخسيس للنفس الإنسانية حينما يطغى على الكيان السامي فيها.

ومن الجدير بالذكر أن التحليل السابق قد نظمه عالم روما الشهير دي توليو العام ١٩٤٥ في منهج محدد مستخدماً كل الأساليب العلمية، ووضع نظرية هي أساس الدراسات النفسية الجنائية، ونظرية التكوين الإجرامي أو الاستعداد السابق للإجرام في النفس البشرية Gostitugione O Pre-disposizione delinquenziale انتهى فيها إلى وجود تفاعل نفسي داخلي لدى الإنسان، هذا التفاعل يفسر النزعة الإجرامية لدى بني البشر، وأن الجريمة هي وليدة شذوذ غريزي.

الاستعداد الإجرامي في النفس الإنسانية

صاغ دي توليو أصول نظريته بأن اعتبر التكوين الإجرامي مرادفاً للشخصية الإجرامية، ولذلك درس ـــ هو وأنصاره ـ شخصية الإنسان من نواح متعددة، فهو يفحص أعضاء الجسم ويستنقص فيه الخصال النفسية إلى جوار تحليل وظائف الأعضاء الداخلية كالجهاز التنفسي والدموي والهضم والبول والتناسل والجهاز العصبي، وأثر إفرازات الغدد في تكييف المزاج النفساني ـ يدرس دي توليو الناحية النفسية شارحاً الغرائز الإنسانية ليس بمعزل عن وظائف الأعضاء، لتوصم نظريته بالمادية لأنها أخذت في الاعتبار الجسد ومكوناته لتفسير الميول الذاتية للنفس البشرية.

والغرائز الإنسانية مصنفة عند علماء النفس، وهي مردوده في جملة تصنيفها إلى غريزة واحدة هي غريزة الكيان والبقاء، أي حرص الإنسان على أن يصون وجوده، سواء أكان هذا الوجود مادياً أم أدبياً.

ومن هذه الغريزة الأساسية تتشعب فروع درج علماء النفس على اعتبار كل منها غريزة قائمة بذاتها، كغريزة القتال والدفاع، وغريزة الاقتناء، والغريزة الجنسية، فغريزة القتال والدفاع: هي الميل الفطري إلى الإقدام تارة والإحجام تارة أخرى، سواء كان الإقدام في شكل فعل أو قول. وغريزة الاقتناء هي الميل الفطري إلى الإحراز والتملك. والغريزة الجنسية هي الميل فطري للرجل إلى المتعة بالمرأة أو للمرأة إلى المتعة بالرجل.

والغريزة فطرة في الإنسان تولد لديه الشعور

الغرائز الإنسانية مصنفة عند علماء النفس وهي مردودة في جملة تصنيفها إلى غريزة واحدة هي غريزة الكيان والبقاء

إلى حاجة سواء كانت مادية أو معنوية، ويكون هذا الشعور مصحوباً بألم تحس به النفس طيلة بقاء تلك الحاجة معلقة دون إشباع، ويقطع الألم لدى الإنسان إتزانه الشعوري، فيصاب بالانفعال، ويصبح حرص الإنسان على رفع هذا الألم عن نفسه هو المحرك إلى السلوك اللازم للخلاص من الألم.

ويفرق علماء النفس بين الجسد والنفس، مقررين أن الجسد لابد وأن يكون مشوباً بنقص معين في خصوصية بدنية أو أكثر، ووظيفة عضوية أو أكثر، وما يصدق على الجسد يصدق كذلك على النفس، بمعنى أن النفس يعتورها أيضاً نقصان في عنصر من عناصرها، والعناصر المكونة للنفس الإنسانية ثلاثة: هي الفكر، والشعور، والإرادة، والعلماء فصلوا الشوائب التي يمكن أن تصيب أي عنصر من العناصر السابقة.

فمن العيوب التي قد تشوب الفكر والذهن، وجود خلل في ملكة الوعي والإدراك مثل التوهم، أو إفراط غير عادي في كمية الإنكار، أو تسلط فكرة تستحوذ على الذهن، ولا يمكن الخلاص منها، أو اضطراب في ملكة الحكم على الأمور، أو ملكة الاستنتاج أو ملكة النقد، أو إفراط في التخيل البعيد عن الواقع.

ومن العيوب التي تشوب الشعور، خلل كمي أو شذوذ كيفي عند إشباع غريزة من الغرائز.

فالخلل الكمي: يعني أن يكون مقدار الشعور المتولد من الغريزة متجاوزاً القدر الواجب توافره لدى الإنسان السوي العادي. كالاعتداد المغالى فيه بالكيان الذاتي وهذا في غريزة الكيان والبقاء، وكالطمع في غريزة الاقتناء، والتهور في غريزة القتال والدفاع، والشراهة في شهوة الجنس وهذا يكمن في الغريزة الجنسية. وقد يتخذ الخلل الكمي صورة النقصان لا الإفراط، يعني أن يكون مقدار الشعور المتولد من الغريزة أقل من القدر الواجب توافره لدى الشخص السوي، كالزهد في الحياة مما يؤدي إلى الانتحار، في غريزة الكيان والبقاء، والتبذير في غريزة الاقتناء، والجبن في غريزة القتال والدفاع، وضعف القدرة الجنسية في غريزة الجنس.

والشذوذ الكيفي: معناه أن يتبع صاحب الغريزة في سبيل إشباعها أسلوباً يغاير ذلك الذي يستخدمه الشخص السوي العادي، كالتظاهر بأكثر من الحقيقة في غريزة الكيان والبقاء، واستحلال مال الغير في غريزة

الاقتناء، والقتال من أجل الباطل افتراء أو تجنياً وهذا في غريزة القتال والدفاع، والساديزم أي استشعار لذة في تعذيب المرأة في الغريزة الجنسية.

وبالنسبة للعيوب التي قد تعتور الإرادة، اختلال عملية انعقاد النية فتجرى على نحو يخالف ما تكون عليه عند الإنسان السوي العادي، ومن مظاهر هذا الاختلال الآلية الاندفاعية التي تعجل باتخاذ القرار دون وزن سابق لوجه المناسبة فيه. والإرادة ـ كما يرى علماء النفس ـ بحكم أنها مرحلة تالية للفكر والشعور، تتأثر بالعيوب المشوب بها الفكر أو الشعور، ولذلك كان انعقاد الإرادة هو خلاصة النشاط في شقيه الذهني والشعوري.

ويؤكد العالم نيسوفورو أنه لا وجود لإنسان تخلو نفسيته من عيب ما يشوب تفكيره أو شعوره أو إرادته، سواء أكان عيباً ثابتاً أم طارئاً بصفة عرضية. فالإنسان السوي غير موجود عند بني البشر.

فالسائد لدى فلاسفة هذا العلم أن الإنسان بشقيه الجسدي والنفسي معاب فيهما فطرياً، فليس هناك جسد بلا عيوب ولا نفس من دون نقص يعتورها. وتبعاً لهذا المنطق يصير الإنسان مهيئاً لارتكاب الجريمة متى سنحت الفرصة، ذلك لأنه بحكم خلقته معيوب بدنياً ناقص نفسياً. وبالتالي تصير النفس البشرية ـــ حسب التصدير السابق ـــ مخصوصة بالشر الداخلي الكامن المتوارى، والذي يتحرك في شكل جريمة ما لم يتصدى لها حائل... ويفسر علماء النفس ذلك الحائل بمقولة إن هناك غرائز ثانوية سامية، تلك الغرائز تغرس في نفسية صاحبها حرصاً على كيان غيره من الناس، ومتى انضافت هذه النزعة الغيرية الباردة بالآخرين، إلى أثرة النزعة الغريزية الأصلية، أدت بالإنسان إلى السلوك المستقيم، وجعلته ذا لطف مع غيره في غمرة إشباع غريزة الكيان والبقاء متزنا في ممارسته غريزة القتال والدفاع، ميالاً إلى البذل بالإضافة إلى النيل، وإلى العطاء إلى جانب الأخذ في استخدام غريزة الاقتناء، ومعتدلاً غير متبذل في إرضاء غريزة الجنس.

والغرائز الثانوية السامية ناتجة عن الصقل والتربية والتهذيب. فكل غريزة من الغرائز الأساسية السابقة، قابلة لتهذيب من شأنه أن يولد منها بالتفريغ عنها وبغير محو لها وإنما بالإضافة إليها، غريزة تسمى بالغريزة الثانوية السامية، تلعب الغرائز الأخيرة دورها في الحيلولة دون طغيان الغرائز الأساسية، وتبعاً لهذا تغير هذه الغريزة الثانوية السامية مصدر الخير في النفس الإنسانية، وذلك بفعل تصديها للغرائز الأساسية والمصابة ـــ كما سبق القول ـــ بخلل فطري يجعل من ارتكاب الجريمة وسيلة لإشباعها.

نظرية النفس البشرية في الشريعة الإسلامية

العلوم والمعارف الواردة في مبادىء الشرع لا تقع تحت حصر، يقول تبارك وتعالى: (ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل) [الكهف/٥٤]، والشارع عز وجل ـ تناول في كتابه العزيز خصائص مكونات النفس البشرية، ويذكر أن سيد ولد آدم عليه السلام هو أول من تحدث في الاستعدادات الكامنة في النفس الإنسانية، مسترشداً بآيات الذكر الحكيم فذكر منها الآيات ٧، ٨، ٩، ١٠ من سورة الشمس، والآيات ٢، ٣ من سورة الإنسان، والآيات ٨، ٩، ١٠ من سورة البلد. والواقع من الآيات الواردة بالسور الثلاثة السابقة تكشف عن حقيقة الطبيعة الإنسانية، كما أنها تمثل قاعدة «النظرية النفسية الإسلامية».

والنظرية النفسية في شرع الله لها أصول ومبادىء ثابتة، وضع مدخل دراستها النبي الذي لا ينطق عن الهوى، ومن المؤسف أنه لم ينتبه ناقلو الأنظمة الجنائية الغربية إلى عالمنا العربي الإسلامي، إن علم النفس الجنائي المقتبس عن الفقه الإيطالي يصطدم مع حقائق الشريعة الغراء، تلك التي ينبغي أن تكون بعيدة عن دائرة التخمين والجدل السقيم، يقول عز وجل (وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً) [الكهف ـ ٥٤].

> النظرية النفسية في شرع الله لها اصول ومبادىء ثابتة وضع مدخل دراستها النبي ﷺ

ولدراسة أبعاد الشرع الحنيف حول حقيقة النفس، يقتضي الحال بطبيعته أن نبدأ بعرض آيات الذكر الحكيم، والتي ترسم حدود النظرية النفسية في شرعه تبارك وتعالى، والشرح الذي عرضه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفكر الخلف الصالح، لإدراك الأصول العلمية التي ينبغي ألا يحيد عنها عالم النفس الجنائي في بحوثه ودراساته، ثم نعرج إلى طرح أبرز التحليلات العلمية النفسية في الفكر الإسلامي المعاصر.

والسطور التالية تحمل قبسات نأمل أن توفي بالمقومات الأساسية للمدخل العلمي السليم لدراسة نفس الإنسان في الشريعة الإسلامية.

أولاً: الأساس الشرعي

يقول تبارك وتعالى في كتابه العزيز (ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها) [الشمس/ ٧ ـــ ١٠]. وقوله عز وجل (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً. إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً) [الإنسان/ ٢ ـ ٣]، وقوله سبحانه وتعالى: (ألم نجعل له عينين. ولساناً وشفتين. وهديناه النجدين) [البلد/ ٨ ـ ١٠].

الآيات السابقة تمثل قاعدة النظرية النفسية في الإسلام، وهي مرتبطة ومكملة للعديد من الآيات، كما في قوله تبارك وتعالى (إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين. فإذا سويته، ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) [ص/ ٧١ ـ ٧٢]، كما أنها مكلمة للآيات التي تقرر المسؤولية الفردية، في قوله عز وجل (كل نفس بما كسبت رهينة) [المدثر/٣٨]، والآيات التي تقرر أن الله يرتب تصرفه بالإنسان على واقع هذا الإنسان في قوله تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) [الرعد/١١]، كذلك تفسر الآيات التي تصف النفس الإنسانية في مواضع متفرقة، كما في قوله عز وجل (إن النفس لأمارة بالسوء) [يوسف/٥٣]، وقوله سبحانه (النفس المطمئنة) [الفجر/٢٧]..

أشار ابن كثير بصدد تفسيره سورة الشمس إلى أن قوله: (ونفس وما سواها) أي خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة كما قال تعالى: (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) [الروم ــ ٣٠]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كل مولود يولد على الفطرة» وفي صحيح مسلم يقول عز وجل «إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم». وقوله تعالى: (فألهمها فجورها وتقواها) أي أرشدها إلى فجورها وتقواها أي بين ذلك لها وهداها إلى ما قدر لها، قال ابن عباس: بين لها الخير والشر، وقال سعيد بن جبير: ألهمها الخير والشر، وقال ابن زيد: جعل فيها فجورها وتقواها، وفي الحديث: أن رجلاً من مزينة أو جهينة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس فيه، ويتكادحون، أشيء قضي عليهم من قدر قد سبق، أم شيء مما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وأكدت به عليهم الحجة؟ قال: «بل شيء قد قضي عليهم» قال: ففيم نعمل؟ قال: «من كان الله خلقه لإحدى المنزلتين يهيئه لها»؟ رواه أحمد ومسلم وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى (ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها).

وقوله تعالى: (قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها) المعنى قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله، وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرزائل، كقوله تعالى:(قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى) (وقد خاب من دساها) أي دسسها أي أهملها حتى ترتكب المعاصي وتترك طاعة الله عز وجل، وقد يحتمل أن يكون المعنى: قد أفلح من زكى نفسه، وقد خاب من دسى الله نفسه، روي عن أبي هريرة أنه سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقرأ (فألهمها فجورها وتقواها) قال: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها» أخرجه ابن أبي حاتم، وفي رواية عن عائشة أنها فقدت النبي صلى الله عليه وسلم في مضجعه، فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد، وهو يقول: «رب اعط نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها» أخرجه أحمد. وروى الإمام أحمد عن زيد بن أرقم قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والهرم والجبن والبخل وعذاب القبر اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، وعلم لا ينفع ودعوة لا يستجاب لها» أخرجه أحمد ومسلم.

والرحمن يقول وقوله الحق (إن خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً. إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا) [الإنسان/٢ ــ ٣]. وقوله «نبتليه» أن نختبره كقوله جل جلاله (ليبلوكم أيكم أحسن عملاً) (فجعلناه سميعاً بصيراً) أي جعلنا له سمعاً وبصراً يتمكن بهما من الطاعة والمعصية، وقوله جل وعلا (إنا هديناه السبيل) أي بيناه له ووضحناه وبصرناه به كقوله تعالى: (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى)، وكقوله تعالى (وهديناه النجدين) أي بينا له طريق الخير وطريق الشر، وفي قوله (إن هديناه السبيل) تقديره : فهو في ذلك إما شقي وإما سعيد، كما جاء في الحديث الصحيح «كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها أو معتقها» أخرجه مسلم في صحيحه، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عن لسانه إما شاكراً وإما كفوراً» وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما من خارج يخرج إلا ببابه رايتان: راية بيد ملك، وراية بيد الشيطان، فإن خرج لما يحب الله اتبعه الملك برايته، فلم يزل، تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته، وإن خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته» أخرجه الإمام أحمد.

> علم النفس الجنائي المقتبس عن الفقه الايطالي يصطدم مع حقائق الشريعة الغراء تلك التي ينبغي أن تكون بعيدة عن دائرة التخمين والجدل السقيم

ورب العزة يقول: (ألم نجعل له عينين) أي يبصر بهما (ولسانا) أي ينطق به فيعبر عما في ضميره (وشفتين) يستعين بهما على الكلام، وأكل الطعام، وجمالاً لوجهه وفيه. وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله تعالى: «يا بن آدم، قد، أنعمت عليك نعماً عظاماً، لا تحصى عددها ولا تطيق شكرها، وإن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما، وجعلت لهما غطاء، فانظر بعينيك إلى ما أحللت لك، وإن رأيت ما حرمت عليك، فأطبق عليهما غطاءهما، وجعلت لك لساناً وجعلت له غلافاً، فانطق بما أمرتك، وأحللت لك فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك، وجعلت لك فرجاً وجعلت لك ستراً، فأصب بفرجك ما أحللت لك، فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك، يابن آدم إنك لا تحمل سخطي، ولا تطيق انتقامي» أخرجه الحافظ وابن عساكر في ترجمة أبي الربيع الدمشقي. (وهديناه النجدين): الطريقين، قال ابن مسعود: الخير والشر، وعن أبي رحال قال: سمعت الحسن يقول: «وهديناه النجدين» قال: ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول «يا أيها الناس إنهما النجدان: نجد الخير، ونجد الشر، فجعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير» أخرجه ابن جرير.

ثانياً الكيان المزدوج للنفس الإنسانية

قوله تبارك وتعالى (ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها) [الشمس/٧ ـ ١٠]. تلك الآيات ـ على نحو خاص ـ ترسم صورة الإنسان من داخل نفسه، فالنفس تضم في كيانها شيئين متقابلين، هما: الفجور والتقوى، ينصرف معنى الفجور إلى المضي في المعاصي بغير اكتراث، فالفاجر هو الفاسق غير المكترث، أما التقوى فتعني خشية الله، والامتثال لأوامره واجتناب نواهيه.

والمولى القائل تبارك وتعالى: (ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها)، يتحدث جلا وعلا عن النفس الإنسانية على إطلاقها.. إنها مستعدة للهدى والضلال، فاردة قلاعها إلى جهتي الخير والشر... هكذا صاغها الخالق تعالى، من نفحات السماء، ومن تراب الأرض (فألهمها فجورها وتقواها) أي آتاها الله سبحانه وتعالى القدرة على الاتجاه نحو

اليمين أو الشمال، نحو الخير أو الشر، نحو الإيمان أو الكفر ... هكذا يرى الإنسان القدرة من نفسه على التحرك في هذين الاتجاهين.

وقوله عز وجل (قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها).... هو الواقع عليه هذه الأقسام، فهو جوابها.. إن السعيد من الناس، من زكى نفسه وطهرها فخلصها من تراب الأرض، وأطلق روحه من أسر المادة، فحلقت به في عالم الحق والنور. كما وأن الشقي من دسّى نفسه، أي اخفاها، وغطى عليها بكثافة المادة وظلالها، وعاش حبيساً داخل هذه القوقعة التي نسجها حول نفسه، لا يرى، ولا يسمع، ولا يتحرك.

وقوله تعالى: (ونفس وما سواها) أي تسوية خلقها، وإمدادها بالقوى العاملة فيها.

أبرز ما في الكيان البشري أنه كيان مزدوج الطبيعة. وهو بهذا كائن متفرد في كل ما نعلم من مخلوقات هذا الكون.

فالحيوان من جانب والملك من جانب ـ هما المخلوقان اللذان تجمعهما بالإنسان صلات كلاهما ذو طبيعة واحدة ووجهة واحدة.

الحيوان: حتى في أعلى درجاته التي تشابه الإنسان في تركيبه الجسماني، مخلوق ذو طبيعة واحدة، تتحدد بحدود الجسد والغرائز والتصرفات الغريزية جسمه هو مصدر طاقته. وغرائزه هي الموجة له. وتصرفاته الغريزية هي عالة بأكمله.

يأكل ويشرب ويؤدي الجنس بدافع جسدي بحس لا ادراك فيه لهدف، ولا تصرف فيه فيه في وسيلة يأكل حين يدفعه الجوع.. ويمسك حين تقرر له الغريزة حد الاكتفاء وينشط نشاطه الجنسي في موسم معين محدد، ولايختار وقته، ولا يحدد هدفه ولايدركه ولا يختار فيه سلوكاً معيناً غير ماتوحيه له غريزته. ثم يكف عن هذا النشاط جملة في موعد كذلك محدد. لايختاره هو ولايدرك سره ولايملك كذلك مخالفته، وكذلك كل تصرف من تصرفاته. ليس تصرفاً ذاتياً نابعاً من ادراك وارادة، وانما هو تلبية مباشرة لدفعة لايملك الحيوان مقاومتها، ولايفكر في مقاومتها كذلك، فهو بطبيعة تكوينه مستسلم لما تمليه الغريزة عليه انه مخلوق ذو طبيعة واحدة، تعمل في اتجاه الجسم.

والملك: من وصفه الذي نعرفه به وان كنا لانراه، مخلوق ذو طبيعة واحدة كذلك وذو اتجاه واحد. مخلوق يعيش في نطاق روحه ويطيع توجيهاتها بلا ارادة ذاتية ولاتصرف ذاتي. فالملائكة مخلوقات مفطومة على الطاعة المطلقة(لايعصون الله ماامرهم ويفعلون مايؤمرون)[التحريم/٦] وهي وان لم يكن لها غرائز جسيمة لانها غير ذات اجسام مادية فإن لها غرائز روحية تعمل بوحيها في كل امر دون تفكير او تصرف او اختيار.. اي أنها ذات طبيعة واحدة تعمل في اتجاه الروح.

والانسان وحده فيما نعلم من الكائنات هو الكائن المزدوج الطبيعة القادر على اكثر من اتجاه.

وهذا الازدواج هو طابع كيانه كله وهو متغلغل في كل اعماقه، فلايوجد عمل ولاشعور ولا فكر ولاتصرف لاتبدو فيه هذه الظاهرة الفذة المتميزة.

يقول تبارك :(اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)[ص/ ٧١و٧٢]... فالانسان قبضة من طين الارض ونفخة من روح الله قبضة من طين الأرض تتمثل في حقيقة الجسد عضلاته ووشائجة واعضاؤه واحشاؤه. وكما هو معلوم ان العلم يقول ان جسم الانسان مكون من ذات العناصر التي يتكون منها طين الارض، الأكسجين والايدروجين والكربون والحديد والنحاس والكالسيوم والزرنيخ والصوديوم والبوتاسيوم والمغانسيوم..الخ... والحقيقة الجسدية مشهودة امامنا، اما الحقيقة الروحية.. نفخة من روح الله تتمثل في الجانب الروحي للانسان تتمثل في الوعي والادراك والارادة تتمثل في كل القيم والمعنويات التي يمارسها الانسان فالخير والبر والرحمة والتعاون والاخاء والمودة والحب والصدق والعدل والايمان بالله والايمان بالمثل العليا والعمل على تحقيقها في واقع الحياة.. كل ذلك نشاط روحي او نشاط قائم على قاعدة روحية.

> الشر المحرك إلى الجريمة ينشأ من اختلال ميزان الانسان نتيجة خضوع كيان المجتمع المترابط لسيطرة الجسد

فالنشاط الجسماني والنشاط الروحي في الانسان يؤديهما الانسان بكيانه المزدوج الموحد، لابأي عنصر من عنصريه منفصلاً عن الآخر ومستقلاً عنه.

فالانسان يستجيب لنفس الدافع القهري الذي يدفع الحيوان لتناول الطعام، ولكنه -فيما بين الدافع والاستجابة- يعبر طريقاً طويلاً مملوءاً بالاختيارات: نشأ عن وجود الروح وامتزاجها بالطين وتلبسها به فالارادة والاختيار صفتان من صفات الروح، تتمثلان في صورتهما المطلقة في ذات الله سبحانه، الذي نفخ في الانسان من روحه وتتمثلان في صورتهما المحددة المقيدة في الانسان بمقدار ماتطيق قبضة الطين ان تقبس من روح الله.

ثالثا: التفاعل المفضي الى اتجاهات النفس «تخليق الاستعداد الداخلي في النفس»

الانسان مزاج مترابط من قبضة الطين ونفخه الروح، يقول تبارك وتعالى (واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) ص/ ٧١و٧٢.

هذه اولاً قبضة الطين تسرى جسداً ثم تنفخ فيه الروح العلوية، وهنا، هنا فقط يلتزم الملائكة بالسجود خضوعاً لأمر الله ولم يأمرهم بالسجود للجسد المسوى على هيئة الانسان وانما بعد نفخة الروح العلوية فيه. فقيمة الانسان نشأت حين تلبست نفخة الروح بقبضة الطين فغيرت طبيعتها فشفت بالمعرفة والادراك والإرادة والاختيار.. هذا المزاج يكون محكوماً بالجسد تارة، وتارة يكون محكوماً بالروح. ونعبر عن ذلك بقولنا إنه يكون شريراً تارة وخيراً تارة شريراً حين يحكم الجسد مزاجه المجتمع المترابط، وهذا هو مصدر الاجرام في النفس البشرية وخيراً حين تحكم الروح هذا المزاج فلايجنح للاجرام.

فالجسد حين يحكم هذا المزاج المجتمع المترابط لايلغي وجود الروح ولكنه يطمس

عليها بعتامة الطين فتختنق وتكبت اشعاعاتها التي تمنح الطين خفة وشفافية وانطلاقا فما دام الجسد هو المسيطر فسوف يسعى الى الطعام اسرافاً وبغير توخ للنظافة والطهارة في اكتسابه وبغير تحرز في ظلم الآخرين في سبيل الحصول عليه فينشأ ذلك الشر والميل الاجرامي. ومادام الجسد هو المسيطر فسوف يسعى الى الجنس اسرافاً وبغير توخ للنظافة والطهارة في الحصول عليه وبغير تحرز من الاعتداء على اعراض الآخرين خلسة او جهاراً فينشأ عن ذلك الشر والجنوح الى الجريمة بالتبعه.

ومادام الجسد بنوازعه هو المسيطر فسوف يسعى الى السلطان اسرافا ليحقق لنفسه المتاع وليضمن لنفسه الفائدة دون توق لظلم الآخرين وسحقهم اذا وقفوا في الطريق، فينشأ الشر والاجرام.

فالشر المحرك الى الجريمة ينشأ من اختلال «ميزان الانسان» نتيجة خضوع الكيان المجتمع المترابط لسيطرة الجسد.

اما حين تحكم الروح هذا الكيان المجتمع المترابط.. مؤدى هذا تنظيم منطلقات نشاط الانسان وتنظيفها وضبطها. ان حكم الروح للكيان الانساني المترابط لايمنع الانسان من الطعام والشراب والجنس والمتاع الحسي بكل انواعه، وانما يضيف اليه فقط متاعاً روحياً لطيفاً، يجعله شفافاً رائقاً متحررا الى حدما من الضرورة القاهرة والقيد المتحكم.

انه يأكل ويشرب ولكن بلا إسراف فسيطرة الروح تضبط هذا الاسراف وتنظمه، وان كانت لاتكبته من اساسة ثم لايجعل الطعام والشراب هدفاً في حد ذاته، وسيطرة الروح هي التي توقظ الانسان للهدف من كل عمل يعمله لانها هي المنوطة بالوعي والادراك ثم يتحرى النظافة والطهارة في طعامه وشرابه وسيطرة الروح هي التي تتحرز من القذارة الحسية والمعنوية، وتختار السلوك النظيف لانها هي المنوط بالاختيار ثم هو يبعد عن نفسه الأثرة البغيضة، فيشترك مع غيره في طعامه وشرابه يقول الرحمن (ولايجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)[الحشر/ ٩] وسيطرة الروح هي التي تدفع الى هذا البذل والإيثار، لانها هي المنوطة «بالحب» الذي يتوجه للغير. وينشأ من ذلك الخير.. خير لايفوت الفرد ذاته فهو يستمتع بالقسط المعقول من الطعام والشراب ثم يصل كذلك للآخرين وهو يستمتع بمتاع الجنس بلا اسراف ولافاحشة ويستمتع به على مستوى المشاعر والعواطف لا على مستوى الجسد، وحده فيوسع مساحته في النفس، ويضيف اليه الوانا من الجمال.. وينشأ من ذلك الخير.. الخير الفردي، بتمتيع كل فرد بنصيب معقول من المتاع والخير الجماعي يحفظ المجتمع من الجريمة والتفكك والانحلال والحبوط والتفاهة التي تصاحب دائماً لانفلات والاباحية في شؤون الجنس وهو يملك ولكنه يتحرى النظافة فيما يملك، ويتحرى عدم اغتيال ملك الآخرين، ويتحرى تزكية مايملك بإشراك الآخرين فيه.

وسيطرة الروح هي المنظم لكل ذلك والضامن له في داخل النفس وواقع الحياة.. وفي كل ذلك لايكبت نشاط الجسم، ولا تتمتع لحظات«الجنوح» الطبيعية التي يجنح فيها الانسان بجسده في لذة او متاع.. وانما ينطلق الجسم والروح ماتزال ممسكة بالقيادة، فتسمح بالمتاع ولكنها تمنع الفحش والاسراف.. وفي كل ذلك يكون الخير صادرا عن الكيان الطبيعي للإنسان.. حسب تركيبه الاول الذي خلق به بادىء ذي بدء يقول تبارك:(لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم)[التين/ ٤] ويكون متمشياً مع الفطرة السوية التي ليس فيها اختلال، ولاهي مضغوط عليها من الخارج بشيء لايناسب طبيعتها.

والانسان بطبيعته المزدوجة قابل قبولاً طبيعيا ان يتخذ هذا الوضع او ذاك وضع سيطرة الجسم على الكيان الممتزج او سيطرة الروح أي انه مشتمل بصورة طبيعية على استعداد للخير واستعداد للشر والجريمة: تصديقاً لقوله تبارك(وهديناه النجدين)[البلد/ ١٠] وقوله عز وجل :(انا هديناه السبيل اما شاكرا واماكفورا)[الانسان/ ٣] وقوله سبحانه (ونفس وماسواها. فألهمها فجورها وتقواها)[الشمس/ ٧و٨].

> التفرقة ظاهرة للعيان بين جوهر النفس الانسانية وخصائصها في شريعتنا الغراء وحقيقتها وعناصرها لدى أنصار الفكر المادي

بل انه حين يترك وشأنه اكثر ميلاً لأن يستجيب لثقلة الطين: يقول المتعال:(وخلق الانسان ضعيفاً)[النساء/ ٢٨]. وقوله جل وعلا (لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم. ثم رددناه اسفل سافلين)[التين/ ٤و٥].

ومن ذلك ينشأ الشر ولاجرام في حياة الانسان ويملأ وجه الارض، يقول تعالى:(ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس)[الروم/ ٤١].

ان الجسم ليس شريراً بذاته، ولامنبوذا ولامحتقراً ولاساقطاً من الحساب، فهو لم يخلق عبثا.. تعالى الله عن العبث وعن عدم القصد..وانما الجسم هو وعاء الطاقة الحيوية العاملة النشيطة التي تعمر الارض، وتستخرج كنوزها وتستغل طاقاتها، وتنشيء وتبني وتنتج، فتسمح للحياة الانسانية بالوجود والبقاء والامتداد والارتقاء.. فليس الجسم ولا الاستجابة لدوافعة هما منبع الشر والاجرام في حياة الانسان.. انما الشر والجنوح الى الاجرام ينشأ من تولي الجسم قيادة الكيان للمجتمع المترابط الذي ينبغي ان تتولى قيادته الروح، بحكم النشأة الطبيعية التي جعلت الانسان انسانا، ورفعته عن الحيوان، وقد كان قمينا ان يكون حيوانا لولا تلك النفخة العلوية في قبضة الطين..

وهكذا باتت التفرقة ظاهرة للعيان بين جوهر النفس الانسانية وخصائصها في شريعتنا الغراء، وحقيقتها وعناصرها لدى أنصار الفكر المادي، وطبيعي ان تكون النتائج العلمية مختلفة بين مانتهت اليه المذاهب الفلسفية التي لم تدرك قيمة بث الروح في الجسد البشري.. وبين المدرسة الاسلامية التي أنشأها رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اربعة عشر قرنا من الزمان، واودع مكتبتها المناهج العلمية الربانية.. نأمل ان ترسل المعاهد والجامعات الاسلامية بعثاتها العلمية للمكتبة الاسلامية التي لم تترك معرفة من المعارف الا لها قول فيها... وقولها هو الفصل.. وفي الختام اللهم اجعلنا من انصار علمك وتلاميذ مدرسة نبيك صلى الله عليه وسلم ولنتذكر قوله تبارك وتعالى: (وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين)[الصافات/ ٩٩]. ■

عقوبة المدين المماطل في الشريعة الإسلامية

شريعة

بقلم أ.د. نزيه حماد

١ - مَطْل الديون في الاصطلاح الفقهي هو «منع قضاء ما استحق قضاؤه من الديون». وهو نوعان: مَطْلٌ بحق، ومَطْلٌ بباطل، فأما المطل بحق، فهو مطل المدين المُعسر الذي لا يجد وفاء لدينه. وقد قال المولى عز وجل في شأنه (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة) [البقرة ٢٨٠] ومن حقه شرعاً أن يمهل حتى يوسر، ويترك يطلب الرزق لنفسه وعياله ودائنيه، ولا تحل مطالبته ولا ملازمته ولا مضايقته، لأن التكليف الشرعي بالأداء مرتفع عنه إلى أن يوسر(١).

٢ - أما المطل بالباطل، وهو مقصودنا في هذه الدراسة: «فهو مطل المدين الموسر القادر على أداء الدين، بعد مطالبة صاحب الحق، بلا عذر». وإنه لمحرم شرعاً ومن كبائر الإثم، ومن الظلم الموجب للعقوبة الحاملة على الوفاء، والزاجرة على الإقدام على هذا المنكر الفاحش في حقوق العباد(٢). يدل على ذلك:

(أ) ما روى البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مطل الغني ظلم» (٣). قال الحافظ بن حجر: والمعنى أنه من الظلم، وأطلق ذلك للمبالغة في التنفير من المطل(٤).

(ب) وما روى أبو داود والنسائي وابن ماجة وأحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مطل الواجد يحل عرضه وعقوبته»(٥). ومعنى إحلال عرضه، إباحة ذكره بين الناس بالمطل وسوء المعاملة.

وقال ابن القيم: ولا نزاع بين العلماء في أن من وجب عليه حق من عين أو دين، وهو قادر على أدائه، وامتنع عنه، أنه يعاقب حتى يؤديه(٦).

٣ - أما بيان تلك العقوبة الزاجرة التي وضعتها الشريعة على المدين المماطل بغير حق ترهيباً له من الإقدام على اقتراف تلك المعصية، وتأديباً له إن تجرأ على ارتكابها: فهي عقوبة تعزيرية غير مقدرة شرعاً، المقصود منها حملُهُ على الوفاء وإلجاؤه إلى دفع الحق إلى صاحبه دون توان أو تأخير. وعلى ذلك فإنها تختلف نوعاً وقدراً بحسب حال المدين المماطل، وما يصلح له من أساليب القسر والإكراه بحق على قضاء الدين ورفع الظلم والحيف عن الدائن المطول، وقد تكون مفردة أو مركبة من نوعين فأكثر صنوف العقاب.

أما تلك الصنوف فقد ذكر الفقهاء أنها تشتمل على الأساليب التالية:

أولاً: قضاء الحاكم دينه من ماله جبراً:

٤ - وبيان ذلك أن المدين المماطل إذا كان له مال من جنس الحق الذي عليه، فإن الحاكم يستوفيه جبراً عنه، ويدفعه للدائن إنصافاً له(٧). قال ابن فرحون: إن الغريم إذا كان مليئاً، أمره القاضي بإنصاف غريمه، فإن ألد وكان له مالٌ قضى منه(٨).

العقوبة الزاجرة التي وضعها الشريعة على المدين المماطل بغير حق تعتبر ترهيباً له

ثانيًا: إجباره على بيع ماله لوفاء دينه:

٥ - لقد نص الفقهاء على أن للحاكم أن يجبر المدين المماطل على بيع أعيان ماله وقضاء دين الغرماء عندما لا يكون له مال من جنس الدين الحال الثابت في ذمته(٩). وهذا الإجبار هو نوع من الإكراه بحق على فعل ما يلزم المكلف فعله عند الامتناع عن القيام به، إنصافاً لصاحب الحق، ورفعاً للضرر والحيف عنه.

ثالثًا: تغريمه نفقات الشكاية ورفع الدعوى:

٦ - لما كان من حق الدائن المطول أن يرفع الدعوى على المدين المماطل بغير حق، ليدفع الظلم والضرر عن نفسه، ويصل إلى حقه، فإن جميع نفقات وتكاليف الشكاية المألوفة عرفاً تكون في ضمان ذلك المماطل، لتسببه في ذلك جوراً وعدواناً، وليكون ذلك الإجراء حاجزاً له عن المطل، ودافعاً له إلى المبادرة بالوفاء قبل الشكاية والدعوى عليه(١).

رابعًا: إسقاط عدالته ورد شهادته:

٧ - وذلك لاعتباره فاسقاً بسبب اقترافه كبيرة من الكبائر. حيث حكى الباجي عن أصبغ وسحنون من أئمة المالكية أنهم قالوا برد شهادة المدين المماطل مطلقاً، إذا كان غنياً مقتدراً، لأن النبي صلى الله عليه وسلم سماه ظالماً في قوله «مطلُ الغني ظلم»(١١). ونقل الحافظ بن حجر عن جمهور الفقهاء أن مقترف ذلك يفسق (١٢).

خامسًا: حبس المدين:

٨ - لقد نص جماهير الفقهاء على أن المدين

الموسر إذا امتنع عن وفاء دينه مطلاً وظلماً، فإنه يعاقب بالحبس حتى يؤديه(١٣). فجاء في «السياسة الشرعية» لابن تيمية: «ان كل من فعل محرماً أو ترك واجباً استحق العقوبة. فإن لم تكن مقدرة بالشرع، كانت تعزيراً يجتهد فيه وليّ الأمر، فيعاقب الغني المماطل بالحبس، فإن أصر عوقب بالضرب حتى يؤدي الواجب. وقد نص على ذلك الفقهاء من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم، ولا أعلم فيه خلافاً»(١٤). وقد جاء في م (١٥٠٣) من مجلة الأحكام الشرعية على مذهب الإمام أحمد: «إذا مَطَلَ المدين رب الدين، فشكاه، أمره الحاكم بوفائه، فإن أبى حبسه، وتجب تخليته إذا بان إعساره».

سادسًا: ضرب المدين:

٩ ـ لقد نص جماهير الفقهاء على مشروعية العقوبة البدنية بضرب المدين المماطل بغير حق إذا لم يلجئه الحبس ولم تدفعه العقوبات الأخرى التي سبق التنويه إليها لرفع الظلم والضر عند دائنه بقضاء دينه(١٥). قال ابن قيم الجوزية: «لا نزاع بين العلماء في أن من وجب عليه حق من عين أو دين، وهو قادر على أدائه، وامتنع عنه، أنه يعاقب حتى يؤديه، ونصوا على عقوبته بالضرب، ذكر ذلك الفقهاء من الطوائف الأربعة»(١٦).

سابعًا: بيع الحاكم عليه ماله جبراً:

١٠ ـ وهذه العقوبة من أنجع السبل لإيصال الحق إلى صاحبه، ورفع الظلم و الضرر عنه نتيجة مماطلة المدين الموسر بغير عذر. وإلى ذلك ذهب جماهير الفقهاء في الجملة، قال ابن حزم: «من ثبت للناس عليه حقوق من مال أو مما يوجب غرم مال ببينة عدل أو بإقرار منه صحيح، بيع عليه كل ما يوجد له، وأنصف الغرماء»(١٧).

١١ ـ غير أن بينهم ثمة اختلافاً في تأخيره على الحبس أو اللجوء إليه من غير حبس المدين أو ترك الخيار للحاكم في اللجوء إليه عند الاقتضاء، وذلك على ثلاثة أقوال:

أحدها: للشافعي والمالكية والصاحبين من الحنفية وعليه الفتوى في المذهب، وهو أن الحاكم إذا ظفر بمال للمدين المماطل الموسر من غير جنس الحق الذي عليه، فإنه يبيعه عليه في الدين ويفي الغرماء دون اللجوء لحبسه، وذلك تعجيلاً لرفع الظلم وإيصال الحق لصاحبه بحسب الإمكان(١٨). وبذلك أخذت مجلة الأحكام العدلية، حيث جاء في م (٩٨٨) منها: «لو ظهر عند الحاكم مماطلة المديون في أداء دينه حال كونه مقتداراً، وطلب الغرماء بيع ماله وتأدية دينه، حجر الحاكم ماله، وإذا امتنع عن بيعه وتأدية الدين باعه الحاكم وأدى دينه».

والثاني: للقاضي أبي الطيب من الشافعية وأصحاب الشافعي، وهو أنه إذا امتنع المدين الموسر المماطل من الوفاء، فالحاكم بالخيار: إن شاء باع ماله عليه بغير إذنه، وإن شاء أكرهه على بيعه، وعزره بالحبس وغيره حتى يبيعه(١٩).

والثالث: للحنابلة، وهو أن المدين المماطل إذا أبى وفاء ما عليه بعد ما أمره الحاكم بذلك، فإنه يحبسه، فإن أبى ذلك المحبوس الموسر دفع ما عليه عزره الحاكم، ويكرر حبسه وتعزيره حتى يقضيه. فإن أصر على عدم الأداء مع ما سبق باع الحاكم ماله وقضى دينه(٢٠). وعلى ذلك جاء في م (١٥٠٤) من مجلة الأحكام الشرعية على مذهب الإمام أحمد: «إذا أبى المدين الموسر دفع ما عليه عُزر، فإن أصر باع الحاكم ماله وقضى ما عليه من ثمنه».

وختاماً: فهذه هي المؤيدات الشرعية لحمل المدين المماطل ظلماً على الوفاء بالالتزام المالي والأداء في الأجل المحدد، قوامها عقاب جزائي ومدني رادع ذو شعب متعددة، يتضمن كفاءة عالية في معالجة هذه المشكلة، ويكفل إعادة الحق إلى نصابه، ورفع الجور عن المطول المتضرر. ■

المؤيدات الشرعية لحمل المدين المماطل تتضمن كفاءة عالية

الهوامش:

(١) المغني لابن قدامة ٤/٤٩٩، المبسوط ٢٤/١٦٤، نهاية المحتاج ٤/٣١٩، المقدمات الممهدات ٢/٣٠٦، النووي على مسلم ١٠/٢١٨، ٢٢٧، والمنتقى للباجي ٥/٦٦، فتح الباري ٤/٤٦٦.
(٢) فتح الباري ٤/٤٦٤، الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي ١/٢٤٩.
(٣) البخاري مع الفتح ٤/٤٦٤.
(٤) فتح الباري ٤/٤٦٥.
(٥) سنن أبي داود حديث رقم ٣٦٢٨، سنن النسائي ٧/٣١٦، مسند أحمد ٤/٢٢٢، سنن ابن ماجة ٢/٨١١.
(٦) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ص ٩٢.
(٧) المحلى لابن جزم ٨/١٦٨.
(٨) تبصرة الحكام ٢/٢٢٠.
(٩) الفتاوى الهندية ٣/٤٢٠، روضة الطالبين ٤/١٣٧.
(١٠) مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية ص ٣٤٦، الاختيارات الفقهية من فتاوى ابن تيمية ص ١٣٦.
(١١) المنتقى الباجي ٥/٦٦.
(١٢) فتح الباري ٤/٤٦٦.
(١٣) بدائع النصائع ٧/١٧٣، كشاف القناع ٣/٤٠٧، تبصرة الحكام ٢/٢١٩، روضة الطالبين ٤/١٣٧، المغني لابن قدامة ٤/٤٩٩، شرح السنة للبغوي ٨/١٩٥، شرح الخرشي ٥/٢٧٧.
(١٤) السياسة الشرعية ص ٦٧.
(١٥) المقدمات الممهدات ٢/٣٠٨، السياسة الشرعية لابن تيمية ص ٦٧، مختصر الفتاوى المصرية ص ٣٤٦، الاختيارات الفقهية ص ١٣٦، تبصرة الحكام ٢/٢١٩، ٢٢٠.
(١٦) الطرق الحكمية ص ٩٢.
(١٧) المحلى ٨/١٦٨، وانظر مختصر الفتاوى المصرية ص ٣٤٦، الاختيارات الفقهية ص ١٣٦.
(١٨) رد المحتار ٤/٣٢٢، الفروق للقرافي ٤/٨٠، تبصرة الحكام ٢/٢١٨، والمقدمات الممهدات ٢/٣٠٧.
(١٩) روضة الطالبين ٤/١٣٧.
(٢٠) شرح منتهى الإرادات ٢/٢٧٦، كشاف القناع ٣/٤٠٧.

النميمة بين الاسترسال.. والاستئصال

شريعة

من أمراضنا الاجتماعية الخطيرة: النميمة.. والتي يتوعد الحديث الشريف صاحبها بالحرمان من دخول الجنة، وفي محاولتنا تشخيص العلة، ووصف الدواء نتساءل:
من النمام؟
ومتى يصير النمام نمامًا والقتات قتاتا؟
وما مدى خطورة هذه الرذيلة؟
وكيف تتخلق جرثومتها؟
وإلى أي حد نتحمل مسؤوليتها؟
وما منهج الإسلام المنقذ من ويلاتها؟
كل هذه الأسئلة تحتاج إلى أجوبة تجدها في موضوعنا هذا.

أ. د. محمود محمد عمارة

النمام.. والقتات

جاء في الترغيب والترهيب:
(النمام: الذي يكون مع جماعة يتحدثون حديثا. فينم عليهم.
والقتات: الذي يتسمع عليهم -وهم لا يعلمون- فينم عليهم).
وأصل النميمة: (الهمس. والحركة الخفية. ومنه: أسكت الله نامته. أي حسه)(١)
والقت: الكذب المهيأ.
وقَت الشيء يقُته قتا: هيأه وجمعه.. قليلا.. قليلا).
والرجل القتات: هو الذي يتسمع أحاديث الناس. ثم يخبر أعداءهم(٢)
وفي بصائر ذوي التمييز:
(النم: التوريش: أي التحريش والإغراء. ورفع الحديث إشاعة له وإفسادا. ونمنم الشيء: زخرفه ونقشه).
وتتضح صورة النمام من خلال هذه النقول:
فهو رجل مولع بنقل الأحاديث التي يسمعها في مجالس يحضرها، بل هو يتسمعها.. أي يتكلف سماعها، ولم تصل إليه تلقائيا، فهو في منطق القانون: مجرم مع سبق الترصد والإصرار.
وتتم القصة هكذا:
كلمة يقولها قائل.. فينقلها ناقل.. فيغتر بها جاهل!
والناقل هنا يدرك خطورة ما يفعل.. بدليل أنه يتحرك سرا. حتى لا ينكشف أمره.. فتفسد خطته.
إنه مجرم مع الترصد، وسبق الإصرار كما قلنا.

> النمام والقتات البؤرة التي تعيش فيها جرثومة الرذيلة وتتخلق من عملهما

ولأن الحركة الخبيثة من قبل النمام لا تنطلق من قاعدة إنسانية.. ولا تستهدف مصلحة، بل تتحرى الوقيعة.. فإنه يحاول زخرفة ما ينقله، وتلوينه، ثم يمحو ما يشاء ويثبت على نحو يتحقق به غرضه الخبيث.. بحيث ينطلي على المنقول إليه. فيشعل الموقف نارا.

من هو القتات

و«القت» طور متأخر من أطوار النميمة.. تبلغ به الذروة في إرادة الفساد في الأرض.
وربما جاز لنا أن نقول: إن النمام هاوٍ. والقتات محترف.
فالقتات: ليس عضوا في المجلس.. ولكنه يرصده من قريب.. متسمعا راجعا بما يسمعه إلى «غرفة العمليات» ليصوغ منه حديثا آخر.. كاذبا.. مهيأ.. معدا للانطلاق كالقذيفة.
على أن يكون ذلك على مهل.. رويدا.. رويدا.
ثم يبلغ الإفساد مداه حين يقع اختياره على الأعداء بالذات. ليخبرهم بما قال خصومهم في حقهم. ليفجر الموقف المتوتر والقابل للاشتعال بحكم العداوة القائمة.
فإذا تصورنا أنه رجل «مزور» بان لنا كيف يختفي من وراء هذا التزوير ليمارس نشاطه دون أن يفطن له أحد.
من أجل ذلك أجاب «حذيفة» رضي الله عنه:
«لا يدخل الجنة قتات» لما قيل له: معنا رجل في المجلس يرفع الأخبار للحاكم. لقد اختار لفظ «قتات» بالذات لخطورة الأضرار المترتبة على إعلام الحاكم بما قيل. فهو قادر على التنكيل بخصومه تنكيلا بحكم السلطة المخولة له.

من صور المكر

ومن صور التخفي والتستر.. مما يلجأ إليه بعض الماكرين من النمامين.. عندما يتطوع بالتحدث عما سمع في مجلس ما.. وأمام رجل معروف بنقل الحديث.
وطبيعي أنه يضمن بذلك وصول حديثه عن طريق هذا الرجل المعروف بذلك المرض.. أي بطريق غير مباشر.
وهكذا يختبىء المجرم الحقيقي وراء الستار.. بعد أن ينفث نفثته، وقد يطول الوقت قبل أن يضبط متلبسا بجريمته أو جريرته.

خطورة النميمة

ومن هنا تنبع خطورة القتات أو النمام:
وقد قالوا: الذي يعمله النمام في ساعة لا يعمله الساحر في شهر(٣).
وقد سجل الشعر بعض هذه المخاطر بمثل قول الشاعر:

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا
وما سمعوا من طيب دفنوا

ومعنى ذلك أن تلوث البيئة الاجتماعية منوط بهم. من حيث إذاعتهم للشر، ودفنهم لصور الخير. ونسوا أن من سمع بفاحشة فأفشاها فهو كالذي أتاها.. فكيف بمن يتصيد الإشاعات، ثم يقوم بتصيدرها كأنها الحقائق؟!

دور الأسرة

ولقد كان للأسرة إدراكها لخطورة النميمة. فتوالت تحذيرات الآباء للأبناء منها. قال سليمان عليه السلام لولده:
يابني: إياك والنميمة. فإنها أَحَدُّ من السيف.
وقالت إعرابية لولدها:
عليك بحفظ السر. وإياك والنميمة: فإنها لا تترك مودة إلا أفسدتها، ولا ضغينة إلا أوقدتها.
وإذ تحذر الأم ولدها.. فإنها تحاول أن تقيه ابتداء من شرها، وذلك بحفظ السر الذي هو أساس الداء.. لأنه بضاعة النمام التي يروجها في أسواق العداوة.
وكيف لا تكون النميمة على هذا النحو من الخطورة وهي التي تقطع كل ما أمر الله به أن يوصل:
قال أبوحاتم(٤)
(تهتك الأستار، وتفشي الأسرار، وتورث الضغائن، وترفع المودة، وتجدد العداوة، وتبدد الجماعة، وتهيج الحقد، وتزيد الصد).
وماذا يبقى من روح التناصر الضرورية للأمة في مجتمع هتكت فيه أستاره.. وأذيعت أسراره؟ وكيف ترقى أمة وفيها ذلك «الطابور الخامس» الذي يئد الخير في مهده، ثم يصفق للشر ليستعلي ويتحكم؟

النميمة على لسان الشعراء

كان للشعر دوره في التنديد بالنمامين:
قال أحدهم:

من نم في الناس لم تؤمن عواقبه
على الصديق. ولم تؤمن أفاعيه
كالسيل بالليل.. لا يدري به أحد
من أين جاء ولا من أين يأتيه
فالويل للعهد منه كيف ينقضه
والويل للود منه كيف يفنيه

بل إن الأمر لا يقتصر على نقض العهد فيما ائتمن على كتمانه.. ولكنه يحاول اختلاق الأحاديث ليرمي بها الأبرياء.. فإذا علم خيرا فإن طبعه الخبيث لا يطاوعه على نشره.. لأن من شأن ذلك إشاعة جو من الطهر، وهو بخبثه غير مهيأ للعيش في المجتمع الطهور، والذي يحاول تلطيخه بما يخترع من أكاذيب:

يمشون في الناس يبغون العيوب لمن
لا عيب فيه. لكي يستشري العطب
إن يعلموا الخير يخفوه وإن علموا
شرا أذاعوه.. وإن لم يعلموا كذبوا

لقد صار البهتان عاطفتهم السائدة.. وقد يموت فيهم الضمير فلا يندم يوما على ما فعل.. بل قد يندم على فلتة لسانه الذي تحرك يوما بالخير.
يقول الشاعر:

تمشيت فينا بالنميم وإنما
تفرق بين الأصفياء النمائم
ومازلت منسوبا إلى كل آفة
ومازال منسوبا إليك الملائم
لأنك لم تندم لشر فعلته
وما تأت من خير فإنك نادم!

وصدق العليم الخبير حين يقول:
﴿ولا تطع كل حلاف مهين. هماز مشاء بنميم. مناع للخير معتد أثيم﴾ [القلم: ١٠ ـ ١٢].

منهج الإسلام في الإصلاح

من هم أطراف النزاع في جريمة النميمة؟ وماهو منهج الإسلام في تلافي آثارها؟
أما أطر اف النزاع فهم:
أ- منقول عنه.
ب- ثم الناقل.
جـ- ثم المنقول إليه.
د- مجلس تتم المعصية على مرأى منه ومسمع.

> عن حذيفة رضي الله عنه قال.. قال رسول الله ﷺ «لا يدخل الجنة نمام» متفق عليه. وفي رواية: «لا يدخل الجنة قتّات»

الحل الإسلامي

نقرأ في ذلك قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ [الحجرات ـ ٦].
روى أنه عليه الصلاة والسلام بعث الوليد بن عقبة ليجمع الصدقة من بني المصطلق -وكان بينه وبينهم إحنة- فلما سمعوا به استقبلوه. فحسبهم مقاتليه.
فرجع وقال لرسول الله ﷺ: قد ارتدوا ومنعوا الزكاة. فَهَمَّ بقتالهم.،
وقيل: بعث إليهم خالد بن الوليد. فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين. فسلموا إليه الصدقات. فرجع)(٦)
ونتلمس ملامح المنهج الإسلامي في الإصلاح:
١- كانت هناك عداوة قديمة بين الوليد وبني المصطلق.. وكان لها بالتالي دورها في الحكم المتسرع.
٢- أدانته الآية الكريمة إدانة دامغة بالفسق لكل من سلك هذا المسلك المسارع إلى الاتهام.
٣- تحميل المنقول إليه مسؤولية تصديق الخبر من دون بينة.
٤- ضرورة التثبت حماية لكرامة الناس الغائبين الذين لا يملكون الدفاع عن أنفسهم.
وعلى هذا الأساس القرآني اتجه الفكر الإسلامي إلى الإصلاح بوسائل منها:

بيان الجذور النفسية والأخلاقية التي تحول دواعي النميمة.

ثم.. توضيح مسؤولية أطراف القضية جميعا.. ليكون التحذير عاما، وليس خاصا بالناقل وحده كما يظن بعض الناس اليوم حين يبرزون دور الناقل النمام في إفساد ذات البين متجاهلين سكوت بقية الأطراف الذين هيأوا للنمام طريقه لينفذ جريمته.

أما عن أسباب النميمة:

تعود النميمة إلى أسبابها الحاملة عليها ومنها:
أ- ضعف الوازع الديني.
ب- التنافس بين الأقران والذي يتطور بالعناد إلى حسد مدمر.
جـ- عدم إدراك النمام حجم جريمته وما يترتب عليها من آثار. ذلك بأن النميمة داء خفي يسري كالسم لا ترى آثاره بالعين المجردة.
د- خلو المجلس من شجاع يردع النمام قبل أن يستفحل خطره.
هـ- عدم إدراك المسلم لمسؤوليته المباشرة في الدفاع عن عرض أخيه الغائب.. وأن إهمال ذلك

يعرضه شخصيا لنفس الموقف الذي سيخذل فيه ولا يجد له نصيرا، وعجيب أمر الناس:
لو رأوا من يسرق «جنيها» من أخيهم.. قبضوا عليه ولكن لو سرق عرضًا فإنهم يسكتون، وربما كان السكوت منهم رغبة في الاستماع، أو في الاستمتاع!

و- ومن وراء ذلك كله: كيد الشيطان الذي لا يمل من التحريش بين المسلمين لتقر عينه بتمزيق وحدته. وجعل غزلهم من بعد قوة أنكاثا.

ز- ومن أسباب النميمة أيضا استرسال المنقول إليه في الاستماع، فيغري النمام بالمزيد.

ح- استهتار المسلم وعدم احتفاظه بأسراره التي يبوح بها ومن ثم تستغل ضده.

أما عن عموم المسؤولية:
لما كانت المسؤولية مشتركة فمن العدل أن يتحمل الأطراف جميعا نتائجها.. وهذا ما فعله الإسلام الذي لم يكتف بمجرد الاتهام.. وإنما شخص المشكلة واضعا في الوقت نفسه أسباب الخروج منها:

أما بالنسبة للمنقول عنه:
فهو مأمور بحفظ أسراره. حذر انتشارها.
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «استعينوا على الحوائج بكتمان السر. فإن لكل نعمة حاسدا» (٦)

وقد قيل:
إذا بحت بسرك للرياح.. فلا تلمها إذا نقلته إلى الأشجار!
وأنت الملوم إذن. على حد قول الشاعر:

تبوح بسرك ضيقا به
وتبغى لسرك من يكتم
وكتمانك السر ممن تخاف
ومن لا تخافنه أحزم
إذا ذاع سرك من مخبر
فأنت وإن لمته ألوم

وإلى هذا المعنى أشار الشاعر:

إذا ضاق صدر المرء عن بعض سره..
فألقاه في صدري فصدري أضيق
ومن لامني في أن أضيِّع سره...
وضيعه قبلي.. فذو السر أخرق

أما بالنسبة للناقل.. وهو النمام:
فقد رَهّبه الإسلام إرادة فطمه عن رذيلته:
يقول ﷺ:
«.. ومن استمع إلى حديث قوم هم له كارهون. صب في أذنيه الآنك يوم القيامة».(٧)
والآنك: الرصاص المذاب.

وإذ يحذر ﷺ من التنصت ومن نقل الحديث على فرض صحته، فكم يكون الجزاء لم اختلق الحديث اختلاقا؟
قال ﷺ:
«ليس مني ذو حسد. ولا نميمة. ولا كهانة.. ولا أنا منه». ثم تلا قوله تعالى: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا﴾ (٨) [الأحزاب: ٥٨].

وفي التحذير من هذا المسلك المعيب نقرأ قوله تعالى: ﴿هماز مشاء بنميم. مناع للخير معتد أثيم﴾ [القلم ١١ ـ ١٢].
لقد صار قلب النمام أطلالا ينعق فيها البوم ولا يرف فيه ظل للخير.
بل إنه واقف بالمرصاد حتى لا يبسط الخير جناحه.
بل هو «مناع» للخير يبذل كل جهده حتى لا يقترب من ساحة المجتمع.
وقد تأملت حال الناس فوجدت تسعة أعشار الخصومات بينهم راجعة في أسبابها إلى رجل واحد.. نفث بينهم.. فكان الفراق.. ثم الشقاق.. ثم الدم المراق!

أسوة في حفظ اللسان

ذهب الصوفي سهل بن عبدالله لزيارة أبي داود الفقيه.
فقال له سهل:
لي إليك حاجة. قال: وماهي؟
قال سهل: لا أذكرها حتى تعد بأن تقضيها. إذا أمكنك الله تعالى.
فقال أبو داود: إن شاء الله تعالى.
قال سهل: إني أرى أن أطهر لسان هو الذي حجبه صاحبه عن اللغو. وشغله بكتاب الله. وحديث رسول الله ﷺ، وهذا اللسان هو لسانك.. وحاجتي هي: أن تسمح لي بتقبيل هذا اللسان. الذي أكرمه الله وهداه إلى حفظ السنة المطهرة بالرواية الصادقة.
ووافق أبو داود، ومكن صاحبه الصالح من تقبيل لسانه.

النمام يعمل على تلوث البيئة الاجتماعية فهو، إذاعة للشر لأنه يدفن الخير ويظهر الشر

قاطع الطريق

وإذا كان للمغتاب من عذر حين يشتم صاحبه في غيبته أحيانا.. شتما قد يشفي صدره ليحسم من بعد التعامل معه.. فما للنمام ونقل الكلمة بطريقته الخاصة فيقطع على المغتاب التائب طريق العودة إلى الصفاء القديم مع صاحبه؟
وما أكثر الذين يتعرضون للظلم يقع عليهم من غيرهم.. ومن حقهم أن يشتكوا يوما شفاء لغيظ مكتوم.
لكن قطاع الطريق: لا هم يساعدونهم في رفع الظلم الواقع.. ولا يعطونهم الحق في أن يتألموا!!
وهذا الصنف من الناس يبلغ من الشر مداه:
قال ﷺ: «شر عباد الله: المشاءون بالنميمة. المفرقون بين الأحبة. الباغون للبراء العيب»(٩).
وإذا عزل النمام هكذا في الدنيا فلم يكن له شرف الانتماء إلى رسول الله ﷺ ولا إلى أمته.. فإن عذابه مستمر: في القبر.. وفي الآخر.
أما في القبر: «عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ مر بقبرين فقال: إنهما يعذبان. وما يعذبان في كبير. بلى إنه كبير: أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر: فكان لا يستتر من بوله»(١٠)
والحديث الشريف يشير إلى تساهل بعض الناس في تناول هذه الرذيلة، والتي تجري على ألسنتهم دون إحساس بآثارها المرة. مؤكدا أنها عكس ما يظنون خطر عظيم.. لا يكاد مدمنها يموت. حتى تبدأ رحلة العذاب.. الذي سوف يكون تمهيدا لعذاب أكبر وأطول: «إن النميمة والحقد في الناس. لا يجتمعان في قلب مسلم»(١١).
وإلى جانب هذه التحذيرات.. فقد كان له ﷺ موقف عملي يتصدى لنوازع الشر.. حتى لا تبرز إلى الوجود ليظل محتفظا بحبه لأصحابه دائما: وأيضا تعليما لأمته:
عن ابن مسعود رضي الله عنه قال.. قال رسول الله ﷺ: «لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئا. فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»(١٢).
وفي ضوء هذا الحديث ينبغي أن يحاسب الناقل نفسه، بل عليه أن يناقشها الحساب..
لقد كان أمامه عدة اختيارات:
أ- أن يدافع عن صاحبه المشتوم في المجلس..

وتنتهي مهمته.
ب- أو على الأقل يغادر الجلسة مظهرا غضبه ورفضه لما قيل مبرزا ما يعمله عن المشتوم من أخلاق فاضلة تنفي ما يقال في حقه، أو على الأقل تخفف اللوم عنه.
جـ- أن ينقل الحديث كما سمعه..
د- أو يتزيد فيه مكرا وخداعا.
وإذن.. فلماذا تخلى عن دوره كصديق حميم.. ينصر أخاه بظهر الغيب.. واختار أسوأ الاحتمالات.. بهذه الوقيعة المبيتة؟
إن اختيار النميمة حينئذ هبوط إلى أسفل.. فلا أنت بالذي دافع عن صاحبه.. ولا أنت بالذي كتم السر حفاظا على ود قد يعود بين الاثنين.. بشرط أن تبتعد أنت عنهما!
أما بالنسبة للمنقول إليه فهناك حقيقتان ينبغي ألا تغيب عن هذا الذي نقل إليك الحديث، وأوشى به لدى سلطان أو غيره:
● الحقيقة الأولى: أن من نقل إليك.. نقل عنك.. لأنه لا ينم الحديث حبا فيك.. وكراهية لغريمك.. وإنما هو من قوم يشفى غليل صدورهم إن تصرعوا.. وإذن فهو عدو مشترك بينكما.. فلا تسمع منه. وإذا ظننت فلا تحقق.
● الحقيقة الثانية: إن الذي ينقل إليك إنما يشتمك أنت.. فأنت لم تسمع من الغائب، وإنما سمعت من هذا الناقل والذي يشافهك بما عابك به القائل.
جاء في روضة العقلاء:من وشى بالشيء إلى إنسان بعينه. يكون قصده إلى المخبر أكثر من قصده إلى المخبر به لمشافهته إياه بالشيء الذي يشق عليه علمه وسماعه.
ولقد أحسن الذي يقول:
من يخبرك بشتم عن أخ
فهو الشاتم.. لا من شتمك
ذاك شيء لم يشافهك به
إنما اللوم على من أعلمك
كيف لم ينصرك إن كان أخا
ذا وفاء عند من قد ظلمك
إنما رام بإبلاغ الذي
نم فيه - فاعلمن - أن يرغمك
فأهنه.. إنه من لؤمه
إن تهنه بهوان أكرمك
لكن الحر إذا أكرمته
لم يصغرك ولكن فخمك
مسؤوليتنا.. في مواجهة النميمة
إذا استطاع النمام أن يقوم بعملية اختراق الصف المتماسك بما ينقله إليك من حديث مسموم فإن واجب الأخوة يحتم عليك القيام بهجوم مضاد يحبط مفعول كلمة مريضة يلوح بها الوسواس الخناس من الجنة والناس:
ولقد لخص علماؤنا مايجب على المستمع في مواجهة النمام فيما يلي:
١- عدم قبول كلامه.. فهوشهادة مردودة عليه لأنه فاسق.
٢- نهيه عن هذا المسلك الخبيث.
٣- بغض النمام في الله.
٤- ألا يظن السوء بأخيه المسلم الغائب.
٥- ألا يتجسس محاولا التأكد من صحة ما سمع.
٦- أن يكتم ما سمعه.. حتى لا ينتشر فيحقق مآرب النمام.
وكان ذلك مسلك العارفين بطبيعة النفوس دائما:
كانت العلاقة بين «حاتم الطائي» وزميله في الكرم «أوس بن حارثة» مضرب المثل في القوة والثبات.
وقرر صديقهما النعمان أن يعرّض هذه العلاقة لامتحان عسير.
فقال: والله لأوقعن بينهما!
فذهب إلى أوس وقال:
يزعم حاتم أنه أفضل منك.
فقال أوس:
صدق.. إن حاتما كريم جواد.. ولو ملكني أنا وعيالي وأهلي لتصدق بنا في يوم وليلة!
ولماذا ذهب إلى حاتم لينقل إليه ادعاء أوس أنه خير منه.. قال حاتم: صدق والله! إن له عشرة أولاد.. أقلهم أفضل مني!!
ويعود الصديق بحقيقة تفرض نفسها.. هي: أنه لم ير أفضل من الاثنين معا! وربما عاد إلى بيته بقراره الحاسم: ألا يجدد التجربة بعد ذلك أبدا.
إن عنصر المنافسة في مجال العلم. أو التجارة. أو الشرف. كثيرا ما يحمل على كتمان الحق.. إلى حد يحاول المنافس التفرد بالفضل وحده.

أسباب النميمة ضعف الوازع الديني فهي التي تنفس السموم بين الأقران وربما تتطور إلى حسد مدمر قاتل

وقد يعظم الإحساس بالذات تحت ضغط التنافس إلى كتمان فضائل الآخرين.. والتعريض بهم.. مما يعرض الفضيلة نفسها لخطر الاهتزاز في أعين العامة.
لكن حاتما ورفيقه.. لقنا النمام درسا لا ينسى.. ثم برهنا على أن اليد السخية المبسوطة بالعطاء.. تستمد طلاقتها من قلب نظيف.. ولسان عفيف!
ولقد اطلع الإسلام على هذا الخلق الجميل فزاده رسوخا وجمالا:
فقد وقع بين «الحسن» وأخيه «محمد ابن الحنفية» خلاف.. ومشى بعض الناس بينهم بالنمائم:
فكتب ابن الحنفية إلى أخيه الحسن يقول:
أما بعد:
فإن أبي وأباك: على بن أبي طالب لا تفضلني فيه. ولا أفضلك.
وأمي: امرأة من بني حنيفة.
وأمك فاطمة الزهراء. بنت رسول الله ﷺ.
فلو ملئت الأرض بمثل أمي.. لكانت أمك خيرا منها.
فإذا قرأت كتابي هذا فاقدم حتى ترضاني.. فإنك أحق بالفضل مني!!
ولقد كان المتوقع أن يبدأ ابن الحنفية أخاه بالزيارة.. وهو صاحب مبادرة السلام هنا ليذهب دون أخيه بالفضل!
لكنه لم يفعل.. ووقف بأخيه حيث رشحته للفضل أصوله الفاضلة.
وقبل أن يتقول الحساد الأقاويل.. وحتى لا تظل الثغرة مفتوحة بين الاثنين ليدخل منها المغرضون.
أي أن العدل الملحوظ في قصة حاتم مع أوس.. يصير في ظل الإسلام فضلا وإيثارا.. يقطع الألسنة فلا تحاول التشهير.
صحبة الصالحين
ومازال في أمتنا رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه، فلم يمكنوا منهم نماما.. لما واجهوه بالقسوة الحازمة فأحبطوا عمله، ومنهم ذلك العالم الذي قيل له:
إن فلانا شتمك! فأجابه على الفور:
أما وجد الشيطان بريدا غيرك؟!
ولا يبقى بعد ذلك إلا الخطوة العملية الأخيرة.. وهي أن يعلن المنقول عنه.. والمنقول إليه الصلح.. ففي صلحهما هلاك النمام.
وإذا لم تتم هذه الخطوة العملية، وبقي الطرفان متباعدين فسوف تتاح للنمام فرصة أخرى لاستئناف محاولة القطيعة.. وحينئذ يتسع الخرق، ويتعقد الموقف ليكون الأمر على ما قال

الشاعر:
نبآني يا نخلتيّ حلوان
واذكرا لي من ريب هذا الزمان
واعلما ـ إن بقيتما ـ أن نحسا
سوف يأتيكما فتفترقان

وفي ذات يوم دفع رجل إلى الصاحب بن عباد برقعة ليأخذ مال يتيم، وكان كثيرا فكتب الصاحب على ظهرها: النميمة قبيحة، وإن كانت صحيحة...والميت رحمه الله.
واليتيم.. جبره الله...والذي يسعى بالنميمة.. لعنه الله...ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الذين يحاكمون أنفسهم

وقد بلغت حساسية هذا النفر الكريم حدا حملهم على الاستغفار للغائب الذي لا يملك الدفاع عن نفسه.. من كل ما يُظن أنه مضر به. مما لا يكاد يخطر على بال أحد من عامة الناس:
كان عابد مريضاً ينفق على مرضه.
فلما عز الدواء وأفلس قيل له: اقترض من فلان.
فقال: أنا أتورع عن مالي الذي قد أظن به شبهة. فكيف بهذا المال الذي لا علم لي به مطلقا.
لكنه ظن أنه قد عرض بهذا الرجل الغائب.. فقال للحاضرين:
استغفروا له، ثم قال: ربما كنا اغتبناه بهذا الذي قلناه!
وفي مجالسة هؤلاء العارفين ما ينشئ في النفوس عادة التثبت قبل المجازفة بحكم لم تتوافر دلائله.. فيسلم العقل من التسرع والتهاون بأقدار الناس.

ضرورة المواجهة

ومن واجب المنقول إليه أن يعقد مواجهة بين الناقل والمنقول عنه على نحو تتبين به الحقائق على أرض مكشوفة.. يصفو بعدها الود. ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حيي عن بينة:
وشى واش بعبدالله بن همام السلولي إلى زياد.
قال: فبعث زياد إلى ابن همام.
فجاء. فأدخل الرجل بيتا، فقال له زياد:
يا بن همام: بلغني أنك هجوتني.
فقال له: كلا أصلحك الله! مافعلت.
وما أنت لذلك أهل.
قال: فإن هذا أخبرني ـ وأخرج الرجل ـ فأطرق ابن همام هنيهة ثم أقبل على الرجل فقال:

> قال ﷺ: «لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر» رواه الترمذي وأبو داود

وانت امرؤ: أما ائتمنتك خاليا
فخنت. وأما قلت قولا بلا علم
فأنت من الأمر الذي كان بيننا
بمنزلة بين الخيانة والإثم

قال: فاعجب زياد بجوابه وأدناه وأقصى الساعي ولم يقبل منه.
ولهذا الإجراء السريع الحاسم أثره في ردع النمامين:
فقد أعلن على الملأ كذبه.. مما حذر الناس منه.. ومن ثم زال خطره.
ولقد كان الليث أذكى من ابن همام:
فقد سعى رجل بالليث بن سعد إلى والي مصر.
فبعث إليه فدعاه فلما دخل عليه قال له: يا أبا الحارث إن هذا أبلغني عنك كذا وكذا.
فقال له الليث: سله ـ أصلح الله الأمير ـ عما أبلغك؟
أهو شيء ائتمناه عليه. فخاننا فيه؟ فما ينبغي لك أن تقبل من خائن!
أو شيء كذب علينا فيه.. فما ينبغي لك أن تقبل من كاذب.
فقال الوالي: صدقت يا أبا الحارث! فكان درسا للناقل والمنقول إليه معا!
ولقد كان عمر بن عبدالعزيز أسدى رأيا وأصدق لهجة مع واحد من مدرسة الواشين:
قال له رجل: إن فلانا يسبك في الأسواق.
فقال له عمر: اسمع يا هذا!
هنالك قوم يسبون الواحد الخلاق.. ثم أنت تسمعهم كما يسمعهم غيرك.. وتدعهم وشأنهم!
فإن رأيت أحدا من مثل هؤلاء: فأسر إليه النصيحة.. واعفني من هذا النفاق!!

> النميمة تقطع على المقتاب التائب طريق المودة إلى الصفاء

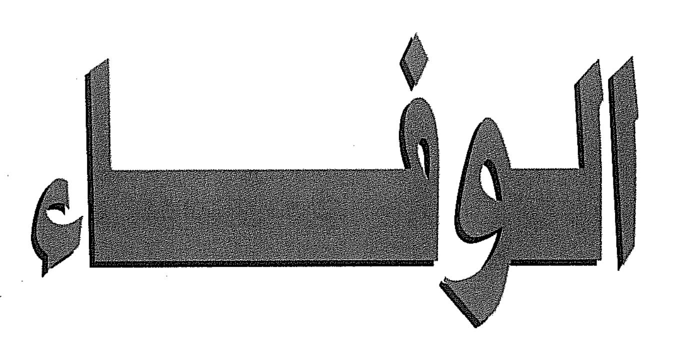
إن رغبة الواشي هنا ملحة أنسته بإلحاحها حقيقة لا تقبل النسيان.
وهو وأمثاله يمرون عليها وهم عنها معرضون.
فما أكثر الذين يسيئون الأدب مع خالقهم سبحانه ومع ذلك لا تتحرك شعرة في رأس غيور.. فإذا قصروا في حق الخالق.. وهزهم أن يشتم المخلوق.. فهو النفاق في أوضح صوره.
والحل العملي هو ما لقنه الخليفة:
أن يباشر الناقل وظيفته مع الشاتم نفسه أولا دفاعا عن أخيه المسلم بظهر الغيب.. وعندئذ تنتهي مهمته.
أما نقل المعركة إلى مجلس المشتوم.. فهي الغفلة عن الحقيقة الكبرى والتي لفت الخليفة نظره إليها، وهي أمارة رغبة من الواشي في الإفساد لا تخفى على أحد.. وعليه من الآن أن يصحح خطأه بنصح الوشاة نصحا يفر به من وصمة هذا النفاق!

قبول الاعتذار

من شيم الأحرار قبول الاعتذار..
يقول الشاعر:
إذا اعتذر الصديق إليك يوما
من التقصير عذر أخ مقر
فصنه عن جفائك واعف عنه
فإن الصفح شيمة كل حر
لقد أتاك معترفا بخطئه.. منقادا إليك على الأقل بظاهر حاله.. وهو خير ممن آذاك تحديا.. واستهتارا. ■

المراجع:

١ ـ المصباح المنير.
٢ ـ لسان العرب.
٣ ـ راجع روضة العقلاء لابن حبان.
٤ ـ راجع روضة العقلاء لابن حبان.
٥ ـ راجع تفسير البيضاوي.
٦ ـ ابن حبان.
٧ ـ من حديث لابن عباس الترغيب والترهيب فصل الترهيب من أن يستمع حديث قوم.
٨ ـ رواه الطبراني.
٩ ـ رواه أحمد.
١٠ ـ متفق عليه.
١١ ـ رواه الطبراني.
١٢ ـ رواه الترمذي وأبو داود.



إشراقات تربوية

الوفاء

بقلم: جاسم مهلهل الياسين

أمر الله المؤمنين أن يوفوا بالعهود فقال سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) [المائدة ـ ١]، فواجب على كل مسلم أن يفي بعهده القائم على الحق والعدل في كل ما عاهد الله عليه أو الناس، فنكث العهد ونقضه مذمة يعاب بها المسلم، ومأثم يأكل حسناته ويضاعف سيئاته، في الآخرة، ويجعله متهماً بين الناس في الدنيا بالنكوص عن العهود، وخلف المواعيد، وقد يحكم عليه بالكذب فيكتسب بذلك صفة ذميمة من صفات المنافقين.

> السلف الصالح كانوا يحرصون على الوفاء بالعهد ولو كلفهم النفس أو المال

وأوجب ما يستحق الوفاء عهد المؤمن بينه وبين ربه (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) [النحل /٩١] إذ المؤمن بهذا الوفاء يضمن وفاء الله له فيما عاهد عليه ربه والله سبحانه يقول (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) [البقرة/ ٤٠] وعلى المؤمن بل على الإنسان عهد قديم بينه وبين ربه ألا يشرك بالله شيئا ذلك قول الله (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا...) [الأعراف/١٧٢] وعلى المؤمن عهد من الله ألا ينحرف وراء الشيطان، لأنه عدو ظاهر العداوة للإنسان (ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين. وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) يس/ ٦٠ ــ ٦١] وكان السلف الصالح يحرصون على الوفاء بالعهد وإن كلفهم ذلك الوفاء أنفسهم أو أموالهم وهذا أنس ١- بن مالك قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يار سول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن أشهدني الله مع النبي قتال المشركين، ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم «أحد» انكشف المسلمون فقال: اللهم إني اعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني أصحابه ـ وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المشركين ـ ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني لأجد ريحها من دون أحد!! قال: سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع ثم تقدم. قال أنس فوجدنا به بضعاً وثمانين ما بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح، ورمية بالسهم، ووجدناه وقد مثل به المشركون، فما عرفه إلا أخته ببنانه.

قال أنس: كنا نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً) [الأحزاب/٢٣]، فلم ينظر هذا الصحابي للأخطار المحدقة به في مواطن القتال، وإنما نظر إلى وجوب وفائه بعهد الله الذي قطعه على نفسه بعدما لم يشارك في القتال يوم بدر، فوفى بعهده وقدم نفسه راضياً في سبيل الله، متحملاً المشاق في سبيل تنفيذ عهده. ومن الناس من لا يتحمل لمثل هذه المشاق ولا بعضها ومع ذلك يغدر ولا يفي، ويعد ثم ينكث عهده ويخلف وعده.

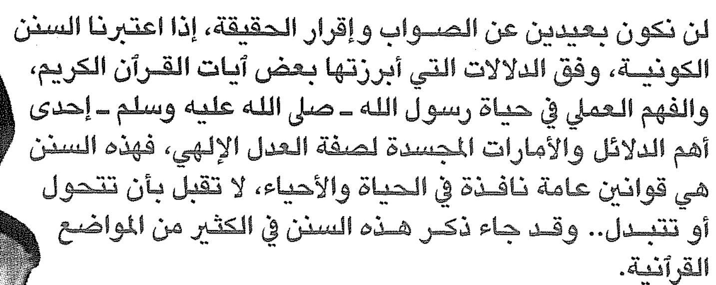
وكم من أناس يعدون بتحقيق مطلب، أو إعطاء حق لأصحابه، أو معاونة محتاج فقير أو عابر سبيل، ثم لا يفعلون من ذلك شيئا فهم يخادعون الناس بقولهم ويخالفونهم بفعلهم فيصدق عليهم قول الله (كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) [الصف/٣].

والوفاء بالعهد سمة من سمات المؤمنين، لا تتخلف عنهم ولا تنفصل في تعاملهم مع البشر أياً كانت ديانتهم وجنسياتهم، فليس يصح في دين الإسلام أن يفي الإنسان لشخص معين، ثم لا يفي لآخر، وليس يصح أن يفي المسلم للمسلم ثم يغدر بالكافر، وليس يصح أن يفي لأقاربه ثم يغدر بالأبعدين. إن الوفاء عند المسلم لا يرتبط بوقت معين ولا بمكان معين ولا بشخص معين، وتلك إحدى سمات الإسلام التي لا تجدها عند غير المسلمين، لأن غير المسلمين الصادقين يبيحون لأنفسهم ما لا يباح لغيرهم من البشر ويستأثرون بمصالحهم التي توجههم فلا يبالون بعهد ولا موثق، وكم من حكومة أعلنت تأييدها لأمر بعينه ثم نقضته، وكم من شخص عاهد الله ثم نكص على عقبيه.

> نقض العهد مذمة يعاب بها المسلم وتصمه بالكذب وخلف المواعيد من صفات المنافقين

والشواهد كثيرة، والغدر مرتعه وخيم، والوفاء نعم الخلق الذي نحرص عليه، لأنه أمارة على قوة الإيمان واليقين، ومرضاة لله رب العالمين. ■





لن نكون بعيدين عن الصواب وإقرار الحقيقة، إذا اعتبرنا السنن الكونية، وفق الدلالات التي أبرزتها بعض آيات القرآن الكريم، والفهم العملي في حياة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إحدى أهم الدلائل والأمارات المجسدة لصفة العدل الإلهي، فهذه السنن هي قوانين عامة نافذة في الحياة والأحياء، لا تقبل بأن تتحول أو تتبدل.. وقد جاء ذكر هذه السنن في الكثير من المواضع القرآنية.

منها قوله تعالى في سياق أحكام القتال بمناسبة غزوة بدر: (قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين) [الأنفال: ٣٨].

وقوله في سياق أحوال الأمم مع أنبيائهم: (وقد خلت سنة الأولين) [الحجر:١٣]، وقوله في سياق الدعوة إلى الإسلام: (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلاً) [الكهف: ٥٥].

وقوله أيضاً في السياق ذاته: (فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً) [فاطر: ٤٣].

السنن الحضارية.. ومعادلة تخلف المسلمين في فكر الشيخ محمد الغزالي

بقلم: إبراهيم نويري

كما ورد ذكر هذه السنن في مواضع أخرى من الكتاب الكريم(١)، وبعض العلماء يطلق عليها اسم: السنن الإلهية، أو السنن الاجتماعية، أو السنن الحضارية، أو ناموس الكون، غير أن المراد واحد: هو مجموع القوانين التي يسير وفقها الكون، والتي يستفيد منها الكائن الإنساني بما يؤهله، فيسخرها ويستفيد منها، إنها نظم هذا الكون المفتوح بما فيه ومن فيه المسيِّرة له وفق ما أراده الخالق المبدع جل شأنه، مجالها الواسع: السماوات والأرض والحياة والكون... والإنسان من حيث هو إنسان... فهي لا تتعلق بمعتقده.. أي بإيمانه وكفره، أو إلى الجنة هو أم إلى النار، إنها سنن عامة مبثوثة في الكون سارية في الحياة(٢).

وفي معرض تفسيره لقوله تعالى: (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) [آل عمران: ١٣٧] يقول صاحب تفسير المنار متحدثاً عن مسألة السنن الإلهية: «هذا إرشاد إلهي، لم يعهد في كتاب سماوي، ولعله أرجئ إلى أن يبلغ الإنسان كمال استعداده الاجتماعي، فلم يرد إلا في القرآن، الذي ختم الله به الأديان.

لقد جاء القرآن ـ عكس معتقدات الأجيال السابقة عليه ـ يبين للناس أن مشيئة الله

تعالى في خلقه إنما تنفذ على سنن حكيمة وطرائق قويمة، فمن سار على سننه ظفر بمشيئة الله وإن كان ملحداً أو وثنياً، ومن تنكبها خسر وإن كان صدّيقاً أو نبياً، وعلى هذا يتخرّج انهزام المسلمين في وقعة أحد، حتى وصل المشركون إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشجوا رأسه...»(٣).

من هنا تبدأ الرؤية في الوضوح إذا تعلق الحديث بواقع الأمة الإسلامية، وما عليه المسلمون من مستويات وأحوال في شتى الميادين والمجالات... وليس من شك أن تناول موضوع «السنن الإلهية» ومحاولة ربطه بحال وواقع العالم الإسلامي المتردي له أهمية قصوى، من جانبين على الأقل:

أولا: إنه يدفع فرية إلصاق تخلف المسلمين والعالم الإسلامي ذاته كنصوص معصومة، وكدين ووحي تكفل الله تعالى بحفظه، إذ هو يبين حقيقة علمية لا سبيل لجحدها ونكرانها، وهي أن التقدم أو التخلف، النهوض أو الانحطاط، الحركة أو الجمود، الازدهار أو الذبول... كل ذلك مرتبط بسنن إلهية كونية، وأن من احترم هذه السنن والتزم نهجها فإنه لا محالة يحقق مبتغاه ويجسد أهدافه وطموحاته، وأن من تجاهل هذه الحقيقة، وتقاعس عن العمل بمقتضى هذه القوانين الكونية، فإنه لابد خائب، غير محقق لشيء مما يأمل ويريد، كان ما كان دينه ومعتقده.

ثانياً: حاجتنا المؤكدة لتجلية هذه الحقيقة، وترسيخ الأفكار المتعلقة بموضوع السنن الإلهية والاجتماعية، فقد يمكن أن يكون حسن الوعي بهذه الأفكار، واستيعاب هذه المسلّمة، سبيلاً ممهداً لانعتاق الأمة الإسلامية، والخروج بها من قوقعة القيود الوهمية التي طالما كبّلت انطلاقتها، والوصول إلى تلمس الأسباب الفعلية المؤدية إلى تجسيد الأهداف والطموحات والآمال.

لقد أرهق هذا الموضوع المخلصين من علماء الإسلام ومفكريه، وأقض مضاجع الغيورين على الأمة الإسلامية، والمهتمين بحاضرها ومستقبلها.

ففي النصف الأول من القرن العشرين الميلادي أجاب الأمير شكيب أرسلان ـ رحمه الله ـ عن هذا السؤال الرهيب: لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟ فكان مما خلص إليه بإجابته تلك بعد تفاصيل مطولة، أن المسلمين المعاصرين لا يمكنهم أن ينهضوا إلا بما نهض به سلفهم، فالتقدم المادي وغيره بالنسبة للمسلمين هو من الفروع، أي إنه يأتي بعد التمسك بالأصل وفهمه فهماً صحيحاً، وهو الإسلام، واستشهد الأمير شكيب أرسلان بما قاله له ذات يوم جمال الدين الأفغاني من أن الوالد الشفيق يكون من أجهل الجهلاء، فإذا مرض ابنه اختار له أحذق الأطباء، وعلم أن هناك شيئاً نافعاً هو العلم، لا يعلم هو شيئاً منه، ولكنه يعلم بسائق حرصه على حياة ابنه أنه ضروري. ومن ثمة فإن المسلمين يمكنهم إذا أرادوا حقاً الانطلاق وعملوا بما دعاهم وحرّضهم عليه كتابهم أن يبلغوا مبالغ الأوروبيين والأمريكيين واليابانيين من العلم والارتقاء، وأن يبقوا على إسلامهم كما بقي أولئك على أديانهم(٤).

إن هذا التساؤل لم يكن مطروحاً في قرون الإسلام الأولى، لأن العقل الإسلامي كان عقلاً مبدعاً خلاقاً، منطلقاً عبر الآفاق، وكانت الحضارة الإسلامية هي المهيمنة، وعن عطاءاتها وإنجازاتها ونبوغها تأخذ وتستهدي بقية الأمم الأخرى.

وكان العرب والمسلمون في تلك القرون الزاهرة مثالاً يحتذى في العمل والنبوغ ونفع الإنسانية، أما في فترات انحطاط المسلمين، وبعدهم عن مشاركة القافلة البشرية وعبقريتها وإنجازاتها، فإن التساؤل بات ملحاً محرجاً، يفرض نفسه في الطرح والتفكير على كل مخلص وغيور من أبناء أمتنا الكبيرة.

وفي فكر الشيخ الغزالي فإن هذا الموضوع يعتبر نقطة محورية، بل إن معظم مؤلفاته ونتاجه الفكري يدور حول هذا المحور،

كان العرب المسلمون في تلك القرون مثالا يحتذى بهم

وبالنظر في كتبه نرى: «سر تأخر العرب والمسلمين»، «الحق المر» «علل وأدوية»، «معركة المصحف في العالم الإسلامي»، «هموم داعية»، «الإسلام والأوضاع الاقتصادية».

ويلتقي الشيخ الغزالي في تشخيصه لعلل وأدواء الكيان الإسلامي مع الكثير من الآراء المشخصة والتي قال بها علماء ومفكرون مسلمون، ولا سيما علماء مدرسة المنار ـ التي تجمع بين صحيح المأثور وصريح المعقول ـ كالشيخ محمد عبده، ورشيد رضا، وحسن البنا، وغيرهم، إلا أن هذا الالتقاء أو الاقتراب في النظر، لم يكن حائلاً من أن تكون له رؤيته التفصيلية الخاصة به، فالاقتراب يكون عادة في العموم لا في الخصوص، أو بمعنى آخر في المحاور العامة لا في التفاصيل الدقيقة.

فهو يرى أن التخلف والانحطاط الذي عليه أمتنا الإسلامية له أسرار وأسباب، أما الأسرار فهي أعمق من الأسباب وتتمثل في أمرين كبيرين يمكن إيجازهما فيما يلي:

أولاً: البعد عن الله ومنهجه الحق.

الإسلام منهج متكامل، ودستور شامل، لا يمكن لمن ينشد النهوض والتقدم وفق مبادئه وهدايته وأحكامه، أن يأخذ ببعضه ويترك بعضه الآخر، أو يحرّف مقاصده وغاياته كما يحلو له: فهو دين الله الذي ختم به رسالات السماء وهدايات العالمين، وإذا كانت بعض الشعوب والأمم بمقدورها العيش بفلسفات وأفكار ومناهج من صنعها، أو هي خليط من أفكار البشر وبقايا الأديان السابقة، فإن العرب والمسلمين ليس بمقدورهم ذلك، وليس بإمكانهم أن يدلفوا إلى عالم الحضارة وتقديم النفع والخير للبشرية إلا عن طريق هذا الدين وتوطيد العلاقة بالله وبمنهجه الحق، وهذا ما حدث أول مرة فعلاً كما يشهد التاريخ ودورات الحضارة، وليس أمام أجيالنا المعاصرة إلا التيقن من حقيقة وجدوى هذا السبيل. يقول الشيخ الغزالي: «ما قيمة الإنسان العربي يوم ينسلخ عن الإسلام، ويستعصي على توجيهه، ويمضي وفق هواه؟ كم يساوي محلياً ودولياً من الناحيتين المادية والأدبية؟

إن الإسلام بالنسبة إلى العرب كتيار الكهرباء بالنسبة إلى المصابيح التي تعتمد عليه وتضيء به وحده، فإذا انقطع التيار

أمست زجاجات فارغة لا توقد بزيت ولا يشعلها عودة ثقاب!!».

ثم يستتلي مؤكداً على هذا الأمر: «إن الأجناس الأخرى قد تتحرك بفلسفات شتى، وقد تعلو وتهبط بتيارات أخرى، أما العرب فما يمسك خصائصهم العليا إلا دين، فإذا فقدوه عادوا قبائل متفانية، بل عادوا سقط متاع، أو أصفاراً في عالم الأرقام...»(٥).

وعلى الرغم من أن هذه الحقيقة باتت من المسلمات، إلا أن قطاعاً عريضاً داخل الأمة الإسلامية مازال يصر على إنكارها، أو حجبها بأهوائه وأطماعه، إما بفعل المصالح الشخصية والمآرب الخاصة، وإما بأثر الغزو الثقافي الذي حرصت الدوائر المعادية للإسلام على غرسه ورعايته في فكر النخبة الثقافية والسياسة في العالم الإسلامي.

ومن عدة عقود أبلت طلائع الصحوة الإسلامية المعاصرة بلاء حسناً وهي تدعم هذا التوجه وتدفع العوادي عن انتماء الأمة الحضاري، وتلح بإصرار وقوة على إثبات وتركيز المنظور الإسلامي في كل جوانب الحياة، وقد أعانت على ذلك الفلول الغفيرة للجماهير الطيبة الحريصة على مصيرها ومستقبلها، إلا أن الجهود تتلاحق بلا توقف أو كلل من قِبل الجهات المخاصمة للإسلام في سبيل تغيير الأنظار عن هذا التوجه.

ثانياً: الجهل بالسنن الإلهية:

إن السنن الكونية لا تحابي أحداً من الخلق، لأنها نواميس الله في الخلق والملكوت، وهذه السنن ــ كما القوانين القرآنية ــ لها دقة القوانين العلمية التي تسمح بجري السفن في البحار، ودوران الآلات في المصانع(٦)، ودراسة هذه السنن هو دون شك مما يكفل الحضارات ويحصن الأمم، بل إن تعلمها حياة ونماء للعقائد والأخلاق، ومهما يكن وزن فروع الفقه فإن استيعاب هذه السنن يُعتبر من الأصول، وعليه فدراستها أسبق، والعكوف عليها أجدى، فالعلم بسنن الله تعالى في عباده لا يعلوه إلا العلم بالله وصفاته وأفعاله، بل هو منه، أو من طُرُقه ووسائله(٧).

إن تحقيق تلك الانتصارات الباهرة للإسلام وحضارته في فجر الدعوة لم يكن إلا نتيجة منطقية لحسن فقه الجيل الأول لسنن الله الكونية، وحسن التدبر في أحوال الأمم الغابرة، فالله تعالى ـ وقتئذ ـ لم ينصر العرب لأنه حابى جنساً على جنس آخر، وإنما لأن عدل عمر أجدى وأنفع للإنسانية من جبروت كسرى، ولأن ضوابط الوحي عند الصحابة الكرام أفضل للإنسانية من تحريف أهل الكتاب... إن انتصار الجيل الأول من المسلمين على الفرس والروم يعني انتصار حضارة متفوقة على حضارات تعفنت ووجب دفنها، فليس ذلك محاباة، وإنما هو اطراد السنن الكونية التي وضعها الله للمجتمع البشري، وطبقت بصرامة في الأنبياء والصديقين كما طبقت على العتاة والمفسدين(٨)، فالجهل بهذه السنن لا يقود إلا إلى الانحطاط أو حتف الأمم والحضارات، كما أن العلم بها والتفقه في أسرارها طريق للانطلاق والتفوق وتحقيق الغايات وفق المشيئة الإلهية، وهذا أمر منظور في أصول العمران وسنن الاجتماع وتاريخ البشر.

السنن الكونية لا تحابي احدا لانها نواميس الله في خلقه

يقول صاحب تفسير المنار في هذا الشأن: «إن إرشاد الله إيانا إلى أن له في خلقه سنناً يوجب علينا أن نجعل هذه السنن علماً من العلوم لنستديم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه، فيجب على الأمة في مجموعة أن يكون فيها قوم يبينون لها سنن الله في خلقه كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم والفنون التي أرشد إليها القرآن بالإجمال وبينها العلماء بالتفصيل.

والعلم بسنن الله تعالى من أهم العلوم وأنفعها والقرآن يحيل عليه في مواضع كثيرة، وقد دلنا على مأخذه من أحوال الأمم إذ أمرنا أن نسير في الأرض لأجل اجتلائها ومعرفة حقيقتها.. وإنني لا أشك في كون الصحابة كانوا مهتدين بهذه السنن وعالمين بمراد الله من ذكرها»(٩).

فالشيخ الغزالي ينظر إلى هذين الأمرين الكبيرين على أساس أنهما الأصل الأول الذي يقف وراء تخلف المسلمين وانحطاطهم في شتى الميادين. فالبعد عن منهج الله الحق، والجهل بسنن الله الكونية، إنما يمثلان السر الحقيقي المستتر خلف الأزمة المتشعبة الأغوار والأبعاد التي تعيشها الأمة الإسلامية منذ عدة قرون، وما صور التخلف والتردي والانحطاط الأخرى إلا فروع نابعة عن الأمرين سالفي الذكر.

وبالإمكان حصر مجالات وأسباب التردي التي ترسف في أغلالها أمتنا ــ بمنظور الشيخ الغزالي ـ عبر تتبعها من خلال الكثير من كتاباته وفكره ـ فيما يلي:

١ ـ التصوير الجزئي للإسلام:

يوجد من المسلمين ـ للأسف ــ مَن لا يحب أن يفهم الإسلام، إلا كما يملي عليه هواه، وليس كما اقتضته المشيئة العليا، يوم أن حكم الله بجعله الدين الخاتم لرسالات السماء.. إن هذا الدين الذي طلع على العالم حياة تطارد الموت، وضياء يكتسح الظلمة، ويقيناً يبدد الوهم.. إن هذا الدين قد عراه من أهله غبن فاحش عطل وظيفته وشاب حقيقته وعرّضه للتهم والظنون، وما القول في أمة يصف الله رسالتها بقوله (الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد)[إبراهيم: ١] فإذا هي تهبط من مكانة القيادة وخصائصها وتعجز عن مركز الصدارة وتكاليفه ومتقضياته، ولا تزال تتهاوى وتتخاذل، وتضعف حتى تصبح في آخر القافلة الإنسانية تتلقى الأوامر وترتقب العون والمدد من أي مكان(١٠).

إن الإسلام كلٌ لا يتجزأ ولا يتفرق، بل لا يمكن حتى الفصل بين أحكامه وتشريعاته، وبين الروح السارية فيها، كما أن طبيعة هذا الدين لا تقبل أخذ بعضه وترك بعضه الآخر، فهذا المسلك المشين فضلاً عن أنه ينقض عرى الإيمان، فإنه لا يمكن سالكه من الانتفاع بالدين والارتقاء بهدايته،

والتقدم بمقاصده وتعاليمه.

يقول الشيخ الغزالي: «إن العدوان على الدين بالانتقاص من معالمه كالعدوان على الدين بالافتراء والتزيّد، كلاهما بعد عن الحق، وضلال عن الغاية.

ليس في المصحف سورة تؤثر وأخرى تهدر.. إن الوحي كله نظام إلهي متكامل يتسم بالقداسة والعصمة في جملته وتفصيله فلا مكان لإطراح جانب منه، واصطحاب جانب آخر للاهتداء على درب الحياة، والتغلب على وعورة الطريق.

إن الطبيب عندما يركب دواء من عدة عناصر بمقادير معينة فإن هذا الدواء يمسي عديم الجدوى خصوصاً إذا ذهبت منه بعض العناصر أو اضطربت فيه نسب المقادير، والآلة التي تتكون من مجموعة قطع يقف دولابها ويتعطل إنتاجها عندما تضيع أجزاء منها، ولا يغني وجود الباقي وإن كان مهماً وعظيم القيمة» (١١).

إن سر نهوض الجيل الأول بهذا الدين، هو تمكينه كمنهج واقعي متكامل في تغيير الأنفس والآفاق، والاهتداء بروحه السامية ومقاصده الجليلة في الترشيد والبناء والهداية.

فقد غيّرت الروح السارية في أعماق تعاليمه طبيعة البداوة العربية، ومكنتها من الاكتساب التدريجي لسمات الحضارة.. فما هي إلا مدة من الزمان تشربت فيها النفس العربية روح القرآن حتى انطلقت كالتيار الخاطف تغيّر ما ترسّب في كيان الإنسانية من جاهلية وضلال وانحراف، وتبشر ببلوغ البشرية سن الرشد، ووصولها المرحلة المناسبة التي ينبغي أن يتعانق فيها العقل مع هذه الروح الجديدة النابعة عن الكينونة الأصيلة وفطرة الإنسان الأولى. أما الأجيال اللاحقة فقد تنكّبت الطريق، وأعرضت عن رسالة السلف الصالح، ولم تأخذ من الدين إلا القشور، فأحاط بها الضعف والهوان من كل جانب، وتقهقرت عن الإسهام المطلوب في بناء صروح الإنسانية ومنجزات الحضارة.

٢ ـ غياب عامل الحرية والشورى:

أثبتت التجارب المختلفة أن المواهب الإنسانية لا تنطلق من كمونها، وأن العقول لا تتفتق عن إبداعاتها، وأن النفس لا تنشرح بالحياة، إلا إذا أمكن إيجاد جو من الحرية، يسمح بالعمل الطبيعي السوي لهذه الأصول الكبرى التي لابد منها لكل نهضة أو حضارة.

وتخلف العالم الإسلامي وضمور إرادة الانتقاص على واقعه غير المشرف، له صلة وثيقة بفقد عامل الحرية، ومبدأ المشورة، فالذين لا يربطون بين الحرية والتقدم، كمن لا يربط بين الهواء واستمرار الحياة بالنسبة للكائن الحي، فضلاً عن أنهم بُعداء عن إدراك الأسرار الحقيقية التي تقف وراء النهضات والمدنيات.

فهذه حقيقة ترتقي إلى مستوى السُنّة الكونية أو هي تجري مجراها وتعمل عملها، فإن البيئات التي «تتمتع بمقادير كبيرة من الحرية هي التي تنضج فيها الملكات، وتنمو المواهب العظيمة، وهي السناد الإنساني الممتد لكل رسالة جليلة أو حضارة نافعة» (١٢).

وبالنسبة لواقع العالم الإسلامي ما أكثر الشواهد التي تقف في دعم هذه النظرة وتؤكدها، فإن صناعة الطيران ـ مثلاً ـ بدأت في كلٍّ من مصر والهند في سنة واحدة، كما بدأت بحوث الذرة تقريباً في السنة نفسها، وأكبَّ علماء البلدين على القيام بأعمالهم، والاستفادة من تقدم العالم الغربي الملحوظ في هذا الميدان.

بيد أن ما حصل يثير الدهشة، فبعد ربع قرن من العمل والجهد، نجح الهنود في صنع طائرة هندية، كما نجحوا في صنع قنبلة ذرية، أما في مصر فقد توقف مصنع الطيران بعد سنوات من العمل، كما تجمد العمل أيضاً في وكالة الطاقة الذرية!... فهل سبب هذا الفشل يعود إلى كون العقل الهندي أذكى من العقل المصري؟ كلا! فلم يقل ذلك أحد، ولا يمكن أن يُقال شيء من ذلك... إن السبب واضح وهو ان استقرار الحريات في الهند أتاح لكل ذي كفاية أن يعمل وأن ينجح ويبدع ودون عقبات أو مضايقات.. فالنظام الديمقراطي السائد أقام سباقاً لا حواجز فيه بين أصحاب المواهب، فانطلقوا بين عوامل التشجيع والتقدير يخدمون أمتهم، ويتبارون في إعلاء شأنها ورفع مكانتها(١٣)، أما عندنا نحن فإن أصحاب المواهب ما أن يشرعوا في أعمالهم حتى يحاطوا من كل جانب بقيود وسدود لا حصر لها، أقلها معلوم المصدر وأكثرها مجهول لا يكاد المرء يعلم عنه قليلاً أو كثيراً...

> الاسلام
> كل لا يتجزأ
> ولا يتفرق
> بل لايمكن حتى
> الفصل في
> احكامة
> وتشريعاتة

وإذا ما استمرت هذه الوضعية السارية حالياً في واقع العالم الإسلامي فلا أمل يُرجى في القضاء على التخلف العام وتجسيد التطلعات، والوصول إلى التنمية المأمولة في شتى الميادين.

٣ ـ الفهم المغلوط للعلاقة بين الدين والدنيا:

تسرّب إلى العقل الإسلامي والفكر الإسلامي عبر مختلف مراحل التاريخ أمراض خطيرة وعلل عويصة، وكان من شأنها أن ألحقت أضراراً فادحة بخاصة العمل ورسالة الإعمار، ومن تلك العلل المفهوم الخاطىء للعلاقة بين الدين والدنيا، فالإسلام ـ كما يتضح من نصوصه وتعاليمه ـ يجعل إعمار الأرض والإصلاح فيها مطيّة للفوز بالآخرة ونيل الرضوان الأعلى، إلا أن الكثير من المسلمين ـ وفي مراحل مختلفة من تاريخنا وإلى يومنا هذا!!! ـ جانفوا التصور الإسلامي الصحيح، وفهموا أن الدين عدو للدنيا، وأن أحداً لا يبلغ حقيقة التقوى إلا إذا عاش وهو يعاني كآبة المنظر في الأهل والمال، أو إلا إذا عاش وهو جاهل بحقائق الحياة وقوانين المادة وسنن الله في كونه.

ولا ريب أن اختلال الميزان العقلي في هذه النظرة السيئة أنشأ أجيالاً من المسلمين لا تفقه ديناً ولا تملك دنيا، بل لعله من أهم الأسباب في التخلف الحضاري الذي أهان المسلمين في المشارق والمغارب.. إن الإسلام حينما أطال الحديث والشرح عن الدار الآخرة وحتمية الأوبة إلى الله بعد انقضاء الحياة

الدنيا، فما ذلك إلا لتهذيب الغرائز وتربية الضمير ونشدان الصلاح في الأرض والحياة، أما القصور في فهم الدنيا، والغربة على سطح الأرض، والعجز عن امتلاك زمام الحياة، فهذا كله لا يدل على تقوى، أو رشاد في فهم الإسلام وتشريف رسالته، وإنما يدل على طفولة فكرية يُضار بها الدين وتنكس بها ألويته وتتقهقر بها تعاليمه، فماذا يفيد الإسلام من رجل مكن الله له في الأرض فلم يتمكن، أو جعلها له ذلولاً ليركبها ويبلغ بها غاياته، فإذا هي تجمح به، وتسقطه من فوق ظهرها فإذا هو طريح الثرى والعجز والهوان(١٤)، والغريب أن المنهج التجريبي أنشأه المسلمون «وكان يمكن أن يترعرع ويؤتي ثماره إلى آخر مدى لولا الانحراف الذي أصاب العقل الإسلامي بالتقعر فيما وراء المادة، ولولا انطلاق بعض المخرّبين يصرفون الناس عن الدنيا، ويضعون على حواسهم حجباً، فلا يدركون من قوتها ولا من جمالها شيئاً... ويستحيل مع الجهل بالحياة وقوانينها أن يقوى الإيمان ويستوي على الطريق، والثقافات الإسلامية المبتدعة والمنحرفة سر هذا العوج، وفي مقدمتها التصوف الدخيل، إن الله جل شأنه لما خلق البشر خلق لهم كل ما في الأرض ليستمتعوا به ما داموا على ظهرها أحياء، ومعنى ذلك أن يعرفوا ما هيّأ لهم من معرفة شاملة، إن العلم بالحياة الدنيا وارتفاقها والاستمكان منها له معان إنسانية عامة فُطر الناس عليها، ولا يُعد التنبيه إليها مثار دهشة، بل الدهشة أن يتقلب الناس في جنبات الأرض دون قدرة على إثارتها... وكما ينتفع الناس بالحياة الدنيا لذواتهم ينتفعون بها في دعم أفكارهم وتأييد مبادئهم وقيمهم، فالكف العزلاء تخذل الحق، والسلاح التافه يجر الهزيمة (١٥)»، وكان من فضائل الإسلام كذلك في هذا المجال أن العمل للدنيا — وإن كان في الواقع ومقتضى الضرورة نزوعاً مفروغاً منه — إلا أن الإسلام تكلم فيه بأسلوب صريح، ومن استقراء الآيات والأحاديث الواردة يوقن أدنى مطّلع أن الدنيا ما ذمّت بتة إلا حيث يكون معناها الغرور أو العصيان أو الشهوة الجامحة أو التحكم في رقاب الناس وأرزاقهم، وأنه ما هوّن شأنها إلا حيث يكون القصد التنويه بالآخرة وخلودها الطويل إلى جانب انصرام الحياة وانقضائها(١٦)، ثم إن الفهم العملي والواقع التطبيقي في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - وجيل الصحابة رضوان الله عليهم، لمسألة العمل والموقف من الدنيا، يقف دليلاً بجلاء ما ينبغي أن يكون عليه التصور الإسلامي في هذا المقام، فنبيُّ الإسلام قد احترف العمل الذي كان يؤديه سواد الناس على عهده، ففي البادية الخشنة قام برعي الغنم أجيراً لأهل مكة على قراريط من الأرض! بل إن إخوانه الأنبياء السابقين كانوا أصحاب حرف يرتزقون منها، فكان منهم النجار والحداد والبناء.. وأصحابه الذين حملوا راية تبليغ الرسالة من بعده كانوا جميعاً ذوي جَلَد ملحوظ ويسار ظاهر من نشاطهم في ميادين المال والأعمال المتنوعة، إلى درجة أن نبوغ المسلمين الاقتصادي هو الذي عكر على اليهود مستقرّهم بالمدينة وجعل الأسواق تفيض بعزمهم وخبرتهم، ولو كان ذاك الجيل الفريد موجوداً بين ظهرانينا في هذا العصر لما تجاوزت أزمة الحياة الصناعية والتجارية أيديهم اللبقة، ولرأيناهم في المدائن والقرى آيات من الدأب والتفوق والنجاح، إذ لم تكن تقوى الله في عصور الفهم والإدراك السليم لهذا الدين ومقاصده العظمى، علامة على السذاجة والفراغ والعجز كما هي الآن في عصر الانحطاط المادي والمعنوي الذي نخبط في ظلماته(١٧)، وليس من شك أن لبعض غلاة التصوف دخلاً في إرباك العقل الإسلامي بخصوص هذا الموضوع، ومن ثمة التأثير السلبي على واقع الحياة الإسلامية، وسير الفكر الإسلامي، وهو تأثير تتحدث عنه كبرى مصادر التاريخ الإسلامي، والثقافة الإسلامية، وما نزال نلمس آثاره المرة في واقعنا الحديث.

العلماء والنخبة الواعية من الاسلاميين المعاصرين هم منابع المعرفه الاسلامية

٤ - اختراق منابع وتراث الثقافة الإسلامية:

لا يشكك أحد من العلماء والنخبة الواعية من الإسلاميين المعاصرين في حقيقة كون الثقافة الإسلامية، ومنابع المعرفة الإسلامية، قد تعرضت لهجومات مركزة، قصدها ادخال عناصر فكرية ورؤى عقلية غريبة عن أصول هذه الثقافة وأبعادها وغاياتها، بغرض الحد من فعالية هذه المنابع الثقافية، وبالتالي إحداث التأثير السلبي في العقل المسلم ومنهجية التربية الإسلامية في صناعة الشخصية الفاعلة البانية، وقد استمرت هذه العناصر الدخيلة في نخر وإضعاف المعرفة الإسلامية من الداخل، دون أن تقوم أجهزة متخصصة بغربلة التراث الثقافي والمعرفي الإسلامي وتنقيته من الشوائب والأمراض التي تسربت إلى كيانه وأعماقه، مما أطال المدة التي سنحت لهذه الأوعية في استمرارها في نقل تراكمات غريبة من الصحيح والخطأ، ومن الحق والباطل، ويمكن عرض نقاط أو أوجه الخلل في هذه الثقافة - من خلال رؤية الشيخ الغزالي - وفق العناصر التالية(١٨):

أ - التقعر في دراسة ما وراء المادة مرض أصاب المسلمين ولوى مسيرتهم العملية لياً شائناً. والمعروف أن الآيات المحكمة هي أم الكتاب ومناط التكاليف الاعتقادية والعلمية، وأنه بحسب المسلمين في عالم الخلق والسلوك، وعالم العقيدة والعبادة، وعالم القضاء والتشريع، أن يعتمدوا على هذه الآيات المحكمة وحدها... أما ما تشابه في الحديث عن ذات الله وصفاته فلا مجال للعقل في بحثه... إن العقل البشري أعجز من أن يفقه حقيقة الروح بين جنبيه، بل أعجز من أن يفقه تحوّل الأغذية في جسده إلى طاقة وخلايا. فكيف يريد أن يعرف كنه الألوهية، واتصال الذات بالصفات؟! بيد أن المسلمين — بأسف كبير — خاضوا بحاراً مُغرقة في هذه البحوث العقيمة، كان لها أثر وخيم في تعجيز العقل الإسلامي عن البحوث المادية وإحسان الإفادة منها... وهذا الاتجاه الشارد عصيان لله الذي أمر بالنظر في الكون، وبنى على هذا النظر

السديد حسن الإيمان وجميل المنفعة.

ب ــ الإسلام دين عمل يؤثر الواقع على الخيال، ويؤثر الحقيقة على الظن، ويؤثر الحركة الماضية في مرضاة الله على اللغو والشقشقة، وافتراض الفروض، وتشقيق الكلام، وهل نجح سلف هذه الأمة إلا بهذا المنهج؟

إلا أن الواقع يؤكد أن الدراسات الدينية تميل إلى الشروح النظرية المطولة دون سبب واضح، كما أن دراسة الطهارات والصلوات لا تحتاج إلى هذه التآليف المسهبة والأوقات المتطاولة، فقد أصبح ذلك جزءاً من إعمار المسلمين، ومثار افتراق واسع بين الدهماء من العامة، بل حتى بين نفر من المنتسبين إلى العلوم الدينية... وقد أدتْ هذه المزايدات إلى إضعاف علاقة المسلمين بالحياة، وكانت مشغلة لهم عن إنتاج أهم وأجدى.

ج ــ هناك فارق مؤكد بين درجة التخصص ودرجة الثقيف، فالمتخصص يلمّ بمعارف شتى في فنه، ويعيبه أن يجهل ناحية ما فيه ميدانه... أما أصحاب الثقافة العامة فيكفيهم ما يحتاجون إليه من بيئاتهم وأحوالهم، ولا معنى لحشو أذانهم بما لا أثر له في معايشهم، بيد أن هناك ناساً من العوام تبلبلت أفكارهم إثر أحاديث نبوية دُرّست لهم، وهي أحاديث صحيحة السند، ولكن ليس من الحكمة أن يعرفها العوام، فهي فوق طاقتهم الذهنية، وقد جاء في الأثر «إنك ما حدثت قوماً بحديث لم تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»، ومع ذلك فإن قرويين وبدواً وهملاً من الخلق يُذكر أن نبياً ضرب ملك الموت ففقأ عينه، وأن موسى راجع نبينا في الصلوات الخمسين حتى جعلها خمساً، وأن الجبار ليلة الأسراء هو الذي دنا فتدلى... إلخ؟ فبأي حق تُشْغَل أذهان الجماهير بهذه الأمور؟! ولماذا لا يُختار لهم من السنن ما يُصحّح وجهتهم في الحياة؟ لقد توارث العوام أن سماع هذا الكلام عبادة وأورثهم ذلك قدراً غير قليل من الاسترخاء والخدر.

د ـ استقرَّ في أذهان المسلمين ـ منذ قرون عدة ـ أن التعليم الديني لا يُوَجّه له إلا الفقراء والضعفاء وذوو العاهات.. وفي بعض الأقطار الإسلامية يكاد العلم الديني يكون نصيب المطرودين من ميادين التعليمات التي يُشترط فيها التفوق والتبريز أو حسن المظهر والمكانة الاجتماعية؟ وهذا المسلك يزري بمعنى التدين، ويُضعف أهل الدين عن اقتياد الحياة بقوة واقتدار. كما أدى هذا الأمر الخطير إلى بعد الفجوة بين العلم والحكم، وعدم التنسيق والتعاون فيما بينهما، في سبيل تحقيق مصالح الأمة، وما من ريب أنه إذا فسد العلماء والحكام أخذت الأمم طريقها إلى القاع، وانهدّت أسباب البناء السليم للمجتمعات والنهضات.

٥ ـ سيطرة تقاليد الرياء:

لما جاء الإسلام وخضع لتعاليمه السمحة الجيل الأول وسعد بها سعادة هائلة، فإن التقاليد العربية لم تختلط بالمضمون الفكري والواقع السلوكي الجديد الذي نشأ عن اعتناق الدين الجديد، بل إن أغلب تلك التقاليد التي تتعارض وتعاليم الإسلام قد اختفت من الوجود، لأن الفطرة السليمة لجيل الصحابة رضوان الله عليهم، كانت أحرص على تمكين الإسلام وتأخير خصوصيات البيئة وأعراف الناس وتقاليدهم، أما مسلمو عصور الانحطاط فقد استحدثوا تقاليد كثيرة في نواحي حياتهم كلها، تقاليد تقوم على التكلّف والتزيق والمغالاة وتبتعد عن فطرة الإسلام السائغة، وجعلوا هذه التقاليد حدوداً صارمة لا يتعدونها مهما فدح ضررها، ومهما باعدت بينهم وبين يسر أحكام الإسلام وأخلاقياته(١٩)، والغريب أن الكثير من تلك التقاليد تسللت إلى ميدان الدعوة وتحولت إلى قيود وسدود في الصد عن الإسلام والاهتداء به، إن الأمة الإسلامية مطالبة بإلحاح بأن تحاكم تقاليدها إلى الإسلام، وبضبط تلك التقاليد وفق معاييره، فما وافقه بقي، وما خالفه ترك(٢٠)، وذلك حفاظاً وإبراء لتعاليم الإسلام من الزيف والتقول والمغالاة.

الكثير من التقاليد تسللت إلى ميدان الدعوة وتحولت إلى قيود ضد الاسلام

إن أمر الخلط بين قيم الدين الحق وبين ما هو خصوصيات بيئية أو تقاليد عربية أو قطرية، فبالإضافة إلى كونه عنصراً خطيراً في اضطراب السلوك وبلبلة الأفكار وإضعاف مميزات هوية الأمة ومعنوياتها الحضارية والفكرية، ومن ثمة فهو سبب حاسم في تخلفها وإرباك مسيرتها.. فإنه ـ على صعيد الدعوة ـ ينطوي على آثار سلبية شديدة الخطورة، لأنه يجعل صورة الإسلام أمام الأمم شائهة مشوّهة، ليس فيها ما يغري بفضول الاقتراب والتعرف على الإسلام من أصوله ومنابعه المعصومة، وليس من شك أن شعوب المعمورة في العالم الحديث ـ وبحكم جهلها الطبيعي بالإسلام وتفاني أجهزة الإعلام الغربي في الإساءة للإسلام ينحصر في التقاليد البيئية، وربما في تلك الصورة الشائهة، والسلوكيات المريضة التي تراها في معظم أو كل أقطار العالم الإسلامي.

ومهما يكن في هذا الخصوص بالذات فإن بناء الصورة المشرقة للإسلام في الحاضر والمستقبل لا يتأتى إلا بمحاكمة واقعنا وتقاليدنا ومواريثنا الفكرية والسلوكية إلى أصول الإسلام الأولى ومقاصد الوحي الكريم.

إن الاعتقاد بأن خلط التقاليد بمبادىء ومقاصد الدين الحق أو تقديمها عليه في التعامل مع الأشياء والواقع، لا يضر بالإسلام وبما يجب له من مكانة في الأنفس والضمائر، إنما هو خطأ في التقدير، وبُعْدٌ عن المنطق السليم.

فهذا الأمر له من المخاطر القدر الكافي لزعزعة التفكير الإسلامي وتمزيق الشخصية الإسلامية، وسوق الأمة ــ من ثمة ــ إلى هاوية الضياع والتخلف والتبعية المقيتة، بل وإلى الذوبان في أتون الآخر الحضاري والفكري والسلوكي.

٦ ـ الجفوة بين العلم والحكم:

لا يمكن لأمة أن تعيش في كنف الاطمئنان والانسجام النفسي والروحي والفكري، كما لا يتمكن المجتمع من الانهماك في عملية التنمية والبناء والإعمار في جو يبعث على التحفيز والتقدم وإفراغ الجهد المطلوب، إلا إذا كان هناك التحام عضوي، وانسجام كامل في التصورات والأهداف بين مؤسستي

العلم والحكم.

ومن الناحية التاريخية فإن العالم الإسلامي قد عانى الكثير جراء الانفصام بين العلماء والحكام، أو بين «أمانة» الرأي الصائب و «عزيمة» التنفيذ المتبصِّر، ودائرة هذا الانفصام ظلت طوال القرون الماضية ـ من تاريخنا ــ تضيق وتتسع، لتصل إلى درجة التصادم والتنافر في أحيان وفترات كثيرة.. وليس هنا مجال بحث أسباب التوتر التاريخي لتلك العلاقة، وإنما يهمنا التنبيه إلى آثار تلك العلاقة المتوترة القلقة، كانت وبالاً على نهضة العالم الإسلامي، كما كانت عامل نكسة وتقهقر في شتى المجالات والميادين.

لقد كان الجهد الإسلامي أول الأمر مكرساً ومنصباً من أجل إقامة المجتمع المتماسك في مؤسساته مطلقاً، بحيث تكون صورته العامة تشبه الوحدة العضوية المتآلفة، وليس ذلك إلا لإدراك مبلغ المفاسد والمخاطر التي تنجرُّ حتماً عن كارثة تفكك أو تشتت مؤسسات المجتمع وقواه الحيّة الفاعلة البانية.

فما أعظم أن تكون «الدولة هي التي تشرف على سياسة التربية والتعليم، والقضاء والتشريع، بيد أن ذلك لا يتم على خير وجه إلا عندما تكون الدولة وليدة الدعوة، والحكومة ثمرة الرسالة»(٢١).

وذلك يعني أن تكون هناك رسالة واحدة مشتركة، يعمل الجميع من أجل بلوغ غاياتها وتحقيق مقاصدها، فإذا وهت صلة طرف من الأطراف بتلك الغاية اضطرب العمل وتبددت النتائج.

والواقع أن تخلف الأمة الإسلامية وتردّي أوضاعها عامة، لا يمكن فهمه حق الفهم إلا بفحصه ضمن هذا المنظورالذي نجلي أبعاده ونشرح عناصره.

ومن هذا الاستنتاج ندرك كذلك مغزى تعظيم الخطاب الإلهي لرسالة العلم والحكم.. إذ لا صلاح لمجتمع ولا نهضة لأمة ولا سؤدد لقوم إلا بصلاحهما وتزكيتهما ورشدهما.

٧ ـ عدم الأخذ بالأسباب:

على الرغم من أن المنهج الإسلامي كما هو مستخلص من القرآن، يُقيم البناء الفكري والعقلي للإنسان المسلم على أسس علمية منطقية تجعل النتائج في أي مجال هي حصيلة أسبابها الذاتية، فلا شيء يمكن أن يكون دونما سبب، كما قال الله تعالى: (إنا كل شيء خلقناه بقدر) [القمر: ٤٩].. إلا أن بعض المسلمين ــ وبفعل عوامل الغزو الثقافي المبكر ــ يمكن اعتبار التوسع في علم الكلام وجوانب من ترجمات الثقافة اليونانية وشيوع الخرافة من تلك العوامل الرئيسية ـ ظل يعتقد ـ حتى خلال العصر العلمي الذي نعيش ــ بأن الوصول إلى النتائج في أي ميدان من ميادين النشاط الإنساني والعلمي والفكري، ليس بالضرورة وليد مقدمات وأسباب بعينها، وهذا الفكر، المعتل المنحرف ليس نتاجاً أصيلاً لمنهج التفكير الإسلامي، بل هو حصيلة اضطراب في المفاهيم والتصورات، وخلط في إدراك مقومات ومرتكزات البناء العقلي السليم.

> تخلف الامه الاسلامية وتردي اوضاعها لا يمكن فهمة الا بعد فحصة

والمجهود التربوي والعلمي الذي يبذل هنا وهناك قد يكون في أحايين كثيرة مسؤولاً ـ بطريقة أو بأخرى ـ عن هذا الخلط والاضطراب والفوضى، إن عدداً كبيراً «من المربين والموجهين أشعروا الأمة بأن النار قد توجد ولا يوجد الإحراق، وأن الماء قد يوجد ولا يوجد الري، وأن السكين قد توجد ولا يوجد القطع.. وأن الواجبات العادية قد تتخلف، وأن قانون السببية ـ على الإجمال ــ غير ملزم ولا مطرد..»(٢٢).

إن هذا الهوس المناقض لحقائق الكون، المهدّم للحق الذي أقام، وفقه الله سبحانه وتعالى قوانين، وسنن الحياة والأحياء والكون، أزرى بمسيرة مجهودات النهوض الإسلامي وبمحاولات تجاوز عقبات التخلف والانحطاط، وجعل تلك المجهودات المتعاقبة أرقاماً على الماء أو بذراً في الهواء.

فكثير من المسلمين ـ وبخاصة في القرون الأخيرة ــ لأسباب ذكرنا بعضها جعلوا «الدنيا لا تضبطها قاعدة، ولا يحكمها قانون، ومن المقبول عقلاً وشرعاً أن يتزوج رجل من المشرق بامرأة من المغرب، وأن تلد منه على بُعد الشقة.. أي ربما انتقل من المحيط الهندي إلى الأطلسي في لحظة من ليل أو نهار... وهذا التصور المخبول لا ينضج معه علم، ولا يصح فيه بحث، ولا يملك أصحابه الأدوات التي يحققون بها نجاحاً علمياً في هذه الحياة.. إن المقرر في العلوم الكونية والتجريبية والإنسانية وغيرها يبين أن قانون السببية محترم وأن رفضه جنون»(٢٣).

وقد يتجاور في هذه الذهنية ـ وهذا كثير ـ رفض قانون السببيّة مع خضوع مقيت لمبدأ الجبرية الذي لا يخفى ضرره في إلغاء إرادة وجدوى الفعل الإنساني، وإضعاف المسؤولية الفردية.

إن الكثيرين ممن يحملون هذه الذهنية يعتقدون بأن المرء لا حول له ولا طول، ولا قدرة ولا إرادة، فهو ــ في نظرهم ـ يحيا بتوجيه خفي و جلي من مشيئة الله التي تدفع به ذات اليمين أو ذات الشمال، والتي تهيء له حياة العسر أو حياة اليسر برغمه ودونما تدخل منه أو إرادة(٢٤).

وهذه الظاهرة ـ الغريبة عن منهج التربية العقلية والنفسية والاجتماعية في التفكير الإسلامي ــ بارزة في أدبياتنا الاجتماعية، فلا يكاد يخلو منها قطر أو منطقة في ربوع وأرجاء العالم الإسلامي.

وليس من شك أنها مرض خطير يفتك بعنصر الوقت اعتماداً على مبدأ التواكل والخضوع، ويخمد الإرادة والمسؤولية الفردية، استناداً إلى عنصر التوهم في جبرية الأفعال والأقدار المنسوبة إلى هذا الكائن الإنساني.

فالإنسان وفق هذا الفهم الشاذ ريشة حائرة في مهب الريح لا تقوى على الاستقرار على حال! وهذا التصور ساهم في اهتزاز صورة الشخصية الإسلامية، وجَعَل منها آلة لا تكاد تعرف إلا السلبية والتسليم والخضوع.

فإذا أدركنا القدر المطلوب من قوة الإرادة والهمة اللازمة لعلمية التغيير ـ على مستوى

النفس والحياة والمجتمع ــ والتطلع المستمر لتحقيق الغايات والوصول إلى الأهداف، وقفنا بعمق على فداحة الضرر الناتج عن ذلك التصور الواهم المغلوط.

إن البحث في محنـــة تخلف المسلمين، وبعدهم عن الإسهام الجاد في بناء مسيرة الإنجازات الإنسانية في العالم المعاصر، يشكل هاجساً ملحاً ودائماً ــ يدفع إلى إفراغ الجهد وبذلك الطاقة وإطالة التأمل ــ لدى الغيورين من أبناء أمتنا الإسلامية.

إن الاهتمام بهذا الأمر واضح في مساحات تفكير حركات التغيير المعاصرة في العالم العربي والإسلامي، كما هو بارز في النتاج الفكري لرواد النهضة الإسلامية المعاصرة، وفي عطاءات النخب الفكرية ورموز ومدارس هذا الاتجاه، وإن كان هذا الاهتمام ينقصه عنصر قوة الدفع المطلوبة مع روافد أخرى مساعدة، ومرد ذلك ـ بدرجة خاصة ـ شدّة الأثر الذي أحدثه فكر الحضارة الوافدة المهيمنة في البنيات الأساسية للمجتمعات الإسلامية، بما في ذلك أساليب وأنماط التفكير الإسلامي.

وللتدليل على القيمة الفكرية لهذا الموضوع، فقد حاولنا في هذا المبحث، تلمس منظور الشيخ الغزالي لأزمة ومحنة التخلف والضياع التي تنخر كيان الأمة الإسلامية منذ قرون عديدة، إن مجرد تشخيص الداء إذا كان يقوم على أسس دقيقة يعتبر خطوة إيجابية تنتظم في سياق الجهد العام الذي يستهدف استئصال ذاك الداء من الجذور.

وإذا كانت أسباب تخلف المسلمين ترتبط بعناصر كثيرة بعضها جلي وبعضها الآخر خفي، فليس معنى ذلك أننا عرضنا لها جملة في هذا الموضوع وإنما هي رؤية حاولنا استخلاصها من قراءات مختلفة لبعض نتاج الشيخ الغزالي الفكري والعلمي، وإذا كانت أسباب التخلف المعروضة في هذا الموضوع يصعب أن تكون محل جدل أو خلاف، فإن أسباباً أخرى كان بالإمكان إدخالها ضمن عناصر هذا المنظور، بيد أن العذر الذي نركن إليه في هذا المقام هو الأمانة العلمية التي تحتم علينا انتهاج مسلك الالتزام والموضوعية، ومن ذلك محاولة حصر أسباب التخلف الحضاري عند المسلمين ـ بمنظور الشيخ الغزالي ــ بما ينسجم ويتسق مع أفق هذا المنظور العام.

إن الرؤية التي يقدمها الشيخ الغزالي ـ لهذا الموضوع ــ على غاية في الأهمية ـ ولاسيما أنها جاءت في سياق سنني شامل، مما جعلها تنطبق على التشخيص الموضوعي لواقع أمتنا، في الوقت الذي تنتقد فيه هذا الواقع، وتحاول تجاوزه بتأسيس معالم البديل، والتشوّف للمستقبل وفق المعطيات والحقائق المستخلصة من قوة الإسلام ذاته وعطاء قيمه ومبادئه اللامحدود.■

المجهود التربوي والعلمي الذي يبذل قد يكون في أحيان كثيرة مسؤولا

الهوامش

١ ــ انظر : (آل عمران : ١٣٧)، (النســــاء: ٢٦)، (الإسراء: ٧٧)، (الأحزاب: ٣٨ ــ ٦٢)، (غافر: ٨٥)، (الفتح: ٢٣).

٢ ـ إبراهيم الوزير، على مشارف القرن الخامس عشر الهجري (دراسة للسنن الإلهية والمسلم المعاصر)، ص ٧/٩، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م، دار الشروق بيروت،

٣ ــ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، المجلد الرابع، ص ١٤٠/١٤١، ط٢، نشر دار المعرفة، بيروت.

٤ ــ شكيب أرسلان، لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، ص ١٦٤، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٥م.

٥ ـ محمد الغزالي، الحق المر، ص ١٢٨، منشورات دار الشهاب، باتنة ـ الجزائر ــ بالتعاون مع مكتبة التراث الإسلامي في القاهرة.

٦ ــ محمد الغزالي، سر تخلف العرب والمسلمين، ص ١٠، ط١، دار الصحوة، القاهرة ١٩٨٥م.

٧ ـ المرجع السابق، ص ١٢/١١.

٨ ــ محمدالغزالي، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، ص ١٥٨، ط١، نشر دار الكتب، الجزائر ١٩٨٧م.

٩ ــ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، المجلد الرابع، ص ١٣٩، دار المعرفة، د. ت، بيروت.

١٠ ــ محمد الغزالي، معركة المصحف في العالم الإسلامي، ص ١١٤، منشورات مكتبة رحاب، الجزائر، د. ت.

١١ ــ محمد الغزالي، المرجع السابق، ص ١١٦/ ١١٧.

١٢ ـ محمد الغزالي، قذائف الحق، ص ١٩١، المكتبة العصرية للطباعة، بيروت، د. ت.

١٣ ـ محمد الغزالي، علل وأدوية، ص ١٧٨، ط٢، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، ١٩٨٦م.

١٤ ــ محمد الغزالي، المرجع السابق، ص ٢٢٨.

١٥ ــ محمد الغزالي، الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر، ص ٦٤/ ٦٥، منشورات دار الهدى، عين مليلة، الجزائر ١٩٨٨م.

١٦ ــ محمد الغزالي، الإسلام والمناهج الاشتراكية، ص ٦٠ ط٤، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٦٠م.

١٧ ــ محمد الغزالي، المرجع السابق، ٨٦/ ٨٧.

١٨ ــ محمد الغزالي، الدعوة الإسلامية، (مرجع سابق)، ص ٦١، ٦٢، ٦٣.

١٩ ــ محمد الغزالي، المرجع السابق، ص ٧٢.

٢٠ ــ محمد الغزالي، مستقبل الإسلام خارج أرضه وكيف نفكر فيه، ص ٦٧، منشورات دار الكتب، الجزائر، ١٩٨٧م.

٢١ ــ محمد الغزالي، كيف نفهم الإسلام، ص ٩٧، دار الكتب، الجزائر، ١٩٨٧م.

٢٢ ــ محمد الغزالي، الدعوة الإسلامية.. (مرجع سابق)، ص ٧٠.

٢٣ ــ محمد الغزالي، المرجع السابق، ص ٧٠، ٧١.

٢٤ ــ محمد الغزالي، المرجع السابق، ص ٦٩.

نظمته رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر:

مؤتمر لتطوير مناهج التربية الدينية الإسلامية في التعليم العام في الوطن العربي

مؤتمرات

كتب :د. عماد الدين عثمان

من المعروف أن التربية الدينية في اي نظام من نظم التعليم لاتقتصر على مقرر دراسي او اكثر وانما هي رؤية تتخلل العمل المدرسي ومقررات الدراسة المختلفة، ولكن الملاحظ ان البلاد العربية والاسلامية.. نتيجة لما مر بها من ظروف تاريخية ضاغطة باعدت بينها وبين الحضارة مثلما باعدت بينها وبين الاسلام. فقد حصرت مناهج التربية الدينية الاسلامية في مجموع المقررات الدراسية التي لانجد بينها وبين المقررات الأخرى تنسيقاً او اتساقاً.. كما لانجد بينها وبين بعضها بعضاً هدفاً نسعى للوصول با لمتعلم اليه، ولاتنسيقاً يحقق لها بلوغ هدف معين، مما جعل هذه المقررات الدينية الاسلامية عبئاً على النظام التعليمي وعبئاً على مقررات الدراسة الأخرى وعبئاً على الجدول المدرسي وعبئاً في النهاية على نمو التعليم النمو القيمي الذي ترغب أي جماعة متحضرة ان تحققه لابنائها.

ومن هذا المنطلق تأتي الدعوة لعقد هذا المؤتمر الذي يهدف الى توضيح اهداف التربية الدينية الاسلامية والاسس التي تقوم عليها وبيان كيفية تكامل مناهج العلوم المختلفة مع اهداف التربية الدينية الاسلامية كذلك طرح التصورات الجديدة في كل مكونات منهج التربية الدينية الاسلامية بعد تشخيص هذا الواقع.. ثم بيان أثر السباق الاجتماعي والثقافي والسياسي العام على تحقيق اهداف التربية الدينية الاسلامية، ووسائل الاعلام والمؤسسات التربوية، والاسرة، والمسجد، والاندية الثقافية والرياضية، والنقابات والاحزاب السياسية، والمناخ الدراسي... الخ.. في محاولة لمواجهة التحديات المعاصرة التي تعوق تحقيق اهداف التربية الدينية الاسلامية وتقويم الاساليب المختلفة في اعداد معلم التربية الدينية الاسلامية وقد ناقش المؤتمر خسمة محاور اساسية هي:-

أولاً: الاصول العامة: تحليل مفاهيم التربية الدينية ،التربية الاسلامية ، التربية الدينية الاسلامية ،التربية الخلقية، التربية الوطنية.. اهداف مناهج التربية الدينية الاسلامية في مراحل التعلم العام المصادر والأسس:

مناهج العلوم المختلفة وكيف ننسق مع التربية الدينية الاسلام من منظور تاريخي..

ثانياً: محتوي مناهج التربية الاسلامية: محتوى مناهج التربية الدينية الاسلامية ودورها في تحقيق الاهداف

-تنظيم محتوى مناهج التربية الدينية الاسلامية ركائزه وطرقه الواقع والمأمول

-طرح تصورات جديدة لقضية البيئة المعرفية لمناهج التربية الدينية الاسلامية بين التكامل والتفرع.

ثالثا: طرق واساليب التربية الدينية الاسلامية

- النشاط المدرسي ودورة في تحقيق اهداف التربية الدينية الاسلامية.

- تكنولوجيا التعليم وتدريس التربية الدينية الاسلامية

رابعاً: تقويم مناهج التربية الدينية الاسلامية:

- التقويم في مناهج التربية الدينية الاسلامية اساليبه ومجالاته.

-تقويم اهداف مناهج التربية الدينية الاسلامية

-تقويم كتب التربية الدينية الاسلامية

-تقويم طرائق تدريس التربية الدينية الاسلامية واساليبها.

خامساً: معلم التربية الدينية الاسلامية واعداده

- كفايات معلم التربية الدينية الاسلامية: الكفايات المهنية- الثقافية- الاكاديمية

-برامج اعداد معلم التربية الدينية في مؤسسات التعليم المختلفة قبل الخدمة واثنائها

-مؤسسات اعداد معلم التربية الدينية الاسلامية



● أ. د . بدر الماص

وقد قدم الاستاذ الدكتور/بدر الماص- رئيس قسم التربية الاسلامية في كلية التربية الاساسية في الكويت دراسة قيمة ناقشت احد المحاور الهامة في المؤتمر وهي: اهداف مناهج التربية الدينية الاسلامية في التعليم

العام (المصادر والاسس) يرى فيها ان التربية الاسلامية هي اعداد المسلم اعدادا كاملا لعبادة ربه حق العبادة والسير على طريق الله عز وجل والالتزام بمنهجة القويم المستقيم ولما كان هذا الهدف من الاهداف النبيلة التي جاء بها الاسلام لذا فقد اخترت الكتابة في موضوع اهداف مناهج التربية الدينية الاسلامية في مراحل التعليم العام (المصادر والأسس) لما له من أهمية تعود بالنفع على المسلمين افرادا وجماعات.

هذا وقد قسمت هذا البحث الى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة:

أما المقدمة: فتكلمت فيها عن التربية الاسلامية واهميتها بالنسبة للانسان عموما وللمسلم خصوصا.

وأما المبحث الاول: فتكلمت فيه عن معنى التربية في معاجم اللغة العربية وعند علماء التربية، كما بينت فيه المقصود بالتربية الدينية الاسلامية.

وأما البحث الثاني: فأفردته للحديث عن الاطار العام للتربية الاسلامية فيه ان التربية الدينية الاسلامية تتميز بأطر عامة عن غيرها من نظم التربية الاخرى وتتلخص هذه الأطر في:

١-أنها مسؤولية فردية وجماعية
٢- وأنها تربية شاملة.
٣-وأنها متكاملة
٤- وهي تربية عملية.
٥-وتقوم على الحرية والاستفادة من النافع من العلم البشري.

واما المبحث الثالث: فتناولت فيه البحث عن مصادر وأسس مناهج التربية الاسلامية وصدرته بمقدمة عن ذلك ثم ذكرت فيه مصادر هذا المنهج وأسسه. أما المصادر فبينت انها تشتمل على :

١-القرآن الكريم
٢- السنة النبوية الشريفة
٣- أقوال الصحابة
٤- فكر علماء الاسلام

وأما الاسس التي يقوم عليها هذا المنهج فهي:

١- الأساس الديني
٢- الأساس النفسي
٣- الأساس الخلقي
٤- حركة التغيير الاجتماعي

وأما المبحث الرابع فخصصته لأهداف مناهج التربية الدينية الاسلامية وبينت فيه ان الاهداف تتمثل في :

١- ترسيخ عقيدة التوحيد في النفوس
٢- تحقيق الايمان الحق في النفوس والفهم للألوهية
٣- تزويد المسلم بالفكر الديني السليم الذي يتدرج سعة وعمقا تبعا لمراحل النمو.
٤- تبيين ان العبادة في الاسلام منهج حياة يستغرق كل الحياة، ويشتمل على كل مايقوم به العبد من اقوال وأحاسيس أو أي مظهر من مظاهر سلوكه.
٥- تنمية الروح الدينية الانسانية التي يعيش بها المسلم لنفسه ولغيره.
٦- تحقيق التوازن بين أبناء الوطن المحلي وبين أبناء الوطن الاسلامي.
٧- تحقيق التوازن عند الانسان بين الحياتين في الدنيا والآخرة.
٨- ترسيخ الضمير الديني أو السلطة الذاتية النابعة من داخل النفس التي تنشأ وتقوي من التقاءات تأثير مختلف القيم الاسلامية على النفس.
٩- حماية المسلم من زيغ العقيدة والاتجاهات العقلية نحو الفلسفات المادية الالحادية التي لاتقيم وزنا للقيم الدينية.
١٠- تهذيب الاخلاق وضبط السلوك
١١- التعليم.
١٢- ادراك المسلم لحقيقة الكون الذي يعيش فيه وطبيعة العلاقات بينه وبين مفردات هذا الكون غيبه وشهوده.
١٣- فهم حقيقة الانسان.
١٤- جعل المربي على درجة تؤهله للمساهمة بايجابية وفاعلية في تحقيق وسطية الأمة وشهادتها على الناس.
١٥- تربية أناس يستطيعون القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
١٦- استعادة تمييز الأمة الاسلامية.
١٧- تربيتهم على ان يعملوا على وحدة الأمة الاسلامية والمحافظة على هذه الوحدة.
١٨-إعداد المسلم ليحسن إداء رسالته التي خلقه الله من اجلها وهي تحقيقه لذاته.
١٩- تربية المسلم على ان يكون صحيحا معتدلا.
٢٠- إعداد المسلم للجهاد في سبيل الله وذلك لحماية رسالة الاسلام القائمة على العدل والطمأنينة.
٢١-اثراء المسلم من ناحية الجمال والوجدان.
٢٢- احترام عقائد الآخرين المخالفين للعقيدة الاسلامية. ■

مؤتمر/ تطوير مناهج التربية الدينية الاسلامية في التعليم العام بالوطن العربي

●جانب من المؤتمر

الدكتور/ بدر الماص يحدد اهداف مناهج التربية الدينية الاسلامية: المصادر والأسس

التربية الاسلامية والتقدم الحضاري

حضارة

يرجع بعض المستشرقين-ذوي النزعة العدائية للاسلام وأهله- أسباب التخلف الحضاري والتكنولوجي عند المسلمين الى دستور المسلمين التليد المتمثل في القرآن الكريم والسنة المطهرة. وهذه الدراسة تعالج- في حيدة وموضوعية- أبعاد هذه القضية، بغية ان يتعرف المسلم- قبل غيره من الاجناس البشرية- على عوامل التقدم الحضاري في دينه الخالد وحثه على تربية أتباعه وتنشئتهم على هذه الاسس.

ومماتجدر الاشارة اليه قبيل البدء في مناقشة هذه القضية تحديد المعاني والدلالات التي يحملها عنوان هذه الدراسة حتى تكتمل الفائدة وتتضح الرؤية امام القارىء الكريم ليتسنى له متابعة المنهج العلمي الذي نستأنس به في هذا البحث.

بقلم الدكتور: محمد السيد المليجي

-تعريف« التربية الاسلامية»:

تعددت تعريفات التربية الاسلامية لدى كثير من المفكرين والفلاسفة بعضها يقف عند التربية الدينية لدى النشء وبعضها الآخر يشمل التربية البدنية والعقلية والاخلاقية لكل من الفرد والمجتمع.

والذي نجنح اليه ان التربية في مفهوم الاسلام هي انشاء الانسان انشاء مستمرا من الولادة حتى الوفاة.. على هذا الامتداد الأفقي. اما الامتداد الرأسي فهي تربية كاملة متوازنه، وهي جامعة من حيث انها تغرس القيم الخلقية والاجتماعية التي تحمي الانسان من اخطار الاضطراب والتمزق، وتربي في الانسان الارادة الحقة، حبا للناس وايثارا وبعدا عن الأنانية، وتجنبا للرذائل(١).

وفي ضوء ماتقدم يتبين لنا ان التربية الاسلامية ليست مجرد علم خاص، لان العلم يقتصر على تقرير مجموعة من القوانين والقواعد العلمية في ميدان معين من ميادين العلم، وانما اصدق مفهوم للتربية في نظر الاسلام، هو ان التربية عملية تنفيذ فلسفة التربية الاسلامية وتحويلها الى واقع في ميدان تكوين الانسان وتنشئته وتشكيله وتطبيعه بطابع الفلسفة الاسلامية ليمثل الفرد المسلم شخصية الاسلام في ذاته، وفي سلوكه، في مظهره ومخبره في كل الظروف(٢).

وبذلك تصبغ التربية الاسلامية الانسان المسلم بصبغتها الخاصة والمتميزة عن باقي الانماط الاخرى من انماط التربية التي يربي الغرب ابناءه عليها. وترجع شمولية التربية الاسلامية الى شمولية المنهج الذي خرجت منه روافدها، وحرصه المستنير على صياغة الشخصية الاسلامية التي تتحكم في ديناميكية المجتمع الذي يشكل ويتكون من مفرداتها ومصداقاتها. فالفرد في الاسلام هو الخلية الاولى التي عنى بها الاسلام ليكون على اساسها الاسرة الصالحة والمجتمع الراشد.

> التربية الاسلامية ليست مجرد علم خاص انما هي عملية تنفيذ فلسفة التربية وتحويلها الى واقع

من هنا كان للاسلام خطة واضحة في تربية هذا الفرد جسما وعقلا وروحا. تربية متكاملة تنتج الشخصية الاسلامية الواضحة المعالم، المعبرة عن مبادىء الاسلام وآدابه ومثله، لأن تلقين الحقائق دون طبع الانسان بطابعها وتعويده على سلوك مسالكها، لايكوّن الفرد الذي يرضى عنه الاسلام(٣).

ومن ثم نتحقق ان التربية التي نتطلع اليها هي التربية الاسلامية التي تجمع بين التلقين والتطبيع.

- تحديد مصطلح الحضارة:

أثبتت الدراسات الجادة ان مصطلح الحضارة (٤) من المصطلحات التي امتدت اليها اصابع المستشرقين وحادت بمفهومها الذي ذهب اليه المفكرون المسلمون- مثل: ابو حامد الغزالي وابن تيمية وكذا ابن خلدون- الى مفهوم آخر يخدم النزعة المادية التي تأخذ بها الحضارة الغربية، كما يخدم الحركات الهدامة التي يحاولون من خلالها هدم الاسلام.

أما المقصود بـ« الحضارة» في الاسلام فتعني تقدم المجتمع من الناحية المادية والمعنوية في جميع جوانب الانسانية بروح خيرة ونحو غاية خيرة(٥).

ولعل ربطنا لكلا التقدمين- المادي والمعنوي- بالروح الخيرة والغاية الخيرة من الضرورات التي يراعى الأخذ بها اثناء حديثنا عن معنى «الحضارة» في الاسلام وذلك لتميزهما عن الروح والغاية التي

جاءت عليها الحضارة الغربية. فقد ضجت روح الانسان الغربي من تلك النزعة البهيمية التي صاحبت حضارته، كما تكشفت له غاية هذه الحضارة عندما تسببت في صهر واذابة مايقرب من مليوني فرد ياباني من جراء القاء قنبلتين ذريتين على هيروشيما ونغازاكي منذ سنين قليلة مضت.

لكن الحضارة الاسلامية التي ظلت ردحا من الزمان. سخرت تلك الاكتشافات العلمية التي توصلت اليها، الى خيريي الفرد والمجتمع، واغلقت على الفرد المسلم كل منافذ السوء التي يمكن ان تميل اليها نفسه وتفتك بأكثر مما تفتك به القنبلة الذرية او الهيدروجينة.

وبذلك تتميز الحضارة الاسلامية عن الحضارات الشرقية والغربية اليوم. لأنها تستلهم خصائصها من نبعة ليست شرقية ولاغربية، وانما من نور يوقد من شجرة إلهية(٥) وهذا يبين مدى ارتباط الحضارة الاسلامية بالاخلاق او التربية الاسلامية، كما ان هذه الاخلاق في نظرنا اهم مقومات التقدم الحضاري في الاسلام.

أسس التقدم الحضاري في التربية الاسلامية

يجدر بنا بعد ان حددنا مفهوم كل من «التربية الاسلامية» ومصطلح الحضارة ان نقف عند الأسس او المقومات التي تحلت بها التربية الاسلامية وكانت من وراء قيام الصرح الحضاري الذي دام قرابه ألف عام على مر التاريخ لقد أنشأ المسلمون الحضارة الاسلامية الرائعة التي نعمت بها البشرية قرونا طويلة ولعل من الإنصاف ان نقول: ان البشرية لاتزال تنعم بعلومها واكتشافاتها وبحوثها. كما يعترف الغرب نفسه بذلك.

وقد فعل المسلمون ذلك عبادة لله. وقياما بوظيفتهم في هذه الحياة، وجعلوا بذلك امتهم في مكان الريادة للأمم كلها. فكانت بذلك خير أمة اخرجت للناس وكانت حضارتها خير حضارة عرفها التاريخ بالنسبة للانسانية كلها، وذلك لانها حققت كل الجوانب للفرد وللمجتمع(٦).

ومن المسلم به لدى كل من المربين او المؤرخين- في جميع العصور التي جاءت بعد الاسلام ان التربية الاسلامية هي الاساس المتين لحضارة المسلمين وان المثل العليا في تلك التربية تتفق مع الاتجاهات الحديثة في علم التربية اليوم (٧).

كما ان هذه التربية اشتملت على سر التقدم المادي والمعنوي وهو «الروح» فاذا كانت الروح متطورة وآخذة في الرقي، تبعها الجسد بجميع حواسه ليلحق بها فيما وصلت اليه من تقدم ورقي،ومن ثم كانت الآية الكريمة التي يقول الله تعالى فيها:﴿إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم﴾[الرعد/ ١١].

البداية التي انطلق منها المسلمون لكي يصنعوا حضارتهم المجيدة

وأما عن الأسس الحضارية التي حظيت بها التربية الاسلامية فهي:

أولاً: التربية الاسلامية للفرد

ثانيا: التربية الاسلامية للمجتمع

ثالثا: اتقان العمل في المجالات الصناعية والزراعية.. الخ.

رابعا: تربية الروح العلمية لدى الفرد والمجتمع.

خامساً: التربية الاخلاقية والتقدم الحضاري.

أولاً: التربية الاسلامية

أهتم الاسلام بتربية الفرد قبل المجتمع، لإدراكه مدى الفاعلية المؤثرة التي يسهم بها الفرد في تقدم مجتمعه.

ولكي يقوم الفرد باسهاماته الايجابية والحضارية تجاه مجتمعه. لابد له من وقفة مع نفسه ليصلح مابها من عيوب ويكتمل مابها من نقص ليرفع من امامها الحجب التي طمست بصيرتها نتيجة العادات السيئة التي سكنت اليها.

ومن ثم بدأت التربية الاسلامية ببناء النفس من الداخل، لانه اساس العمل الناجح الذي ينبع عن النفس البشرية، فاذا أتمت ذلك

الاسلام اهتم بتربية الفرد قبل المجتمع لادراكه مدى الفاعلية المؤثرة التي يهم فيها الفرد في مجتمعه

البناء، بدأت في تغيير المجتمع الذي تعيش فيه على أسس الاخلاق الاسلامية(٨) ويمكن انجاز الاسس الحضارية التي غرستها التربية الاسلامية عند الفرد المسلم في الآتي:

١-تكوين روح الخير فيه بحيث يلتزم السلوك الخير. ويسعى لتحقيق الخير للناس ماستطاع الى ذلك سبيلا، كما يلتزم بتجنب سلوك الشر ويعمل ليحول دون وقوعه من احد على أحد.

٢-تكوين روح الاخوة الانسانية، فيغرس الاسلام في الفرد منذ صغره روح الحب والأخوة، وان انسانيته تقتضي ان ينظر الى الناس كما ينظر لنفسه، ويحب للناس مايحب لنفسه.

٣-تكوين الوعي بوحدة الحياة الاجتماعية. وذلك لان الاخلاق الاسلامية تربط جميع مناحي الحياة بالوحدة والتآخي.

٤- تكوين روح الاحترام والتقدير للنظام الاخلاقي، لان تكوين هذا العنصر لدى افراد المجتمع، يؤدي إلى تماسكه وترابطه ووحدته.

٥-تكوين روح التعلق بالمجتمع، ليستطيع ان يعيش الفرد الحياة الاجتماعية الصحيحة.

٦- تكوين شخصية قوية متحدة الذات، لينتج عن ذلك قوة في المجتمع(٩) واذا ثورنا كل عنصر من هذه العناصر السته، استطعنا ان نخرج من بين طياته الدرر واللآلىء التي تؤكد دور التربية الاسلامية في تنمية مواهب الفرد واستعدادته، لتخدم غاية الوجود الانساني كما حددها الله خالق الانسان: ﴿وماخلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾[الذاريات/٥٦] على المعنى الواسع الشامل للعبادة، الذي لاينحصر في شعائر التعبد، كما صار في حس الاجيال المتأخرة من المسلمين.

انما يشمل الحياة كلها بكل فكرها وشعورها وسلوكها، كما فهمت الاجيال الاولى من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم، من توجيهات القرآن وتوجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم (١٠).

فهي تشمل الخلافة في الارض وتشمل عمارة الارض ولكن على منهج الله وليست العمارة المادية المطلوبة وحدها من الانسان ليحقق وجوده بالانسان على اساس اقامة الحق والعدل الربانيين في واقع الارض، ومن ثم يكون المتاع محكوما بمعيار الحق والباطل،

الحلال والحرام الذي هو معيار الدنيا والآخرة.
وهذه هي الغاية التي تحققها التربية الاسلامية للفرد المسلم وهي الفوز بخيري الدنيا والآخرة.

ثانيا: التربية الاسلامية للمجتمع

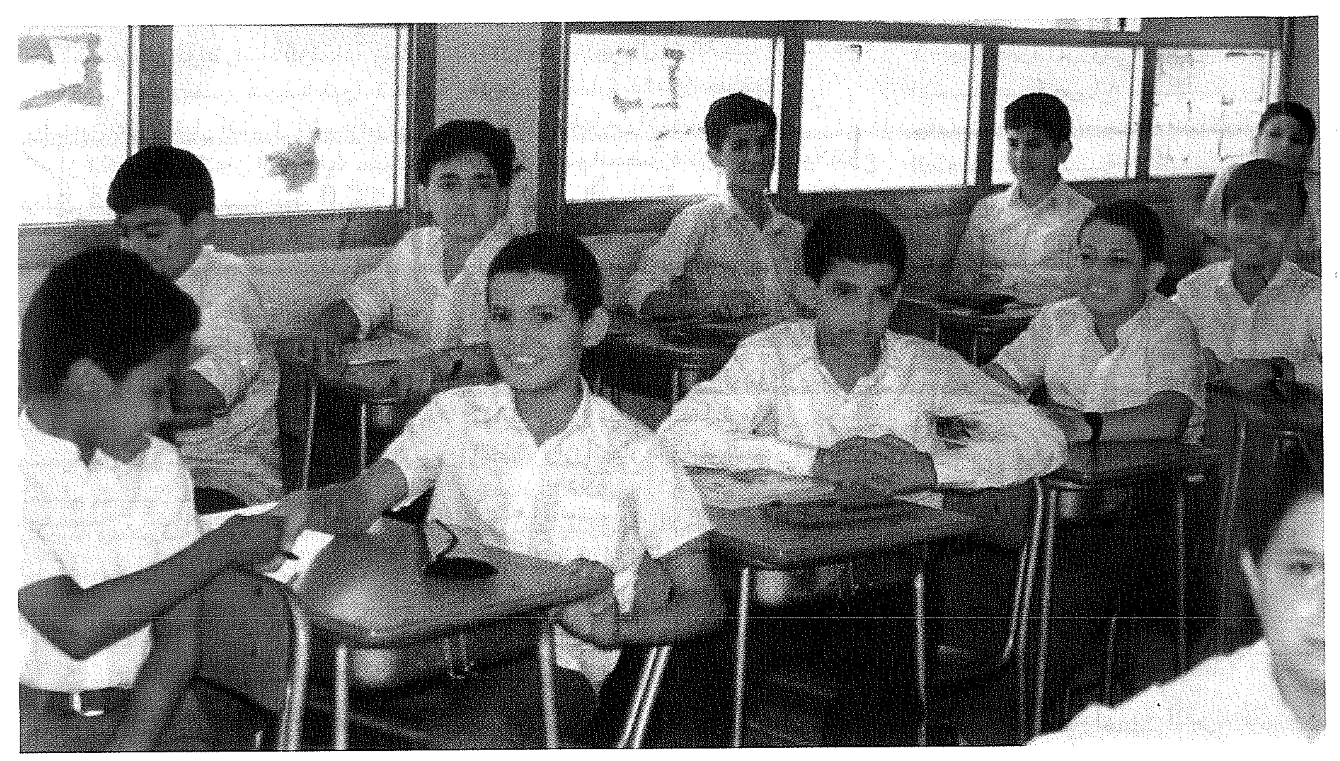
حرص الاسلام على الجماعة وعرف فضلها عند الله وعند رسوله، لكي يحث المسلمين على الاعتصام بحبل الله المتين وعدم التفرقة، قال تعالى:﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته إخوانا﴾.[آل عمران/١٠٣].
كما اخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يد الله مع الجماعة، وان المسلمين كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر. وهذا الحث من قبل الاسلام على التآخي والوحدة بين أفراد المجتمع الاسلامي لاينهض إلا من خلال إعمال اسس التربية الاسلامية في ذات الافراد الذين يكونون المجتمع.
وقد توجهت التربية الاسلامية نحو الفرد قبل توجهها نحو المجتمع، لادراكها ان المجتمع ماهو إلا مجموعة افراد.
فإذا استطاعت التربية الاسلامية ان تصبغ كل فرد بصبغتها الحضارية نتج عن ذلك مجتمع آخذ بآداب تلك التربية الاسلامية الحضارية. فإذا تحلى المجتمع المسلم بآداب التربية الاسلامية، وأخذ بمبادئها أعطى لنفسه الحق في المشاركة في الركب الحضاري والتقدم العلمي، ومن هذه الأسس التي تغذي بها التربية الاسلامية المجتمع الاسلامي لينهض من غفلته الآتي:
١-ان تسود هذا المجتمع روح الخير بحيث يسعى لخير المجتمع ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. قال تعالى:﴿ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾[آل عمران:١٠٤].
٢-ان تسود هذا المجتمع روح الأخوة الانسانية، لافرق ولاتفريق في المعاملة أوالحكم او القضاء لافرق بين غني وفقير، أو بين ابيض واسود، او بين حاكم ومحكوم.
٣-ان تسود هذا المجتمع الوحدة والقوة التي تستمد هذه القوة من الايمان بالإله الواحد.
٤-ان يسود هذا المجتمع الوعي الكامل بوحدته، من حيث ترابط المصالح المادية والمعنوية والاجتماعية والانسانية، حتى ينظر كل فرد على انه عضو متصل بجسد المجتمع.
٥-ان تسود هذا المجتمع روح الاحترام والتقدير للنظام، ويسود افراده روح التعلق بالمجتمع، لانه يؤمن بأن قوانينه ليست قوانين وضعها افراد لمجرد تحقيق مصلحة اجتماعية، بل اكثر من هذا، وهو ان هذا النظام اخلاقي يجب احترامه والخضوع له، لانه نظام إلهي يحقق للانسانية انسانيتها(١١).
ومن هنا تشارك التربية الاسلامية في صنع المجتمع الحضاري الذي يأخذ في عاداته وتقاليده بشتى الاسس الحضارية.

ثالثا: اتقان العمل في المجالات الصناعية والزراعية

يعتبر التقدم التكنولوجي في المجالات الصناعية والزراعية من اهم الركائز التي تبني عليها الحضارة صرحها الراقي، كما انها تعد من اوثق الدلائل على وجود تقدم علمي ملموس يستعين به الفرد والمجتمع في اكساب الحياة طابع السعادة والرفاهية من خلال تلبية مايعن للنفس في سهولة ويسر.
فإذا كان هناك تقدم في المجال الزراعي، ادى ذلك الى طمأنينة الناس من حيث شعورهم بضمان الأرزاق في المأكل والمشرب. اذ ان ذلك من الحاجات الاساسية التي تشغل الانسان باستمرار(١٢).
فإذا اطمأن الانسان الى وفرة طعامه وشرابه، انتعشت سريرته ورغدت معيشته وبات يتقلب في النعيم حيث يشاء.
ويتمثل دور التربية الاسلامية في المجال الزراعي في اهتمامها ببنية الفرد من الداخل

> التقدم التكنولوجي من اهم الركائز التي تبنى عليها الحضارة وصرحها الراقي

وتزكية نفسه حتى لاتأكل ولاتشرب الا من طيب الطعام والشراب قال تعالى:﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ومآأهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة ومآأكل السبع إلا ماذكيتم وماذبح على النصب وان تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق﴾[المائدة/٣].فكل هذه الانواع من الحيوانات التي تحمل في داخلها الأذى والضرر لمن اكلها يحرمها الاسلام اما الطيبات من الانعام والحيوانات فهي من المباحات التي أمر الشرع بها وحث المسلم عليها. قال تعالى:﴿يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وماعلمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب. اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولامتخذي أخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين﴾المادة:٤-٥
كذلك تتمثل التربية الاسلامية في المجال الزراعي في القيام على الزروع والانعام.. وحفظها من المهلكات التي تقضي على بركاتها وفوائدها الغذائية، وذلك من خلال ركن الزكاة التي سنها الله للفقراء والمساكين والمحتاجين ليتطهر بها الاغنياء وتزكو بها نفوسهم ويزداد بها رصيدهم من الجزاء عند الله وعند الناس قال تعالى:﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم﴾[التوبة:١٠٣].
ولعل ضيق المقام لايسع لبسط القول في الأسس التي تزيد المسلم تحضرا في المجال الزراعي.
وخلاصة القول: ان التربية الاسلامية في المجال الزراعي تحرص على عافية المسلم وصحته وذلك من خلال توجيهه الى المأكل الحلال والمشرب الحلال واستبقاء هذه النعم عن طريق الزكاة والصدقة.
أما دور التربية الاسلامية في المجال الصناعي، فقد بينه المنهج العلمي الذي تأمر به هذه الآية الكريمة. قال تعالى:﴿فسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون﴾[النحل/٤٣].



وقـولـــه تعـالى: ﴿ولاينبئك مثل خبير﴾ [فاطر/١٤].
فقد دعت هاتـان الآيتات وغيرهما من الآيات المماثلة الى اساس تـربـوي يأخذ بـه علماء التربية الحديثة وهو الأخذ بعامل الخبرة.
فـلاريب ان هـذا العامـل يقود صـاحبـه الى الإفـادة من خبرات غيره والتأسي به في الاخـذ بكل ماينهض بصناعته ويساعد على جودتها وتقـدمهـا حضـاريـا كـذلك حثت التربيـة الاسلامية الفرد على مساعدة من لايعرف او لايجيد صناعة الشيء ،فـروى عن رسول الله صلى الله عليـه وسلـم حين سئل عن أفضل الاعمال فقال: «يقين صـانعا»(١٣) وغير ذلك من الآحـاديث والآيــات التي تجزل العطـاء للمسلم الذي يعين اخاه على قضاء حاجته او تعليمـه لها. ومن اسس ومبـادىء التربيـة الاسلامية في هذا المجال ايضا، حث المسلم بل والمجتمع الاسلامي على التحصن والحذر من العدو وإعداد العدة لمواجهته.
قال تعـالى: ﴿واعدوا لهم مـاستطعتم من قوة ومن ربـاط الخيل تـرهبـون بـه عـدو اللـه وعدوكم وآخرين من دونهم﴾[الأنفال:٦٠].
كذلك أحدث الاسـلام في كل المجتمعات التي اعتنقته حركة اقتصادية ضخمة فانتقل بهذا المجتمع الجديد من مـرحلة الرق إلى مـرحلة الزراعـة والتجارة والصناعـة على مستوى دولي (١٤).
ومن ثم يتبين لنـا أن التربيـة الاسـلاميـة تحتـوي على عنـاصر اسـاسيـة في مجالات التقـدم العلمي المختلفـة والمتنوعـة، الأمـر الـذي يؤدي الى مصـداقيـة المصدر الـذي جـاءت عنـه وضرورة الأخذ بـه في ميـادين الحياة المختلفة.

رابعا: تربية الروح العلمية لدى الفرد والمجتمع

لعل الحروف الأولى من آيات القـرآن الكريم التي نزلت على قلب سيدنـا محمد صلى الله عليه وسلم خير دليل على تأكيد الاسلام للعلم وطلب التعلم.
فقد كان قـول الله تعـالى: ﴿اقرأ بـاسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الـذي علم بالقلم. علم الانسـان مالم يعلم﴾[العلق/١ ـ ٥].
لرسوله صلى الله عليه وسلم« من مقتضيات التربية الإسلاميـة التي تحرص على توصيل العلم للصغير والكبير في المجتمع الاسلامي.
كـذلك بينت السنـة المطهرة ان رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم جعل تعلم باب واحد من العلم خير للمسلم– عنـد اللـه– من الـدنيـا ومافيها. فقال صلى الله عليه وسلم: « باب من العلم يتعلمـه الـرجل خير لـه من الــدنيـا ومافيهـا»(١٥) ومن أجل منـزلة العـالم عند الله وعند الناس ومايعود على المسلم من خير لـه في دينه وفي دنيـاه جعل رسول اللـه صلى الله عليـه وسلم العلم فريضـة على كل مسلم ومسلمة. فقـال: «طلب العلم فريضـة على كل مسلم»(١٦).
وقد تـواصت التربيـة الاسـلامية بـالعلم منذ الايام الاولى من حياة المسلم بل قبل ان يكون نطفـة في بطن أمه، وذلك حين لفتت الشريعـة الغراء نظر المسلم على اختيار صـاحبة له من نسل طيب ومنبت حسن، مخافـة ان يتلـوث

> التربية الاسلامية تواصت بالعلم منذ الايام الاولى من حياة المسلم قبل ان يكون نطفه في بطن امه

الابناء من اخلاق اخوالهم وآبائهم واجدادهم ثم تابعت التربية الاسلامية ارشاداتها تجاه الفرد المسلم حين يولد واثناء الرضاعة وتظل تصاحبه حتى يصير شيخا كبيرا. تحث الوالدين على اختيار افضل الاسماء،وقرر القرآن الكريم ان تكون الرضاعة حولين كاملين، ثم تعهدت التربية الولد المسلم حين اوصت الآباء ان يعلموا أولادهم الصلاة من السابعة إلى العاشرة.

وهكذا نلمح حرص التربية الاسلامية على تتبع مراحل العمر المختلفة عند المسلم وتوجيهاتها الدائمة للآباء والأمهات حتى يقوموا على تربية أبنائهم تربية اسلامية صحيحة. يكلفها العلم الصحيح الذي يتيح للمسلم مستقبلا مبشرا بالخير والسعادة له ولذريته وعشيرته بل ومجتمعه الذي يعيش فيه.

خامسا: التربية الأخلاقية والتقدم الحضاري

تتميز الحضارة الاسلامية التي سطعت أشعتها قرابة الألف عام، بالجانب الاخلاقي الذي صاحب التقدم العلمي والتكنولوجي.

ويحكي التاريخ عن حضارات متعددة كتبت في جبينه سطوراً من نور أضاء جوانب كثيرة من الجوانب المادية، الا انه لم يضيء مثلها في الجانب الروحي أو الاخلاقي، عدا الحضارة الاسلامية.

ومن ثم قال افلاطون- متأثرا بالحضارة اليونانية- (الفضيلة لاتجتمع مع الثراء) والثراء او الحياة الرغدة المتحفة بالنعيم المقيم من أوثق العلامات الدالة - كما يقول بذلك ابن خلدون في مقدمته - عن التقدم الحضاري.

ويمكن تحديد دور التربية الاخلاقية في التقدم الحضاري بصورة اجمالية في كونها الوسيلة الوحيدة لبناء خير فرد وخير مجتمع وخير حضارة.

والعلاقة بين هذه الجوانب وثيقة الصلة من حيث ان بناء خير فرد وسيلة لبناء خير مجتمع وبناء خير مجتمع وسيلة لبناء خير حضارة. والغاية من هذا كله تحقيق سعادة عامة وشاملة في المجتمع، لانه اذا عم الخير الفرد والمجتمع والحضارة، فتكون السعادة نتيجة طبيعية لذلك(١٧) فالتربية الاخلاقية التي تعد الابن الشرعي للتربية الاسلامية كانت من وراء تميز وبقاء الحضارة الاسلامية- اكثر من غيرها من الحضارات- قرونا مديدة على مر التاريخ.

ولعل ذلك يرجع الى ان التربية الاخلاقية قدمت للحضارة خدمتين جليلتين:

الأولى: حفظها من الانهيار

الثانية: تقدم الحضارة لان هذه التربية تنزع من النفوس الشر الذي هو اكبر عامل لعدم الحضارات، واهم هذه الشرور الهدامة.. العدوان والتسلط على الناس واستغلال اموالهم واعمالهم (١٨).

وقد خصص ابن خلدون فصلا كاملا في مقدمته يناقش فيه هذه القضية ويذهب في نهايته الى ان قيام الحضارة مرهون بحسن الخلق، وان انهيارها وفساد عمرانها يكوّن بفساد الاخلاق .

وفي ذلك يقول: ان الاخلاق الحاصلة من الحضارة والترف هي عين الفساد، لان الانسان انما هو انسان باقتداره على جلب منافعه ودفع مضارة واستقامة خلقه(١٩).

ونخلص مما تقدم الى ان التربية الاسلامية تتمتع بأسس وقواعد تقيم بها أية حضارة وتستمد من روحها قوتها وبقاءها على مر التاريخ وهذه الايدلوجية التي تنفرد بها التربية الاسلامية. هي التي دفعت الفيلسوف الالماني استالد شينجلر الى ان يقول: (ان للحضارة دورات فلكية تغرب هنا لتشرق هناك، وان حضارة حديثة اوشكت على الشروق هي حضارة الاسلام الذي يملك اليوم اقوى روحانية عالمية) وقد غاب عن شينجلر ان قوة هذه الروحانية التي يشير اليها هي التي اقامت الحضارة الاسلامية- من قبل- نحو ألف عام.. وليت شعري لو تحسس المسلمون في هذه الايام مراكز القوى التي يتمتع بها دينهم مثلما تحسسها شينجلر. ■

> الاخلاق الحاصلة من الحضارة والترف هي عين الفساد لان الانسان لا يكون الا بمنافعه

الهوامش:

١-امال حمزة المرزوقي: النظرية التربوية الاسلامية ص ٨٦ سلسلة رسائل جامعية-رقم (٧)-جدة- المملكة العربية السعودية- الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٢-مقدار يالجن: فلسفة التربية الاخلاقية الاسلامية:ص٣٦رسالة دكتوراه-كلية دار العلوم-جامعة القاهرة-١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٣-انظر: النظرية التربوية الاسلامية:ص٨٤.

٤-انظر: نصر محمد عارف: الحضارة- الثقافة-المدينة دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم- المعهد العالمي للفكر الاسلامي- القاهرة- سلسلة المفاهيم والمصطلحات رقم(١).

٥- فلسفة التربية الاخلاقية الاسلامية:ص١٢٣.

٦-علي القاضي: اضواء على التربية الاسلامية:ص٢٦٢دار الانصار-القاهرة-الطبعة الاولى :١٤٠٠هـ/١٩٧٩م.

٧-النظرية التربوية الاسلامية ص١١.

٨-اضواء على التربية الاسلامية:ص ١٩.

٩-انظر: فلسفة التربية الاخلاقية الاسلامية:ص١٠٠-١١٩.

١٠- النظرية التربوية الاسلامية: ص١٠٧.

١١- فلسفة التربية الاخلاقية: ص١٢٠-١٢٢.

١٢-السابق: ص١٣٤.

١٣-رواه البخاري- باب ان كل معروف صدقه-رقم- ١٢٥.

١٤- اضواء على التربية الاسلامية:ص١٩.

١٥-رواه ابن عبد البر و ابن ماجه عن ابي ذر رضي الله عنه.

١٦-رواه ابن ماجه عن انس رضي الله عنه.

١٧-اضواء على التربية الاسلامية:١٨.

١٨-فلسفة التربية الاخلاقية الاسلامية:ص١٨.

١٩-ابن خلدون: المقدمة،ص ٣٧٤دار الفكر- القاهرة.

٢٠-اضواء على التربية الاسلامية:ص١٧.

المذهب المالكي
سيرة مؤسس المذهب

٥٠٣

فقه

تعرفنا في الحلقة الماضية على سيرة الامام مالك رحمه الله والبيئة التي نشأ فيها والشيوخ الذين اخذ عنهم وأخذوا عنه وما شهد العلماء بعلمه وفي هذه الحلقة نتحدث عن تأليفه والاصول التي اعتمدها في اجتهاده وعن تلامذته واين انتشر مذهبه.. وكما خدم مالك العلم في مجال التدريس وفي حلقات العلم فإنه ضرب بسهم وافر في خدمته بالتأليف، يذكر السيوطي في كتابه تزيين الممالك ان لمالك مؤلفات كثيرة، منها: تفسير لطيف مسند. وكتاب في النجوم وحساب دوران الزمان ومنازل القمر ورسالة الى هارون الرشيد في الوعظ«مطبوعة» ورسالة في الرد على القدرية ورسالة في الاقضية، ورسالة في الفتوى(٣١) وينسب له كتاب السر، ولكن نسبته اليه غير ثابته، ولايمكن ان تصح لتضمنه اشياء تتنافى منهج مالك ولايتصور انه قال بها وقد تصدى بعض اصحابه من اعلام المالكية الى تنزيهه عما تضمنه هذا الكتاب وبالتالي الى نفي نسبة الكتاب اليه.

بقلم:ا.د محمد ابو الاجفان

الموطأ:

من اهم مؤلفات الامام مالك بن أنس فهو الكتاب الذي يجمع فيه احاديثه ومروياته عن السلف وفقهه واجتهاداته، ويروى انه وضعه بأمر الخليفة العباسي ابي جعفر المنصور الذي قال له: ضع هذا العلم ودونه في كتاب، وتجنب فيه شدائد عبد الله بن عمررضي الله عنهما ورخص عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما وشواذ ابن مسعود رضي الله عنه، واقصد اوسط الامور وما اجمع عليه الصحابة والأئمة واجعل هذا الفقه علما واحدا.

لم يوافق الإمام مالك ان يحمل جميع المسلمين على اتباع مذهبه والعمل بما في مَوَطّئه، مراعيا ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقوا في الامصار ومع كل منهم علم، وافتى كل منهم في مصره بما رأى (٣٢).

ويروى ان فكرة حمل الناس على مَوَطّئه بدرت من المنصور والمهدي والرشيد وكان موقف مالك واحدا لايتغير تقديراً لاهمية الخلاف الفقهي المثري للتشريع ومراعاة لجانب التيسير على المقلدين ودرء الحرج عنهم بإلزامهم مذهباً دون سواه، ومن أروع مأثر عنه قوله ذات مرة للرشيد:(ياأمير المؤمنين ان اختلاف العلماء رحمة الله على هذه الأمة، كل يتبع ماصح عنده، وكل على هدى، وكل يريد الله».

وهذا الموقف هو الذي تقتضيه طبيعة الأدلة الشرعية والتوجيه النبوي وسنن الصحابة وتابعيهم الذين أقروا الاختلاف المشروع الذي يدل على مدى احترام العقل وتقدير الاجتهاد الشرعي الذي بفضله ورثنا ثروة الاحكام النفيسة.

والموطأ كتاب جامع للفقه والحديث معاً مرتب على أبواب الفقه، ضمنه صاحبه ماثبت عنده عن الصحابة والتابعين من الاقوال الفقهية والروايات الحديثية والفقه فيه يغلب على عنصر الحديث، وهذا يدل على ان الغرض منه النظر في الاحكام الفقهية مع دعمها بالسنة النبوية وبعمل اهل المدينة الذين جرى عملهم -غالبا- على مأثر عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ماأقره، ولمالك في الموطأ عبارات اصطلاحية جرى عليها مثل قوله (الأمر عندنا وببلدنا، و الأمر المجمع عليه» وقد تولى بنفسه بيانها لما سئل عنها وساق هذا البيان عياض في مداركه وابن فرحون في ديباجته وغيرهما.

وأنت ترى في ابواب الموطأ بعد العنوان الأحاديث المسندة أو التي بلغته في الموضوع ويتبعها بفقهه غالبا، وعنده الاحاديث القولية والسنة الفعلية والمأثور عن الصحابة والتابعين مما علموا به.

وقد تتالت شهادات المنوهين بالموطأ منذ عهد تأليفه إلى عصرنا، من ذلك قول الشافعي« ماعلى ظهر الارض كتاب- بعد كتاب الله- اصح من كتاب مالك» (٣٣) يعني الموطأ.

وقال ابو بكر بن العربي مقدما الموطأ على صحيح البخاري « كتاب الجعفي- البخاري هو الاصل الثاني في هذا الباب والموطأ هو الاول واللباب وعليهما بنى الجميع..» (٣٤).

وقال مغلطاي:« اول من صنف الصحيح

> الموطأ كتاب جامع للفقه والحديث معاً مرتب على أبواب الفقه

مالك»(٣٥).
وقال شاه ولي الله الدهلوي مشيرا الى بعض ميزات هذا الكتاب: «من اليقين انه ليس بيد احد اليوم كتاب من كتب الفقه اقوى من الموطأ لأن فضل الكتاب اما ان يكون باعتبار المؤلف او من جهة التزام الصحة او باعتبار الشهرة او من جهة القبول او باعتبار حسن الترتيب واستيعاب المقاصد ونحو ذلك وكل ذلك يوجد في الموطأ».
وقال الدهلوي ايضا: «كتاب الموطأ اصح الكتب وأشهرها واقدمها واجمعها وقد اتفق السواد الاعظم من اهل الملة المرحومة على العمل به والاجتهاد في روايته ودرايته والاعتناء بشرح مشكلاته ومعضلاته والاستنباط في معانيه وتشييد مبانيه ومن تتبع مذاهبهم ورزق الانصاف من نفسه علم لامحالة ان الموطأ عمدة مذهب مالك وأساسه، وعمدة مذهب الشافعي واحمد راسه، ومصباح مذهب ابي حنيفة نبراسه» (٣٦).
وما اشار اليه من الاجتهاد في روايته ودرايته والاعتناء بشرحه والاستنباط منه اوضحته دراسة جادة اعدها الباحث المغربي الدكتور الحسن الزين الفيلالي استاذ الدراسات الاسلامية في كلية الآداب والعلوم الانسانية في فاس (المغرب) بعنوان «بيبليوغرافيا شروح موطأ الامام مالك» (٣٧) حاول ان يستقصي فيها كل من كتب عن الموطأ وكل من اهتم به عبر العصور، وقسم كتبهم الى ثلاثة اقسام: مخطوطة معروفة ومطبوعة متداولة ومحجوبة تذكر في كتب التراجم ولاتعرف لها نسخ متوافرة تبلغ المخطوطات تسعا وثلاثين منها اختصار التمهيد لمحمد بن فرج القرطبي «٦٧١» وارشاد السالك لشرح مقفل موطأ مالك لعلي بن احمد الحريشي الفاسي «١١٤٣» وتبلغ المطبوعة عشرين مجلداً فقط منها المنتقى لابي الوليد الباجي الاندلسي«٤٧٤» والتمهيد لها في الموطأ من المعاني والاسانيد لابي عمر يوسف بن عبد البر النمري الاندلسي«٤٦٣» واسعاف المبطأ للسيوطي «٩١١» وشرح محمد الزرقاني«١١٢٢» وأوجز المسالك على موطأ الإمام مالك لمحمد زكريا بن يحيى الهندي«المتوفى١٣٤٨» وكشف المغطى عن المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ للشيخ محمد الطاهر بن عاشور.
اما المحجوب عنا من هذه المؤلفات فهو الاغلب اذ يبلغ ثلاثين ومائة كتاب.
وحسب هذه الاحصائية تكون المؤلفات التي تناولت الموطأ ورجاله بالغة تسعا وثمانين ومائة.
وفي اعتقادي ان هذه الاحصائية ليست نهائية ولا شاملة فالمطبوع في تنام وازدياد ولذا لم تشمل الدراسة القبس لابن العربي- مثلا- لانه طبع بعد الانتهاء من اعداد الدراسة والمخطوط وماسماه بالمحجوب يتعذر الاحاطة بهما خاصة وان خزائن المخطوطات العربية لم تغطها الفهرسة، وهذا لايغض من قيمة هذه الدراسة.
هذا وقد نوع الباحث السعودي الدكتور عبد الرحمن الشعلان «كلية الشريعة جامعة الامام محمد بن سعود في الرياض» المؤلفات التي صنفت لخدمة الموطأ الى الانواع التالية:
١- شروح تناول جميع النواحي.
٢- شروح تقتصر على الغريب.
٣-مؤلفات تعرف برجال الموطأ عامة.
٤- مؤلفات تعرف بشيوخ مالك خاصة.
٥-مؤلفات تتناول رواة الموطأ عن مالك.
٦-مؤلفات تتعرض لاختلاف الروايات عن مالك.
٧-مؤلفات خاصة بمسند الموطأ.
٨-مؤلفات لاطراف الموطأ
٩-مؤلفات للآثار التي اشتمل عليها الموطأ(٣٨).

كتاب الموطأ اصح الكتب وأشهرها واقدمها واجمعها

وروايات الموطأ كثيرة لايسع هذا المقام لعرضها ومما اشتهر منها رواية يحيى ابن يحيى الليثي الاندلسي ورواية محمد ابن الحسن ورواية ابن القاسم ورواية ابن وهب ورواية القعنبي (٣٩) ورواية علي بن زيادة(٤٠). ومعن بن عيسى وسعيد بن عفير ويحيى بن عبد الله بن بكير وابي مصعب احمد بن ابي بكر، ومصعب الزبيري وسويد الحدثاني(٤١).
ويذكر القاضي عياض ان الذين رووا الموطأ عن مالك مباشرة ستة وخمسون راويا (٤٢) وافرد الخطيب البغدادي كتاباً عن مالك أورد فيه ألف رجل إلا سبعة.
وهؤلاء الرواة في بلاد مختلفة مثل المدينة ومكة ومصر والعراق والقيروان وتونس والمغرب الاندلس.
يقول عياض: لم يعتني بكتاب من كتب الحديث والفقه اعتناء الناس بالموطأ فإن الموافق والمخالف اجمع على تقديمه وتفضيله وروايته وتقديم حديثه وتصحيحه (٤٣).
وقد اشار العلامة محمد حبيب الله بن مايابي الشنقيطي في منظومته دليل السالك الى رواة الموطأ واختلافهم في الزيادة ومما قال:

وقد رواه الجم من كل بلدة
إذ كان للشرع سبيلا يعتمد
فكثرت لذا الموطآت
وذاك لما كثر الرواة
فكل واحد له موطأ
لما روى عن مالك يوطئي
فزاد بعضها على بعض وما
زاد به شخص له قدانتمى

ويذكر ان مالكاً قضى اربعين سنة في تأليف الموطأ وتنقيحه وبعد ان كانت احاديثه وآثاره تبلغ عشرة آلاف آلت الى ألف وسبعمائه وعشرين على ماقال الأبهري (٤٤).
ومافي الموطأ من المراسيل وصلها ابن عبد البر من وجوه صحاح، ومافيه من البلاغات وصلها ابن عبد البر ايضا الا

اربعة اهتم بها ابن الصلاح ووصلها في تأليف مستقل اطلع عليه الشيخ صالح الفلاني (٤٥).

وبذلك تكون جميع احاديثه مسندة يطمأن الى صحتها لأن مالكا كما قال عنه النسائي:«ماكان اشد انتقاد مالك للرجال واعلمه بهم» وكما قال عنه ابن عبد البر«كان من اشد الناس تركا لشذوذ العلم واشدهم انتقادا للرجال وأتقنهم حفظاً فلذلك صار إماما» (٤٦).

أصول مذهبه

هذا وقد تعددت المصادر التي اعتمدها مالك في اجتهاده وتنوعت اصول مذهبه التي قيد بها منهجه في الاستنباط دون ان ينص عليها نصاً صريحاً واضحاً كما فعل بعده تلميذه الشافعي ولكن الباحث المتتبع اذا استقرأ الموطأ والمدونة ودرسهما دراسة فاحصة تكشفت عن هذه الاصول وكذلك يجد في رسائل مالك الى بعض أقرانه المعاصرين تعبيرا عن بعض اصوله كما في رسالته الى الليث بن سعد التي يدافع فيها عن اصل عمل اهل المدينة(٤٧).

ويمكننا ان نعرف بعض اصول مالك في مَوَطّئه، وقد اشار اليها وهو يشرح منهجه في هذا الكتاب ويفسر بعض مصطلحاته فيه فيقول:« أما اكثر مافي الكتاب فرأي فلعمري ماهو برأي، ولكن سماع من غير واحد من اهل العلم والفضل والأئمة المهتدى بهم الذين اخذت عنهم وهم الذين كانوا يتقون الله، فكثر علي فقلت رأيي، وذلك رأيي اذا كان رأيهم رأي الصحابة الذين ادركوهم عليه وادركتهم انا على ذلك، فهذا وراثة توارثوها قرناً من قرن الى زماننا، وماكان رأيا فهو رأي جماعة ممن تقدم من الأئمة، وماكان فيه« اي الكتاب» الامر المجتمع عليه فهو ماأجتمع عليه من قول اهل الفقه والعلم لم يختلفوا فيه وماقلت: الامر عندنا فهو ماعمل به الناس عندنا وجرت به الاحكام وعرفه الجاهل والعالم. وكذلك ماقلت فيه ببلدنا وماقلت فيه: بعض اهل العلم فهو شيء استحسنته من قول العلماء.

وأما مالم اسمع منهم فاجتهدت ونظرت على مذهب من لقيته حتى وقع ذلك موقع الحق او قريبا منه حتى لايخرج عن مذهب اهل المدينة وآرائهم وان لم اسمع ذلك بعينه نسبت الرأي الى بعد الاجتهاد مع السنة ومامضى عليه اهل العلم المقتدى بهم والامر المعمول به عندنا منذ لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم والأئمة مع من لقيت، فذلك رأيهم ماخرجت الى غيره»(٤٨).

فهذا النص يوضح مدى اعتماد مالك على الأثر ومدى التزامه باتباع ماعليه السلف الصالح من الأئمة والفقهاء وعلماء المدينة، ومدى مراعاته لما واظب عليه اهل المدينة من عمل وعرف مبني على ماأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى صحابته الكرام، فهو يتوسع في الاعتماد على عمل اهل المدينة ذابا عن هذا الاصل في حواره مع فقيه مصر الليث بن سعد.

وفي مقدمة فقهاء المدينة التابعون السبعة الذين ادركوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتهروا بأنهم أعلم اهل المدينة وكان مالك جامعاً لعلمهم مقتفيا أثرهم وهم:

-أبو بكر بن عبد الرحمن المخزومي(٩٣)

-عروة بن الزبير بن العوام الاسدي(٩٤)

-سعيد بن المسيب المخزومي(٩٤)

-عبد الله بن عبد الله بن عتيبة بن مسعود الهذلي(٩٥)

-خارجة بن زيد بن ثابت الانصاري(٩٩)

-القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق(١٠٦).

-سليمان بن يسار الهلالي (١٠٧) (٤٩)

المؤلفات التي تناولت الموطأ ورجاله بالغة تسعا وثمانين ومائة

وأصول الامام مالك عامة هي: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والاجماع وعمل اهل المدينة، وقول الصحابي، وشرع من قبلنا، والقياس، والمصالح المرسلة، والاستصحاب والاستحسان، وسد الذرائع، والعرف ومراعاة الخلاف.

وعند الإمام ان العمل بالكتاب والسنة واجب وهو المؤدي إلى الصواب والاجتهاد بالرأي يكون فيما لم يرد في الكتاب ولم تحكمه السنة وقد يحالف التوفيق صاحبه يقول: الحكم الذي يحكم به بين الناس حكمان: مافي كتاب الله أو أحكمته السنة، فذلك الحكم الواجب لكل الصواب والحكم الذي يجتهد فيه العالم برأيه فلعله يوافق» (٥٠)

والاجتهاد الذي يعمل فيه الرأي له سبل واضحة تسلك لاستنباط الاحكام فيما لم يرد فيه نص صريح من الوحي الإلهي ومن سبله القياس الذي يكون بإلحاق فرع بأصل لعلة مشتركة بينهما، وهو مصدرمعطاء زود الفقه المالكي بكثير من الاحكام وقد توسع فيه مالك فأجراه في الكفارات والحدود وقاس على الرخص وقد يقدمه على خبر الواحد عند تقويته بقاعدة شرعية.

ومن سبله المصلحة المرسلة التي عبر عنها بعضهم بالمناسب المرسل والمصلحة في الاصل عبارة عن جلب المنفعة او دفع المضرة وبها يحافظ على مقصود الشرع من الخلق من المحافظة على الدين والنفس والعقل والنسل والمال. والمرسل من المصالح ما لم يرد عن الشارع دليل خاص يدل على اعتبارها لا إلغائها، وقد اقتفى مالك أثر الصحابة في العمل بها فهم على أساسها- جمعوا القرآن واتخذوا السجون وحموا الثغور وغير ذلك، ومن سبله سد الذرائع ويسميه ابن شاس بحماية الذرائع، والمقصود منع الوسائل المفضية الى المفسدة وكل مايؤول الى الحرام، وقد اتجه المالكية الى سد الذريعة المؤدية الى محظور منصوص

عليه او داخل في نهي العلم عن الضرر والضرار وعن كل فساد.
وقد كان لهذا الاصل اثره في خصب فروع المذهب المالكي.
ومن سبله الاستحسان(٥١) وهو استعمال مصلحة جزئية في مقابلة قياس كلي وعرفه الامام أبو الحسن اللخمي المالكي القيرواني ثم الصفاقسي في البصرة بقوله:
هو كون الحادثة مترددة بين أصلين أحدهما أقوى بها شبها او اقرب اليها والآخر أبعد فيعدل عن القياس على الاصل القريب الى القياس على الاصل البعيد لجريان عرف أو ضرب من المصلحة او خوف من مفسدة او ضرر.
ويكون الاستحسان ايضا اخذا بالأحوط او ترجيحا لأحد الأمرين على الآخر او مراعاة لخلاف فقهي او رفعا لمشقة.
فو ترجيح بين أدلة متعارضة وعمل عقلي في اطار الأدلة والقواعد الشرعية تراعي فيه مصالح الناس وتدرأ عنهم المفاسد والاضرار تحقيقا لاهداف الشريعة السامية ومقاصدها، وقد دققت ملكة الامام وكثير من اصحابه في العمل بهذا الاصل وتوسعوا في مجال استعماله.
ومن الاصول المتعمدة في هذا المذهب العرف وهو ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول وتلقته الطباع السليمة بالقبول اعتمد المالكية العرف الصحيح الذي لم يتعارض مع مبدأ شرعي او نص من القرآن والسنة وبنوا عليه كثيرا من احكامهم فسايروا بذلك التطور الاجتماعي الصالح المفيد للناس.
ويلاحظ العلامة الباحثة محمد ابو زهرة ان المذهب المالكي امتاز بكثرة الاصول التي يعتمدها ويقول:« ان كثرة الاصول تطلق المخرج فإنه لاشك كلما كثر مابين يدي المفتي من اصول صالحة للإفتاء يختار منها اصلحها واقربها الى العدل والدين فيما يفتي فيه فكانت كثيرة لأدلة- كما قلنا- من شأنها ان تعلو بذلك المذهب لا ان تخفضه ومن شأنها ان تجعله مرنا في التطبيق فلا تضيقه..
وأنك لو فتشت في فروع ذلك المذهب التي استنبط احكامها إمامه الأول او صحابته من بعده او المخرّجون فيه وكان اساس الاستنباط فيها الرأي لاالنص لوجدت ان المصلحة كانت هي الحكم المرضي الحكومة في كل هذه الفروع سواء ألبست المصلحة لبوس القياس وحملت اسمه ام ظهرت في ثوب الاستحسان وحملت عنوانه ام كانت مصلحة مرسلة لاتحمل غير اسمها ولاتأخذ غير عنوانها(٥٢).
ولئن اشتهر عند كثير من مؤرخي التشريع عد مالك من اقطاب مدرسة الحديث بالحجاز، فإن ذلك لايعني نفي الرأي عنه فقد استخدم في اجتهاده العقل المستنير بنصوص الوحي ومبادىء التشريع وروح الدين. ولذا نجد من قدامى المؤرخين من يصرح باعتباره من أصحاب الرأي ملاحظة لهذا المعنى مثل ابن قتيبة ومن الباحثين المعاصرين ممن بحثوا مسألة جمع مالك بين الحديث والرأي وبين الأثر والنظر، ومنهم الدكتور خليفة بابكر الحسن الذي اشار الى سر تفوقه في المجالين، وقارن بين الرأي عنده وبين الرأي عند العراقيين فقال:
هو أمير المؤمنين في الحديث بغير منازع، كما هو أمير المؤمنين في الرأي والقياس كما وصفه ابن رشد، غير انه لابد من ان يلاحظ هنا ان الحظ الذي اخذ به من الرأي، ان كان لايقل عن الحظ الذي اخذ به اهل العراق في كلمه لكنه يختلف عنه في نوعه فالرأي عند العراقيين يعتمد في غالبيته على القياس ويتبعه الاستحسان عندهم معالجا لغلوه، ولذلك يكثر عندهم الاستحسان القياسي، اما رأي الامام مالك فيستند على رحابة الشريعة متمثلا في المصالح المرسلة ويتبعها الاستحسان تتبعا لليسر ورفعاً للحرج ومراعاة لأعراف الناس وتلك السمة في الرأي ورثها الإمام عن سلفه في المدينة وركزها في نفسه ادمان النظر في فقهها بل واختلاط ذلك بكيانه بطريقة لايملك معها ان يسمى رأيه رأياً بل هو رأي ماهو برأي كما يقول ونحن نعلم ان بيئة المدينة كانت بيئة المصلحة، وقد انحدر اليها ذلك من إمامها الأول في عصر الصحابة عمر بن الخطاب الذي كان أكثر مايعتمد في فقهه على المصالح(٥٣).

> الاجتهاد الذي يعمل فيه الرأي له سبل واضحة تسلك لاستنباط الاحكام

تلاميذه وأصحابه وانتشار مذهبه:

عاش الامام مالك في المدينة المنورة التي كان المسلمون يقصدونها خصوصاً في موسم الحج، ومنهم من يجاور بها مستطيباً الحياة بها، وفي حرمها الآمن كان الامام يلقي دروسه اضافة الى مجلسه العلمي الذي يعقده في بيته مستقبلا رواد العلم والمعرفة الشرعية والراغبين في رواية احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا من عوامل كثرة الآخذين عنه والروان عنه من البلاد المختلفة، وهذا ايضا من دواعي انتشار المذهب المالكي في عدة اقطار دانية من المدنية وقاصية، نما فيها المذهب ونبغ في فقهه من اهلها اعلام زادوا في إثرائه واجتهدوا فيه، وقد عرف تلاميذ مالك وعلماء مذهبه الذين ظهروا بعدهم في في مختلف الاقطار بأصحاب مالك، ومنهم من كان يجتهد متعمدا اصوله غير ملتزم بجميع احكام فروعه، وكانوا يرون اقواله وينقحونها ومنهم من يسندها بالدليل، ومنهم من يتصدى للذي عنه وعن منهجه في الاجتهاد وعن بعض احكامه وفتاويه، وهكذا خاضوا مجال المناظرة والجدل وقعّدوا اصول المذهب وضبطوها وسجلوا قواعده الفقهية ودونوها وظهرت على ايديهم المصنفات العديدة في فقه المذهب وفي الفقه المقارن والخلاف العالي وفي النوازل وفتاوى الوقائع والاحداث المستجدة، وفي احكام القضاء وكل ذلك متناول للعبادات وشؤون الاسرة ومعاملات الناس وعقودهم وحقوقهم وعلاقتهم بالسلطان وتنظيم علاقة مجتمعهم الاسلامي

بالمجتمعات الاخرى.
ولنبدأ بالتلاميذ مشيرين الى ثلة من طلبة كل قطر ممن اخذوا عن مالك مباشرة.
فمن الحجاز: أبو حازم سلمة بن دينار، توفي في المدينة سنة ١٨٥.
وأبو محمد عبد العزيز الدراوردي المتوفى في المدينة سنة ١٨٦.
وابو محمد عبد الله بن نافع المعروف بالصائغ (-١٨٦)
والمغيرة المخزومي مفتي المدينة بعد مالك (-١٨٨).
ومعن بن عيسى القزاز (-١٩٨)
وعبدا لملك بن عبد العزيز الماجشون المدني (-٢١٢).
وعبدا لله نافع(- ٢١٦).
وابو مصعب مطرف بن عبد الله الهلالي (-٢٢٠).
وعبدالله بن مسلمة بن قعنب التميمي المعروف بالقعنبي (-٢٢١)

ومن العراق:

أبو أيوب سليمان بن بلال قاضي بغداد (-١٧٦)
وعبد الله بن المبارك الفقيه الزاهد ١٨١
وعبدا لرحمن بن مهدي بن حسان البصري المحدث (-١٩٨)
والوليد بن مسلم بن السائب ١٩٩
ويحيى بن بكير التميمي النيسابوري (-٢٢٦
ومن مصر جماعة من أشهرهم:
عبد الرحمن بن القاسم العتقي الفقيه الحافظ الحجة (-١٩١)
وقد قيل عنه: انه اعلم تلاميذ مالك بعلم مالك وآمنهم عليه.
وعبد الله بن وهب وقد صحب مالكا عشرين سنة (-١٩٧)
وأشهب بن عبد العزيز والقيسى ،عنه اخذ بنو عبد الحكم (-٢٠٤)
وعبد الله بن عبد الحكيم بن اعين (-٢١٤)
وعبد الرحمن بن ابي جعفر الدمياطي (-٢٢٧).

ومن افريقية:

أبو علي شقران القيرواني (-١٨٦)
وعبد الله بن فروخ الفارسي فقيه القيروان(-١٧٦)
وعلي بن زياد التونسي احد رواة الموطأ (-١٨٣)
والبهلول بن راشد القيرواني (-١٨٣)
وعبد الله بن عمر بن غانم الرعيني القيرواني (-١٩٠)
واسد بن الفرات امير جيش غزوة صقلية (-٢١٣)
وعنبسة بن خارجة الغافقي (-٢٢٠)

ومن الأندلس:

زياد بن عبد الرحمن القرطبي المعروف بشبطون (-١٩٣)
وابو محمد الغازي قيس الأموي القرطبي (-١٩٩)
وعبد الله بن سعيد بن بشير بن شراحيل القاضي (-١٩٨)
ويحيى بن بيجي الليثي المصمودي راوي الموطأ (-٢٣٤)
وعيسى بن دينار بن وهب القرطبي (-٢١٢)
وهؤلاء التلاميذ وغيرهم صنعوا جسور مد المذهب الى اقطارهم بعد عودتهم بفقه مالك وبإعجابهم بشخصيته وسلوكه وسعة معرفته وسلامة منهجه.
وسنتكلم بإيجاز عن هذه المراكز التي كان للمذهب انتشار شرقي وانتشار غربي فيها ونذكر بعض فقائها الذين كان لهم الفضل في دعم المدارس التشريعية في هذه المراكز المختلفة. ■

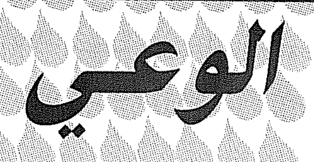
المذهب المالكي امتاز بكثرة الاصول التي يعتمدها

الهوامش :

٣١- المصدر نفسه ٢٦-٢٧
٣٢- انظر المصدر نفسه ٢٥
٣٣- تنوير الحوالك:١/٧-٨
٣٤- عارضة الأحوذي لابن العربي:١/٥
٣٥- تنوير الحوالك:١/٨
٣٦- أوجز المسالك:١/٣٠
٣٧- مجلة الموافقات للمعهد الوطني العالي لأصول الدين الجزائر عدد ٢ سنة ١٤١٣هـ ص ٣٦٩-٣٨٥.
٣٨- انظر اطروحة الشعلان اصول الامام مالك النقلية مرقونة في مكتبة كلية الشريعة جامعة الامام بن سعود في الرياض.
٣٩- نشرت في تونس ثم في الكويت بتحقيق الاستاذ عبد الحفيظ منصور.
٤٠- نشرت القطعة المعروفة منها التي احتفظت بها مكتبة جامع عقبة بتحقيق شيخنا محمد الشاذلي النيفر- دار الغرب الاسلامي بيروت.
٤١- مكرر الموطأ برواية الحد ثاني نشرته وزارة العمل في البحرين سنة ١٩٩٤.
٤٣- المصدر نفسه ٢/ ٨٠
٤٤- إضاءة الحالك:٦٣
٤٥- نقلاً عن الشيخ احمد آل مبارك في دراسته «الامام مالك» ضمن بحوث المؤتمر الرابع للفقه المالكي ص٣٧- نشر رئاسة الشرعي في أبو ظبي ١٩٨٦.
٤٦- المدارك: ١/١٥٧
٤٧- ترتيب المدارك:٢/٧٨-٧٩
٤٨- المصدر نفسه.
٤٩- الديباج:٢٥
٥٠- انظر تهذيب التهذيب لابن حجر:٣/٤٣٧
٥١- جامع بيان العلم لابن عبد البر:٢/٢٥
٥٢- انظر بحثنا: الاستحسان في المذهب المالكي- ضمن كتاب بحوث المؤتمر الرابع للفقه المالكي ص ٦٨١ ومابعدها- ط رئاسة القضاء الشرعي أبو ظبي ١٩٨٦.
٥٣- مالك لأبي زهرة:٤١٧-٤١٨

حديقة

إعـداد/ احمد عبدالجبار



الوعي

عشرة أشياء لا ينتفع بها

قال ابن القيم رحمه الله: عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها: علم لا يعمل به، وعمل لا إخلاص فيه، ولا اقتداء، ومال لا ينفق منه فلا يستمتع به جامعه في الدنيا ولا يقدمه أمامه يوم القيامة، وقلب فارغ من محبة الله والشوق إليه والأنس به، وبدن معطل من طاعته وخدمته. ومحبة لا تتقيد برضاء المحبوب وامتثال أوامره، ووقت معطل عن اكتساب فارط أو اغتنام بر. وقربة وفكر يجول فيما لا ينفع، وخدمة من لا تقربك خدمته إلى الله ولا تعود عليك بصلاح دنياك، وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله وهو أسير في قبضته ولا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

الفوائد لابن القيم

الصبر

قال أبو حاتم: على العاقل أن يوطن نفسه على الصبر على جار السوء وعشير السوء وجليس السوء.

الكذوب لا حيلة له

قال الأحنف بن قيس:
الكذوب لا حيلة له والحسود لا راحة له، والبخيل لا مروءة له والملول لا وفاء له ولا يسود سيء الأخلاق ومن المروءة إذا كان الرجل بخيلاً أن يكتم ذلك ويتحمل!

المرء بأصغريه

قيل إن سعد بن ضمرة الأسدي لم يزل يغير على النعمان بن المنذر يستلب أمواله حتى عيل صبره، فبعث إليه يقول: إن لك عندي ألف ناقة، على أن تدخل في طاعتي فوفد عليه، وكان صغير الجسم فاقتحمته عينه وتنقصه فقال: مهلاً أيها الملك، إن الرجال ليسوا بعظم أجسامهم وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، إن نطق نطق ببيان، وإن صال صال بجنان، ثم أنشأ يقول:

يا أيها الملك المرجو نائله
إني لمن معشر شم الذرى زهر
فلا تغرنك الأجسام إن لنا
أحلام عاد وإن كنا إلى قصر
فكم طويل إذا أبصرت جثته
تقول هذا غداة الروع ذو ظفر
فإن ألم به أمر فأفظعه
رأيته خاذلاً للأهل والزمر

فقال: صدقت، فهل لك علم بالأمور قال: إني لأنقض منها المفتول، وأبرم منها المحلول، وأجيلها حتى تجول، ثم انظر فيها إلى ما تؤول، وليس للدهر بصاحب لمن لا ينظر في العواقب، قال: فتعجب النعمان من فصاحته وعقله، ثم أمر له بألف ناقة، وقال له: يا سعد إن رحلت وصلناك، فقال: قرب الملك أحب إليّ من الدنيا وما فيها، فأنعم عليه وأدناه وجعله من أخص ندمائه.



قال بعض الحكماء: مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعاً ولو رغب في الجنة كما رغب في الغنى لفاز بهما جميعاً ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر سعد في الدارين جميعاً.

اللهم سترك وعفوك...

يقول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: أول ما تفقدون من دينكم الخشوع وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة ورب مصل لا خير فيه ويوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيهم خاشعاً.

أتعلم وتقضي؟

حكي أن عثمان بن عبدالله وقف على محمد بن سماعة القاضي وهو في مجلس قضائه يحكم بين الناس، فقال: اسمع، لا سمعت يا بن سماعة، وانشد يقول:

لقد كلفت يا مسكين أمراً
تضيق له قلوب الخائفينا
أتعلم إن رب العرش قاض
وتقضي أنت بين العالمينا؟

فقام ابن سماعة من مجلسه ودموعه تجري على خديه...!

من هدي كتاب الله

(يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج). سورة الحج ـ ٥.

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أبي موسى ــ رضي الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل ما بعثني الله بـه من الهدي والعلم، كمثل الغيث الكثير، أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فَعَلِم وَعلَّمَ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به».

صدق رسول الله صلى الله عليه سلم.

دعاء

اللهم فارج الهم كاشف الغم، مجيب دعوة المضطرين، رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما، ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك.

كيف أصبحت؟

قال رجل لابن تيمية رحمه الله تعالى: كيف أصبحت؟ قال أصبحت بين نعمتين لا أدري أيتهما أفضل. ذنوب سترها الله فلا يعيرني بها أحد، ومودة قذفها الله في قلوب العباد لا يبلغها عملي. «الفوائد لابن القيم».

التوكل على الله في أربعة

سئل حاتم الأصم: على أي شيء بنيت أمرك في التوكل فقال: على خصال أربع، علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت نفسي وعلمت أن عملي لا يأخذه غيري فأنا مشغول به وعلمت أن الموت يأتيني بغتة فأنا أبادره، وعلمت أني لا أخلو من عين الله تعالى حيث كنت، فأنا استحي منه.

قالوا في حفظ السر

قال المتنبي:

ولسر مني موضع لا يناله
نديم ولا يفضي إليه شراب

وقال آخر:

إذا ما ضاق صدرك عن حديث
وأفشته الرجال فمن تلوم؟
وإن عاتبت من أفشى حديثي
وسري عنده فأنا الملوم

وقيل لأعرابي ما بلغ من حفظك للسر؟ فقال: أفرقه تحت شغاف قلبي ثم أجمعه وأنساه كأني لم أسمعه.

وقال بعضهم:

إذا ما غفرت الذنب يوماً لصاحب
فلست معيداً ما حييت له ذكرا
ولست إذا ما صاحب خان عهده
وعندي له سر مذيعاً له سرا

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ما أنشبت سري إلى أحد قط فأفشاه فلمته إذ كان صدري به أضيق.

وقيل: كتمان الأسرار يدل على جواهر الرجل وكما له أنه لا خير في آنية لا تمسك ما فيها فكذلك لا خير في إنسان لا يمسك سره.

وقال الشاعر:

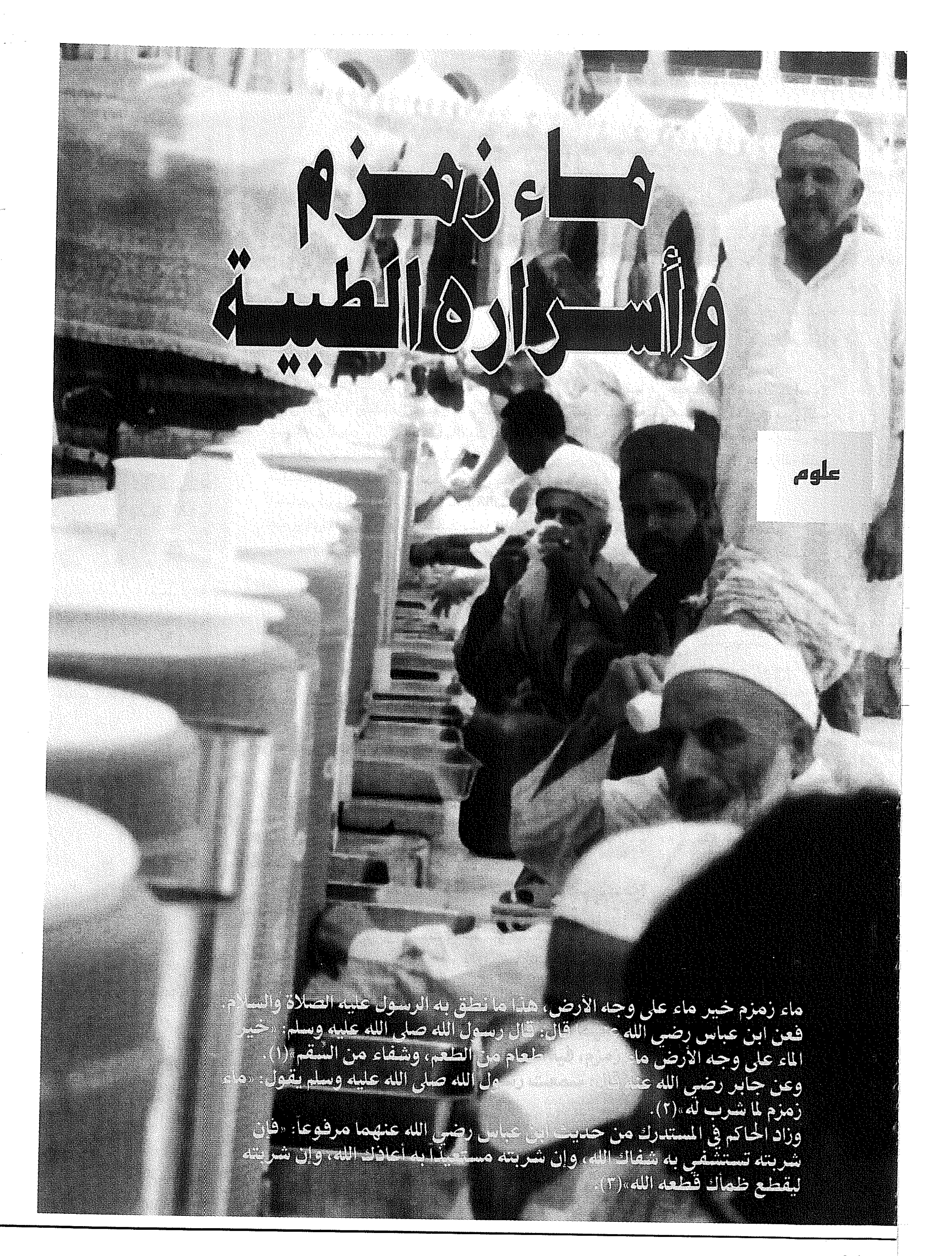
ومستودعي سراً كتمت مكانه
عن الحس خوفاً أن ينم به الحس
وخفت عليه من هوى النفس شهوة
فأودعته من حيث لا يبلغ الحس

وقال عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه:

القلوب أوعية والشفاه أقفالها والألسن مفاتيحها فليحفظ كل إنسان مفتاح سره.

أشرار

تنافر رجلان من بني أسد إلى هرم بن سنان المري وعنده الحطيئة، فقال أحدهما: إني بقيت زماناً وأنا أرى أني أشر الناس وألأمهم حتى أتاني هذا فزعم أنه أشر مني. فقال هرم: أخبراني عنكما، فقال أحدهما: لم يمر بي أحد قط ألا اغتبته، ولا ائتمنني إلا خنته، ولا سألني إلا منعته، وقال الآخر: أما أنا فأبطر الناس في الرفاء وأجبنهم في اللقاء، وأقلهم حياء وأمنعهم خباء فقال هرم: وأبيكما لقد ترددتما في الشر، ولكن أخبركما بمن هو شر منكما، قال: ما ولدت ذاك النساء، قال: بلى. هذا الحطيئة هجا أباه وأمه ونفسه ومن أعطاه ومن أحسن إليه.



علوم

ماء زمزم وأسراره الطبية

ماء زمزم خير ماء على وجه الأرض، هذا ما نطق به الرسول عليه الصلاة والسلام. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير الماء على وجه الأرض ماء زمزم فيه طعام من الطعم، وشفاء من السُّقم»(١).
وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ماء زمزم لما شرب له»(٢).
وزاد الحاكم في المستدرك من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «فإن شربته تستشفي به شفاك الله، وإن شربته مستعيذاً به أعاذك الله، وإن شربته ليقطع ظمأك قطعه الله»(٣).

د. حسان شمسي باشا

استشاري أمراض القلب
في مستشفى الملك فهد للقوات المسلحة
بجدة

وقد حرص الصحابة والتابعون وكثير من علماء هذه الأمة وعامتها على استحضار نيات معينة عند شربهم لماء زمزم لما عرفوا من قوله صلى الله عليه وسلم «ماء زمزم لما شرب له»: لأن الدعاء مستحب عند شرب ماء زمزم.

وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه لما شرب ماء زمزم دعا بقوله: «اللهم إني أشربه لظمأ يوم القيامة».

كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان إذا شرب ماء زمزم قال: «اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً، وشفاء من كل داء».

يقول ابن القيم في فضل ماء زمزم:

«وقد جربت أنا وغيري من الاستشفاء بماء زمزم أموراً عجيبة، واستشفيت به من عدة أمراض، فبرأت بإذن الله، وشاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد قريباً من نصف الشهر، وأكثر ولا يجد جوعاً، ويطوف مع الناس كأحدهم»(٤).

تركيب ماء زمزم:

أجريت خلال العقدين الماضيين عدد من التحاليل الكيميائية لمعرفة تركيب ماء زمزم. ففي العام ١٩٧٣ قامت شركة واطسون بإجراء تحليل لمياه بئر زمزم والاودية وعين زبيدة وفي العام ١٣٩٢هـ كلفت وزارة الحج والأوقاف السعودية الشركة الاستشارية (V.33) بإجراء دراسة لتعقيم ماء زمزم وتعبئتها في زجاجات معقمة. وقامت الشركة بتحليل ماء زمزم بكتروبيولوجياً وكيميائياً.

وقامت لجنة الحج بدراسة التركيب الكيميائي لمياه زمزم أثناء عملية تنظيف بئر زمزم في بداية العام ١٤٠٠هـ. وتم تحليل المياه - بإشراف المهندس يحيى حمزة كوشك - في مختبر مصلحة المياه في المنطقة الغربية وفي مركز أبحاث الحج في جامعة الملك عبدالعزيز. وكانت النتائج الآتي:

> قال رسول الله ﷺ: «خير الماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام من الطعم وشفاء من السقم».

التحليل الكيميائي لمياه زمزم

الأس الأيدروجيني ٧,٨ (١٠)
= القلوية الكلية ٣٠٠
= العسر الكلي ٦٨٠
= عسر الكالسيوم ٤٧٠
= عسر المغنزيوم ٢١٠
= الكالسيوم ١٨٨
= الصوديوم ٢٥٣
= المغنزيوم ٥١
= البوتاسيوم ١٢٠
= النشادر ٦
= النيتريت ٠,٠١
= النيترات ٣٧٢
= الكلور ٣٤٠
= الكبريتات ٣٧٢
= الفوسفات ٠,٢٥
= البيكربونات ٣٦٦
= المواد الذاتية ١٩٨٠ (١١)

> ماء زمزم من المياه المسرة الفنية بالمعادن ومجموع الأملاح المعدنية فيه ٢٠٠٠ملغ/اللتر

كم ينتج بئر زمزم؟

جرت عدة محاولات في السابق لقياس الطاقة الانتاجية لبئر زمزم. وظلت التقديرات الانتاجية غير دقيقة حتى بداية العام ١٤٠٠هـ. ويقدر انتاج بئر زمزم حسبما تبين من اختبارات الضخ بين ١١ - ١٨,٥ ليتر/ ثانية.

تعقيم مياه زمزم:

أجريت العديد من الدراسات لاختيار الوسيلة المثلى لتعقيم مياه زمزم. وكان من بينها رسالة الماجستير التي قدمها الأستاذ يحيى كوشك في جامعة واشنطن العام ١٩٦٨ والتي أظهرت أن استخدام الأشعة فوق البنفسجية هو أسلم الطرق لتعقيم مياه زمزم.

وجاء في تقرير شركة واطسون التي كلفت بدراسة هذا الموضوع: «بالرغم من أن هذه الطريقة للتعقيم أكثر كلفة من الوسائل التقليدية مثل استخدام الكلور، إلا أننا نرى أنها الطريقة الوحيدة التي نوصي باستخدامها. في الحرم الشريف للأسباب التالية:

١ - بساطة الجهاز.
٢ - إمكان تحقيق التعقيم خلال ثوان.
٣ - إمكان تحقيق التعقيم دون الإفراط في المعالجة.
٤ - عدم الحاجة إلى استيراد مواد كيماوية أو تخزينها أوخلطها.

وقد تم تركيب الأجهزة التي تستخدم الأشعة فوق البنفسجية، وأرسلت عينات من ماء زمزم بعد التعقيم إلى شركة «كونام سيرفيز -Co

nom Services وإلى «مختبر الأطباء للتحاليل الطبية» فكانت جميعها سلبية وخالية من أي تلوث (٥).

هل هناك جراثيم

يقول الأستاذ يحيى كوشك - مدير مصلحة المياه في المنطقة الغربية سابقاً:

«لقد قامت مصلحة المياه في المنطقة الغربية في العام ١٤٠٠هـ بتنظيف البئر، وأخرجت منه كميات كبيرة من الرمل والطمي. وقد أدى استمرار الضخ من البئر التي تكشف العيون مرة بعد أخرى إلى تنظيف هذه العيون، واختفاء جميع الجراثيم الممرضة مثل جراثيم السالمونيلا والشيجلا، وجراثيم الايشيريشيا القولونية (E.culi).

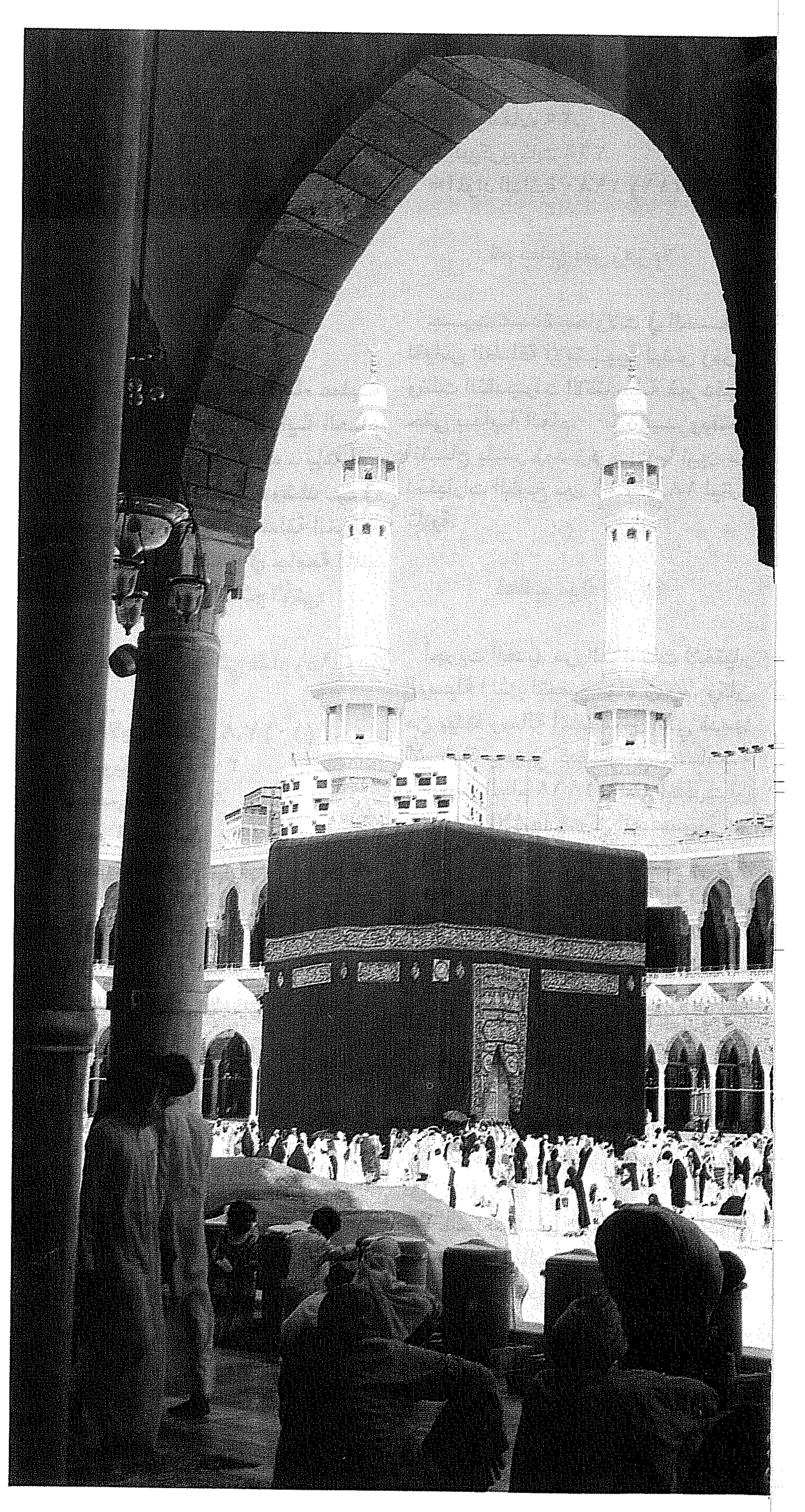
أما الجراثيم الموجودة طبيعياً في المياه، فقد ظهرت بمعدل يكاد يكون ثابتاً في العين الكبرى، بينما استمرت أعداد هذه الجراثيم في الانخفاض في العين الصغرى، وهذا ما يؤكد بما لا يدع مجالاًللشك أن مصادر مياه زمزم الأساسية خالية تماماً من أي نوع من الجراثيم المسببة للتلوث(٦)

ماء زمزم غنية بالمعادن:

تعتبر المياه المعدنية غنية بالمعادن - حسبما نشر في كتاب (V,tomins Tminecal,) طبعة ١٩٩٣ - عندما تزيد كمية الأملاح المعدنية فيها عن ١٥٠٠ ملغ/ ليتر»(٧)

ولو نظرنا إلى تركيب المياه المعبأة في المملكة العربية السعودية، لوجدنا أن هذه المياه تحتوي ما بين ١٣٠ - ٢٦٠ ملغ/ ليتر من الأملاح المعدنية.

أما مجموعة الأملاح المعدنية في ماء زمزم فيبلغ حوالي ٢٠٠٠ ملغ/ ليتر. وبذلك تنطبق على ماء زمزم مواصفات



المياه الغنية بالمعادن. ومن المدهش حقاً أن مياه صفا «وهي مياه مكة المكرمة» وهي القريبة من بئر زمزم - لا تحتوي على أكثر من ٢٦٠ ملغ/ليتر من الأملاح المعدنية في حين تـزيـد كمية الأمـلاح المعدنية في مـاء زمزم - عن ٢٠٠٠ ملغ في اللتر الـواحد. فسبحـان من أودع في ماء زمـزم تلك المعادن، وجعلهـا مميزة عما يجاورها من مياه.

ماء زمزم غنية بالكالسيوم والمغنزيوم

جـــاء في كتـــاب (Vitomins Tminecols):

«يقـال عن ميـاه معدنيـة أنها غنيـة بمعـدن ما، حينما تتجـاوز قيمة هـذا المعدن المعـدن الحـدود التاليـة «ملغ/ليتر»

الكالسيوم: ١٥٠
المغنزيوم: ٥٠
السفات: ٢٠٠
الكلور: ٢٠٠

ويحتـوي مـاء زمـزم على كميـة من الكـالسيـــوم، والمغنـزيـــوم تصل أو تتجاوز هـذه الحدود فهي تحتوي على حوالي ٢٠٠ ملغ من الكالسيوم بالليتر وحوالي ٥٠ملـغ من المغنزيـوم بالليتر الواحد. وبذلك تكون ماء زمزم غنية في هذين المعدنين المهمين.

وليس هذا فحسب، بل إن مـاء زمزم تعتبر مياه عسرة لغنـاها بالكـالسيوم والمغنزيوم.

وقد دلـت الأبحاث العلميـة الحديثة على أن مـرض شرايين القلب التـاجيـة «الذبحة الصـدرية وجلطة القلب» ربما يكون أقل حدوثاً في المناطق التي يشرب سكانها المياه العسرة».

ماء زمزم مياه غازية:

وتعتبر المياه غازية إذا احتوت على ما يـزيد عن ٢٥٠ ملغ من البيكـربونـات وماء زمزم تحتوي على ٣٦٦ ملغ/ ليتر من البيكربونات.

ويقال إن المياه الغازية تسـاعد على هضم الطعـام، ومن المعـروف أن كل المشروبـات الغـازيـة تحتـوي عى البيركربونات عادة.

ومن المدهش حقـاً أن تعلم أن كميـة البيكربـونـات الموجـودة في ماء زمـزم تفـوق تلك الموجـودة في مـاء إيفيـان الشهيرة والتي تبلغ ٣٥٧ملغ/ ليتر.

> كمية البيكربونات في ماء زمزم تفوق الكمية في ماء إفان الشهيرة.

هل المياه المعدنية مفيدة؟

يـذكر الـدكتور «لينـارد ميرفن» في كتـابـــه (Vitomins yminerals) طبعة ١٩٩٥ «لقد شاع استعمال المياه المعدنية لقرون عديدة كعلاج لعدد من الشكايات وبخاصـة آلام الروماتيزم، وبما أن المعلومات الحديثـة تشير إلى احتمال وجود علاقة بين تلك الأمراض واضطـراب المعـــادن في الجسـم، فإن استعمال الميـــاه المعــدنيـــة من أجل الحصـول على تـأثير مـدر أو ملين أو مـرمم لنقص المعادن في الجسم يبـدو منطقياً (٨).

> ماء زمزم يعتبر من المياه العسرة لغناها بالكالسيوم والماغنسيوم

ويذكر الأستاذ الدكتور محمد ممتاز الجنـدي - أستـاذ التغذيـة في جامعـة القاهرة — في كتابه «الغذاء والتغـذية»: «والمياه المعدنيـة الصالحة للشرب تفيد في علاج كثير من الأمراض، ومنها زيادة حموضـة المعـــدة، والإسهـال المزمن، وعسر الهضم.

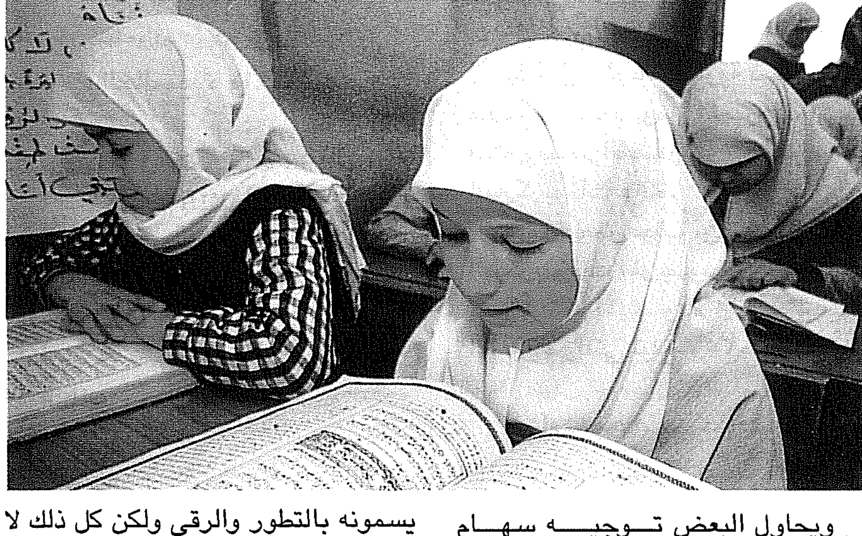
أما المياه المعدنية المعدة للاستحمام، فبعضهـا يحتـوي على البيكربـونـات، وتفيـد في تنشيط الـدورة الـدمـويـة، وبعضها يحتوي على الكبريت، وتفيد في علاج الروماتيـزم، والتهاب العضلات، وبعض الأمراض الجلدية»(٩). ويحتاج الأمر إلى المزيد من الدراسـات العلمية الرصينة قبل ثبوت هذه الآراء. ■

الهوامش

(١) رواه الطبراني في الكبير ١١/٩٨ وقـال الهيثمي رواته ثقـات، ورواه ابن حبان في صحيحـه، وحسنه السيـوطي في الجامع الصغير، وقـــال الألبـــاني حـــديث صحيح «صحيـح الجامع الصغير ٣٣٢٢».
(٢) رواه أحمد وابن ماجة والبيهقي. قال الألبـاني «حديث صحيـح». «انظر صحيح الجامع الصغير ٥٥٠٢».
(٣) المستــدرك للحـــاكم ٤٧٣/١ وصححه، وكـذلك السيوطي في الجامع الصغير.
(٤) الطب النبوي لابن القيم.
(٥) زمزم: للأستاذ محمد بخيت
(٦) نفس المصدر.
(٧) كتـاب Vitamins yminer-als
(٨) المصدر السابق.
(٩) كتـاب : «الغـذاء والتغـذيـة» للدكتور محمد ممتاز الجندي.
(١٠) النتــائج مقـدرة «ملغ/ليتر» فيما عدا الأس الأيدروجيني.
(١١) اقتبست النتـائج السـابـقة من كتـــاب «زمـزم» لـلأستـــاذ يحيى كوشك.

المرأة في ظلال الإسلام الوارفة

مرأة



إن الحديث عن المرأة، ومقارنة وضعها في ظلام الجاهلية بما أصبحت عليه في نور الإسلام حديث طويل، وتحدث فيه الكثير من عباد الله، فمنهم من أجاد وأصاب وأوتي من الله الحكمة وفصل الخطاب، فذكر ما تمتعت به المرأة في ظلال الإسلام من إنجازات عظام وخيرات جسام، ورد على الدعاوى المضللة التي ليس لها هدف إلا النيل من هذا الدين العظيم، ومنهم من جرفته عقيدته الفاسدة وحقده الدفين على هذا الدين العظيم، فراح يعدد ـ زوراً وبهتاناً ـ دور الحضارة الغربية بما قدمته للمرأة من رقي وتطور،

بقلم د. أحمد عبدالوارث مرسي

ويحاول البعض توجيه سهام مسمومة إلى الإسلام بعدم مساواتها للرجل في الميراث، وقوامة الرجل عليها وجعلها ـ في نظرهم ـ عبداً مملوكاً للرجل يتصرف فيها كيف يشاء وبخاصة مسألة تأديب الرجل زوجه بالضرب حتى ترتدع عما هي عليه إلى آخر هذه الترهات، والأباطيل والخزعبلات، التي يذكرونها، ومما يؤسف له أن فئات من أبنائنا وبناتنا يصدقون ذلك، خصوصاً لتلك المغريات المهلكات التي يرونها فيما يسمونه بالتطور والرقي ولكن كل ذلك لا يؤثر في الإسلام من قريب أو بعيد، فهو كالطود الشامخ لا تؤثر فيه حصيات يلقيها عليه الصغار حقداً وغيظاً، وهم بذلك يحاولون ـ عابثين ـ أن يطفئوا «وهم على الثرى» نور الثريا المتلألئ.

لكن يبقى التذكير من قِبَلِنا واجباً، والكتابة في مثل هذه الأمور محتمة وإذ نحن نذكِّر، إنما نقول ببعض ما كانت عليه المرأة في الجاهلية ليرى المتدبر عطاء الإسلام وإنجازه للشق الآخر للمجتمع.

ففي الأطوار الأولى من حياتها طفلة صغيرة، ليس لها حول ولا طول كان الرجل في الجاهلية يغضب أشد الغضب، ويحزن أشد الحزن إذا ولدت له ابنة، تنقبض أساريره، ويسود وجهه من شدة الغضب والحنق على هذا المخلوق الصغير الذي لم يقترف جرماً ولم يرتكب ذنباً، إنه كان يريد أن يكون المولود ذكراً ينضم به إلى صفوف المحاربين المقاتلين تلك الحروب التي كانوا يشعلونها لأتفه

> الإسلام وضع الدواء قبل استفحال الداء بتعدد الزوجات تعدداً منتظماً محافظاً على مشاعر المرأة

الأسباب ومن أجل ذلك كان الرجل منهم يأخذ ابنته إلى متاهات الصحراء يحمل مِعْوَله ويقتاد فلذة كبده ويحفر لها حفرة عميقة، وهي مشفقةعليه تحاول أن تخفف عنه هذا العناء فهي لا تعرف شيئاً مما يُدبِّر لها فتنفض الغبار عنه، وتناوله الماء ليشربه ويروي ظمأه فإذا اكتملت الحفرة وأصبحت عميقة، أمسك بابنته وألقاها فيها، ثم أهال عليها التراب غير مكترث بصراخها، واستنجادها به إلى أن يغيب هذا الصوت الحاني إلى الأبد ليقف أمام ربه ويذكر له «وهو أعلم» بجرم هؤلاء المجرمين قال تعالى مخبراً عن هذا الوضع المشين في الجاهلية (وإذا بُشر أحدهم بالأنثى ' ظل وجهه مسوداً وهو كظيم. يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هُون أم يدسُّه في التراب ألا ساء ما يحكمون) [النحل/ ٥٨، ٥٩].

وفي مرحلة تأتي بعد ذلك للمرأة في الجاهلية لا تكون أفضل من سابقتها وهي مرحلة زواجها كأن يسوغ للرجل أن يتزوج ما يشاء من النساء من غير تحديد، لأن الرجل لا يأبه بمشاعرها وأحاسيسها ولا يَرِقُّ لحالها وألمها النفسي، كما كان الرجل يعاشرها من غير قانون أو شريعة تحكم هذه المعاشرة فتكون العلاقة بينهما - والحالة هذه أشبه ما تكون بالعلاقة البهيمية، وربما كان ذلك لوناً من ألوان الزواج عندهم، روى البخاري عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء، منها نكاح الناس اليوم وهو أن يخطب الرجل إلى الرجل وليِّته فيصدقها ثم ينكحها، ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته — إذا طهرت من طمثها - اذهبي إلى فلان فاستبضعي(١) منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي استبضعت منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع، ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة، كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها فتقول: قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل. والنكاح الرابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون عليها فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا ودعوا القافة(٢) ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاط(٣) به دُعي ابنه لا يمتنع عن ذلك(٤).

أما ما يثار في شأن المرأة فيما يخص أمر الميراث، ويعتبرون الإسلام أنتقص من حقها عندما قرر لها النصف فيه، فإنها دعوة باطلة وفرية واضحة، إذ لا توجد شريعة قررت ما قرره الإسلام، فلقد جعل المكيال الذي يورث الذكر على أساسه هو نصيب الأنثى قال تعالى: (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) [النساء/ ١١].

وليس هذا غبناً لها ولا تقليلاً من شأنها كما يزعمون، بل هو عدل الله المطلق، وهذا النصيب جعله الإسلام حماية لها من غوائل الزمن فحسب، فهي ليست مكلفة بالانفاق حتى على نفسها في أي طور من أطوار حياتها سواء في منزل الأبوّة أو في عش الزوجية أو حتى بعدما تفقد زوجها أما الرجل فإنه المكلف بالإنفاق عليها، أباً وزوجاً وابناً وهكذا يبدو عدل الله المطلق، كما يبدو التناسق بين الغُرْم والغُنْم، هذا عن الإرث الذي لم يبذل فيه جهداً، أما إذا كان العمل والقيام بأعباء التكاليف، ساوت المرأة بالرجل في ذلك تماماً ليس لأحد منهما عند الله فضل عن الآخر قال جل شأنه: (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) [آل عمران/ ١٩٥]. فلكل منهما نصيب مساو للآخر تماماً نتيجة عمله وكسبه قال تعالى: (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) [النساء/ ٣٢].

قوامة الرجل على المرأة تكريم لها ومحافظة عليها ودعاة المساواة بينهما هدفهم انتكاسة المجتمع

وقالوا عن تعدد الزوجات في الإسلام وحاولوا النيل منه في هذه المسألة ولكنهم خسئوا وخابوا، ولو فقهوا وعرفوا أن تعدد الزوجات فيه التكريم كل التكريم للمرأة والمحافظة عليها من السقوط في مهاوي الرذيلة ما قالوا كلمة واحدة.

لقد أثبتت كل الإحصاءات التي تمت بوساطة مؤسسات دولية كالأمم المتحدة وما تفرع عنها من هيئات أن عدد النساء في العالم أكثر من عدد الرجال في كل المجتمعات لأسباب واضحة منها الحروب، وتعرض الرجال لمخاطر الأعمال وغيرها فإذا لم يستطع الرجل أن يتزوج إلا بواحدة فقط، فأين مصير الأخريات، ودواعي الفطرة قوية جامحة، وبالتالي ستحدث الكارثة ويكثر النسل غير الشرعي وينشأ جيل في المجتمع لا يعرف له أباً أو أسرة ينتمي إليها مما يهدد مصير هذا المجتمع بالدمار.

لكن الإسلام وضع الدواء قبل استفحال الداء وذلك بتعدد الزوجات تعدداً منتظماً يقوم على مراعاة حق كل واحدة، والمحافظة على مشاعر المرأة، بتقريره نظام العدل فيما بين الزوجات فإن ضمن الرجل أنه سوف يكون عادلاً بينهن فليتزوج ما شاء إلى أربع وإلا فليكتف بواحدة كما قال ربنا جل شأنه: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا) [النساء/ ٣].

وقوامة الرجل على المرأة تكريم لها ومحافظة عليها. والذين ينادون بغير ذلك يدعون بدعوى المساواة بين الرجل والمرأة

إنما يحاولون أن يصيبوا المجتمع بانتكاسة وخيبة.

لقد جعل الله قوامة الرجل على المرأة داخل الأسرة لدواع تستوجبها طبيعة كل منهما، فهو الذي ينفق على الأسرة ويكدُّ ويكدح لتوفير حياة كريمة لأفرادها، والمرأة ما جعلت إلا لتكون داخل الأسرة تجلب للرجل السعادة والهدوء والاستقرار بعد الكد والعناء، وإن ما تقوم به المرأة في هذا الصدد ليوجد الألفة والمحبة لها من الرجل قال تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) [الروم/ ٢١] كما أنها مكلفة بتربية النشء وتعليمه وتهذيبه، وفي هذا الصدد لا بد أن تكون هناك قوامة داخل الأسرة ليستقيم أمرها ويصلح شأنها، ولابد أن تكون للرجل، لما هيأه الله من قوة جسدية وتحمل للمشاق ومقدرة فائقة على كل أمر يطرأ، وإن المرأة لا تصلح لذلك لطبيعة تكوينها، فبنيتها ضعيفة وعاطفتها جارفة، والقوامة حمل ثقيل وعبء كبير، ولقد أثبتت التجارب أن الأسرة التي تكون القوامة فيها للمرأة محطمة فاشلة إذ إن الذكور فيها لا يجدون مثلهم الأعلى، فهم يتطلعون إلى من هو في طبيعتهم، ويبحثون — عبثاً — عن القدوة فلا يجدونها فينشئون مشتتين وقد فقدوا هويتهم، والله سبحانه وتعالى العليم بخلقه أعلم لمن تكون القوامة، ومن ثم فهو يحمِّلها للرجل قال تعالى:(الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) [النساء/ ٣٤].

وأثناء مباشرة الرجل لحقّه المكلف به من ربه في القوامة، قد تنشز المرأة لما قد تراه في نفسها من دواع تستوجب ذلك منها — في نظرها — إذ إنها قد تكون ذات مال وفير خاص بها، وزوجها ليس له حظ من مال، أو قد ترى نفسها على قدر من الجمال فائق وتريد أن تتدلل على الرجل به، أو تكون ذات جاه وسلطان وهنا يرسم القرآن الكريم الطريق الصحيح والمسار القويم لعلاج ذلك فيأمر الرجل أن يبدأ في وعظها بالحسنى، لكنها قد تتمادى ولا تستجيب لذلك، فهواها غالب وانفعالها جامح لا تنفع فيه موعظة فيقرر الإسلام مرحلة تالية بعد الموعظة من مراحل التأديب هي هجرها في المضجع، فهو موقع التدلل، ومكان الاستعلاء بالجمال والكبرياء فإذا هزمت في هذا المجال فقد استقامت الحياة، وإلا فإن مرحلة ثالثة يقررها القرآن لابد منها، وهي الضرب برفق بحيث لا يشوّه الوجه ولا يكسر العظم، فربما كان من النساء من لا تحس قوة الرجل الذي تحب أن تجعله ولياً وقيّماً عليها وترضى به زوجاً إلا حينما يقهرها عضلياً، وليست هذه طبيعة كل واحدة لكنه نوع منهن موجود (واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً) [النساء/ ٣٤].

فلم يقرر الإسلام الضرب للمرأة إلا لكبح جماحها وخفض استعلائها وكسر كبريائها حتى تتنبه لرسالتها وتعي — تماماً — واجبها ومن ثم يضمن للأسرة الاستقرار والبقاء وللمجتمع القوة والاستعلاء.

ثم إن الضرب يجب أن يكون بكل رفق وأناة ليس فيه خدش ولا كسر مراعاة لطبيعتها وهو علاج في مرحلة من المراحل قد تكون المرأة في أمس الحاجة إليه.

لقد خطا الإسلام بالمرأة خطوات واسعة إلى ذرى الأعالي، وكرّمها وحفظ لها حقها بعد أن كانت مسلوبة منه في المجتمع الجاهلي الذي ورثها للرجل كالمتاع فإذا ما مات زوجها جاء وليه فألقى عليها ثوبه فيُعرف أنها محجوزه له إن شاء نكحها من غير مهر وإن شاء زوّجها وأخذ مهرها. وزوجها الجديد يعضلها فيدعها لا هي زوجة ولا هي مطلقة حتى تفتدي نفسها وتفك أسرها بمالها واليوم تخطو المرأة خطوات واسعة إلى جاهليتها الأولى تحت دعاوى زائفة تسمى بالتقدم والرقي «والإتيكيت» والموضة، يملي عليها شياطين الإنس والجن بعداً عن ربها، وإهمال لتكاليف خالقها، فيزينون لها أفعالها ويباركون لها سفورها واختلاطها بالرجل بهذه الصورة القبيحة البشعة، فعرضت نفسها سلعة رخيصة مبتذلة ممثلة وراقصة ومعلنة للسلع وبائعه لجلب الزبائن بصوتها الناعم وصورتها، وسكرتيرة تخفف عن رئيس العمل أعباءه إلى غير ذلك مما كلفت به المرأة نفسها من السفور والابتذال والتدني. أهذه هي الحضارة التي تنادون بها؟ أهذا هو التطور الذي تطلبون ؟ أهذه هي المدنية؟ كلا فإن الله حق والإسلام حق وما دونه باطل، فلتخرس الألسنة ولتستمعوا إلى نداء ربكم فيكم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون) [الأنفال/ ٢٤].

المرأة في ظل الإسلام تمتعت بإنجازات عظام وخيرات جسام لم يحدث لها في ظل التقدم والرقي والحضارة الغربية

الهوامش

(١) استبضعي منه أي اطلبي منه أن يعاشرك معاشرة الزوج لزوجه وكان يطلب ذلك من وجهاء القوم وأشرافهم.

(٢) القافة جمع قائف وهو الذي يحسن معرفة الأثر وتتبعه، والمقصود الذين يعرفون أشكال الناس بأشكال آبائهم وأمهاتهم.

(٣) التاط به: لحق به.

(٤) صحيح البخاري ٣/ ١٩ ـ ٢٠.

الحرية في نظر الإسلام

فكر

كرّم الله الإنسان وميزه عن غيره من المخلوقات بالإدراك والعلم. ومنحه نعمة الانتفاع بالعقل، ووهبه حرية الاختيار بعد أن بين له معالم الخير والشر كما رسمها الإسلام في مجالات ثلاثة هي:
- حرية الفرد كإنسان.
- حرية العقيدة.
- حرية الرأي.

بقلم د. ماجد أحمد مومني

أولاً: حرية الفرد كإنسان:

الناس في نظر الإسلام منذ ولادتهم أحراراً، لاحق لأحد في استعبادهم ولا تملكهم، ولا فرض سيطرته عليهم. إذ لا يمكن أن تتحقق إنسانية الإنسان دون حريته، لأنه لا معنى لاختياره وإدراكه، إذا لم يكن حراً، وفي الحالة التي يفقد بها حريته يكون إلى الحيوان أقرب منه إلى الإنسان، يساق كما تساق الدواب وتتعطل أهم ميزاته، وأخص خصائصه، وهي الانتفاع بنعمة العقل والإدراك والفهم والاختيار.

وجاء في الحديث الصحيح ما يؤكد ذلك المعنى. قال عليه الصلاة والسلام: «... أيها الناس... إن الرب واحد والأب واحد... كلكم لآدم وآدم من تراب.. لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى..»

رواه أحمد

والإسلام يرى أنه لا يمكن أن تتحقق حرية الإنسان إلا إذا عنت الوجوه لبارئها، وتمحضت لخالقها، وانعتقت من أغلال التقليد والاتباع وتحكمات البشر وأهوائهم والارتقاء بالنفس الإنسانية بالاحتكام إلى واحد أحد الفرد الصمد، فتوحيده أساس حريته. ولقد جاء الإسلام بهذا التوحيد الذي كان الإعلان الأول لحقوق الإنسان وتخليص البشر مما ران على فطرتهم وطمس نور عقولهم، وقيد حرياتهم. فأنقذهم من عبادة الأوثان وخلصهم من سلطنة الكهنوت والوساطة بين الله وخلقه. وأزال صفة القداسة التي ادعاها، أباطرتهم

الإسلام يرى أنه لا يمكن أن تتحقق حرية الإنسان إلا إذا عنت الوجوه لبارئها

وفراعنتهم وحكامهم.. وجفف منابع الرق والاسترقاق، ولم يُبق من سُبل الرق إلا طريق الحرب، وتركه في يد الإمام أو القائد وجاءت آيات القرآن الكريم الأخيرة خلواً من ذكر الرق: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما مناً بعد وإما فداء﴾ [محمد/٤].

وفتح الإسلام أبواب الحرية على مصاريعها، وجعل العتق سبيل التكفير في اليمين والطلاق والظهار والقتل... والتكفير عن الذنوب، وجعل العتق أحد مصارف الزكاة الثمانية ﴿وفي الرقاب﴾ وعرف عن خلفاء المسلمين أنهم كانوا يشترون الرقيق ويعتقونهم لوجه الله. وتشوف الشارع للحرية والتمساها حتى أن الأمة إذا ولدت للسيد حَرُمَ بيعها أو التصرف فيها، فإذا مات سيدها أصبحت حرة.

ولم يعرف الإسلام في شريعته ما فعلته أوروبا.. من شحن الأحرار من الأدغال في أفريقيا إلى أمريكا واستراليا واستعبادهم وإبادتهم وإجبارهم على العمل دون رحمة أو شفقة أو احترام.

﴿.. قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾... [آل عمران/٦٤].

والإنسان يعيش في هذه الحياة، له عقل يفكر به، وغرائز فطرية تدفعه لتحقيق وجوده وبقاء نوعه. وبين إتاحة الفرص للعقل بأن يفكر ويبدع، للغرائز أن تشبع وتأخذ طريقها المشروع، دون كبت أو تعطيل - ودون جور أو اعتداء، تتحدد حرية الإنسان في هذه الحياة، وتوضع في إطارها الصحيح، فما من حق إلا ويقابله واجب - وتنتهي حرية الإنسان حيث تبدأ حقوق الآخرين.. وإلا انقلبت الحياة فوضى لا ضوابط ولا روابط.. هذا هو مفهوم الحرية كما رسمها الإسلام.

ثانياً حرية العقيدة:

يأمر الإسلام أن يخلي بين الناس وبين ما

يعتقدون، فلا يكره أحداً على الإيمان فإن الاعتقاد الصحيح ثمرة الاقتناع الكامل والتصديق الثابت، ولا قيمة لعقيدة تأتي نتيجة القهر والتسلط، فحالما تزول أسباب القهر تنتهي وتزول، ولا يمكنها أن تحدث التغيير النفسي المنشود أو تقاوم الضغط عليها. ولهذا حينما سأل هرقل أبا سفيان - وقد كان لا يزال على الكفر — عن المسلمين أيرتد أحد منهم سخطاً على دينه؟!

قال: لا، فقال هرقل: وهكذا الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب.

ومن هنا لم يُجزْ رسول الله لأحد أصحابه أن يكره ابنه على الإيمان ونزل قوله تعالى: ﴿... لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي...﴾ [البقرة/٢٥٦].

وقال سبحانه:

﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ [يونس/٩٩].

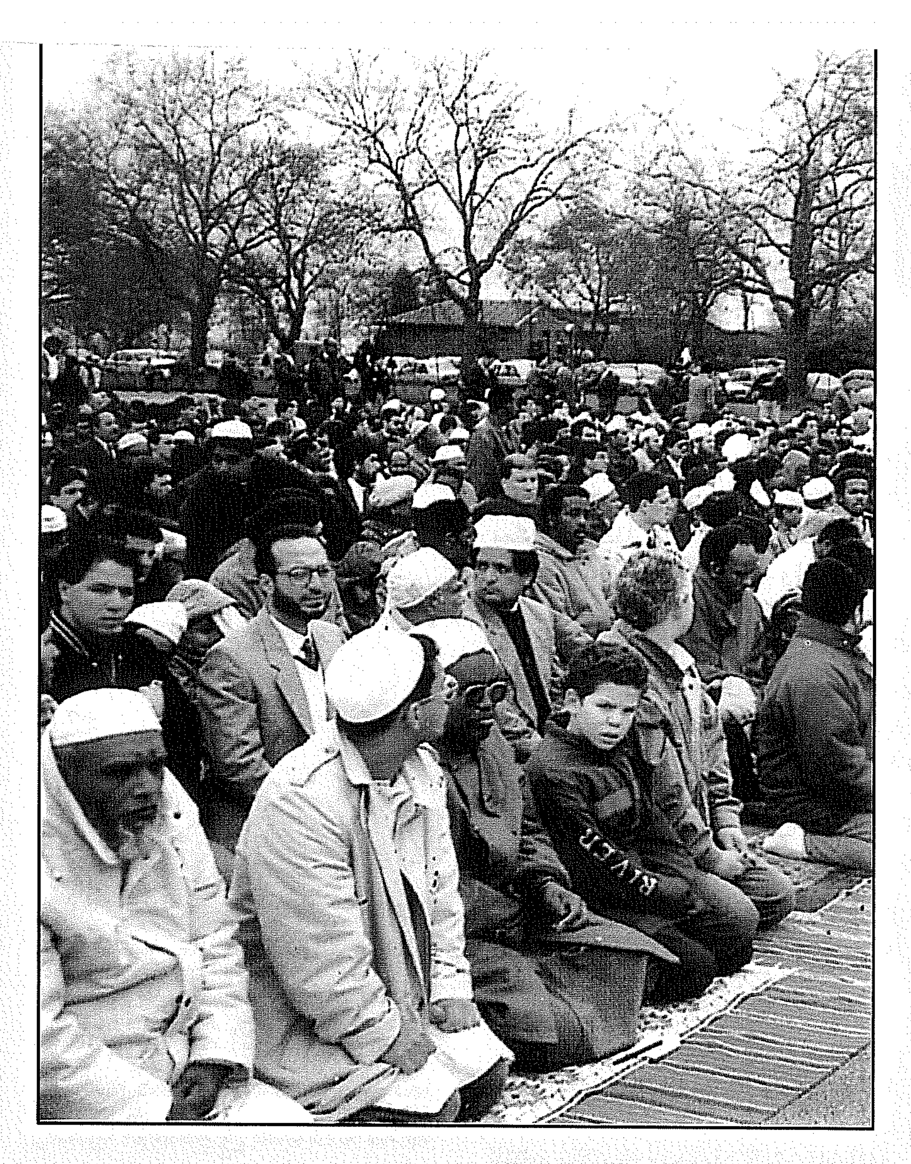
وصدق سبحانه:

﴿.. وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر..﴾ [الكهف/٢٩]، والإسلام يريد إتاحة الفرصة المتكافئة للناس، كي ينظروا ويختاروا فلا يقسر الناس على مذهب معين قسراً، ولا تقام الحواجز والعقبات أمام دعوته ورسالته وما قاتل إلا من أجل أن يخلي بين الناس وبين ما يعتقدون، على أساس الحرية والاختيار فكانت حروبه حروب تحرير للبشر من طواغيتهم ومستبديهم، ولم يحدث في تاريخه أن أكره أحداً أو أجبر قوماً كما حدث في تاريخ الصليبيين والشيوعيين.

أما الكنيسة فقد استباحت دماء الناس وحرماتهم في شمال أوروبا لتحملهم على الدخول في المسيحية، وباعت صكوك الغفران لتزيد من ثروتها، وفي الأندلس ارتكبت ما تقشعر لهوله الأبدان من تقتيل وتحريق للمسلمين واقتلاعهم إلى شمال أفريقيا، حتى مكتبات العلم لم تنج من هذا الشر المستطير.

أما الشيوعية فقد مدت طوفانها الأحمر على المسلمين من القوقاز وأزبكستان وشبه جزيرة القرم ، وهم حوالي الخمسين مليوناً ، فمنعتهم من شعائر دينهم وحرمتهم مدارسهم، وما حدث في روسيا للمسلمين حدث في الصين وبلغاريا وألبانيا..

أما الإسلام فقد دخل بيت المقدس، فصان



للنصارى كل شيء، وكتب لهم الخليفة العظيم — عمر بن الخطاب - أماناً وعهداً يؤمنهم فيه على أموالهم وكنائسهم، وأبى أن يصلي في كنيستهم خشية أن يتخذها المسلمون من بعده مصلى، ويقولون: صلى فيها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

ودخل عمرو بن العاص مصر - فعسكر خارج المدينة، وأبى على نفسه وجيشه أن يخدش أي حق من حقوق القبط، بل كان

> قد قرر الإسلام حرية الرأي احتراماً منه لهذا الحق الفطري الأصيل

دخوله تحريراً لهم من ظلم الرومان وجبروتهم.

وتخرج الوصايا لقادة الجيوش: «... لا تخونوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ولا شيخاً... وستمرون على قوم بالصوامع فرغوا أنفسهم للعبادة فاتركوهم وما هم فيه..»

وينزل القرآن الكريم:

﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون..﴾ [الممتحنة/٨ — ٩]. صدق الله العظيم

ويأمر القرآن المسلمين أن يدعوا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة:

﴿... ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة

الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن..﴾ [النحل/١٢٥].

ويوصي أن يكون الجدال عفاً نزيهاً بالأسلوب المقنع الذي يبتعد عن اللجاجة والتهجم فيقول سبحانه:

﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ [العنكبوت/٤٦].

وقال جل جلاله:

﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾ [الأنعام/١٠٨].

هذه هي حرية العقيدة كما رسمها وطبقها الإسلام.

ثالثاً: حرية الرأي:

من أجلّ نعم الله على الإنسان أن جعله مبيناً على نفسه، وعما يدور في فكره، وأعطاه القدرة على تصور ما يدور حوله، ثم الحكم عليه بما يحصل له من خبراته وتجاربه قال تعالى:

﴿.. الرحمن. علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان..﴾ [الرحمن/١ ـ ٤].

وقد قرر الإسلام حرية الرأي احتراماً منه لهذا الحق الفطري الأصيل وسبيلاً إلى استخدام ما أنعم الله على الإنسان من نعمة الإدراك والبيان، وسياجاً يتحقق به تعاون المؤمنين على البر والتقوى، وطريقاً فاضلاً لبلوغ المجتمع الإسلامي ما يريد من إخاء ومساواة وأمن وحرية وعدالة واستقرار وفوز برضاء الله عز وجل في الدنيا والآخرة.

وقد ضمن الإسلام حرية الرأي من خلال ما يلي:

١ ـ حق إبداء الرأي، وجعله واجباً من واجبات الأمة. فقد فضل الله هذه الأمة وميزها على غيرها من الأمم بقيامها بالشهادة على الناس وأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وأمورهم شورى بينهم.

قال تعالى:

﴿.. وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾ [البقرة/١٤٣].

وقال سبحانه:

﴿.. كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ [البقرة/١١٠].

هذا تقرير لحق إبداء الرأي، والدعوة إلى المعروف والنهي عن المنكر.. وهذا الحق هو لعامة المسلمين.. كلهم في هذا الحق سواء... تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم.

والكلمة الحرة ـ هي عنوان حرية الرأي ـ لها في ميزان الإسلام خطرها وقداستها، لذا فعلى المسلم أن يراعي تلك الأوصاف الكريمة التي وردت في الآية الكريمة التالية قال تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً. يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ [الأحزاب/٧١].

والقول السديد الذي يصلح الله به الأعمال ويغفر به الذنوب يكون بالآتي:

أ ـ أن يكون كلاماً بعيداً عن الفحش والخنا، متجنباً مستهجن الألفاظ وقبح العبارات، معبراً عن نقاء المسلم ونظافته.

ب ـ أن يكون الكلام مطابقاً للحقيقة صادقاً متثبتاً منه، بعيداً عن الظن والوهن وأن يتحرى المسلم بكلامه الحق لا يحابي منه ولا يماري يؤديه للقريب والبعيد والعدو والصديق متقياً الله فيما يقول.

٢ ـ الأمر الثاني في ضمان الإسلام لحرية الرأي هو أنه جعله حق لا يعتمد على إذن سلطان ولا يقيده إلا مبادىء الأخلاق وآداب الإسلام، وهذا الحق، لا حق لأحد ـ مهما علت درجته في المجتمع ـ أن يصادره ـ أو يقيده أو يدعي لنفسه الصلاحية فينتج لشيعته ويمنع غيره. فكل المسلمين في هذا الحق سواء تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم. فهو حق مقدس لا يضاربه صاحبه ولا يلحقه أي عنت أو أذى، فيه تكفل الحقوق، ويستبان به وجه العدل. وهو حق أصيل لا يتخلى عنه المسلم لرغب أو رهب قال تعالى:

﴿... لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه..﴾ [المائدة/٧١ ـ ٧٩].

٣ ـ الأمر الثالث أن يتعاطى المسلم هذا الحق ويمارسه إلى آخر مدى ولو كان في ذلك حتفه ومنيته قال عليه الصلاة و السلام: «.. أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر..»، وفي رواية أخرى «... سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب ورجل قام إلى إمام جائر فنهاه فقتله..»..

> الكلمة الحرة ـ هي عنوان حرية الرأي ـ لها في ميزان الإسلام خطرها وقداستها

ثمار حرية الرأي

١ ـ الثقة بين أفراد الأمة ببعضهم بعضاً ـ وبين الحاكم والمحكوم، والقوي والضعيف، والعالم والجاهل والصغير والكبير، فإن الوضوح يقتل الخفاء والمصارحة تقضي على الدس والوقيعة، والصدق يعمر القلوب بالألفة والمحبة.

٢ ـ قوة بناء الأمة وتماسكها.. فإن احتكاك الآراء وتعاون الناس يجعل بعضهم قريباً إلى بعض يتشاورون ويتناصحون، وهذا يزيد من تماسكهم أما الخوف والكبت فسبيل إلى الشك والريبة.

٣ ـ رقي الأمة وتقدمها، فإن حرية الرأي تثمر أنضج الأفكار وأصلح الآراء، فلا تقدم الأمة على أمر إلا وتكون قد عرفت فوائده، ومضاره واستأنست فيه بكل رأي سديد.

فتمضي والثقة تحدوها، وعواطف الناس وأفكارهم وطاقتهم مجتمعة على العمل والتنفيذ.... فينتج من ذلك تعاون الحاكم والمحكوم لنهوض الأمة والمجتمع.

المراجع:

ـ الثقافة الإسلامية: د. صالح الهندي.

ـ معالم الشريعة: أحمد حسن الباقوري.

ـ الحضارة الإسلامية: د. محمد أبو ريدة.

ـ في فلسفة الحضارة الإسلامية: د. عفت الشرقاوي.

ـ بُنية الفكر الديني، عادل العوا.

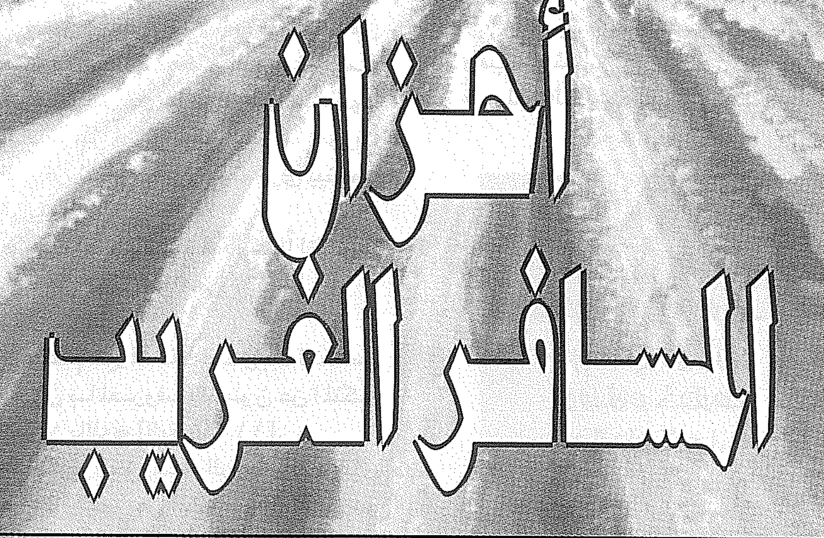
ـ العلم والثقافة الإنسانية: د. عبدالكريم اليافي. ■

المصادر:

القرآن الكريم والسنة النبوية كما أوردها الصحيحان: صحيح مسلم وصحيح البخاري.

قصة قصيرة

أحزان المسافر الغريب



بقلم ـ عبدالستار خليف

* في غرفة الإنعاش..

لأول مرة في حياتي، ادخل غرفة العناية المركزة، لزيارة صديق لي منذ أيام الدراسة. الأيام الخوالي الطيبة.

دخلت الغرفة لرؤيته، حتى تقر عيني وتهدأ نفسي ويستريح بالي، يكفي أن أراه أمام عيني مازال ينبض ويتنفس ويزاول حياته من خلال غرفة الإنعاش.

قال لي مرافقي الذي قادني إلى هذه الغرفة، وهو يقف أمام الباب المغلق دائما:

ـ انصحك ألا تدخل، ولا تراه الآن. ستتألم كثيراً، فلقد حدثني عن عمق الصداقة بينكما..

توقفت للحظات قبل الولوج إلى ذلك المكان المحاط بالغموض والأسرار والرهبة من الحقيقة الأبدية لا مفر منها!! وأحسست برجفة خفيفة. سألته.

ـ هل سمحوا لك برؤيته؟

أجاب:

ـ نعم..

صمت ثم استطرد:

ـ وليتني مارأيته على هذه الحال..

سرت في الصالة المستطيلة الهادئة شبه الناعسة، لا أصوات، لا حركة، سوى ممرضة ترتدي الرداء الأزرق تغدو وتروح كالفراشة وعلى اليمين لاحظت طبيبا شابا يجلس على طرف غرفة كبيرة شبه مفتوحة، يتطلع إلى النائمين على الأسرة من وراء منظاره السميك. الغرفة تكتظ بالأجهزة الدقيقة، عدد قليل من المرضى على الأسرة، بلا حراك، لايوجد شيء يدل على أن الحياة تدب في أبدانهم سوى ما ترصده هذه الأجهزة الحديثة.

لحظات قليلة جدا توقفت أمام رفيق الدراسة.. سنوات طويلة، تمزق، الأيام تتراجع إلى الوراء، شريط طويل من الذكريات، الآن ينام هادئا، الأنابيب تمتد من أنفه وفيه ويديه وساقيه وفوق صدره، حركات الأجهزة لا تتوقف، الألوان الحمراء والخضراء والزرقاء تتبدل وتتغير، تذكرت فيلم «الغيبوبة».

في سنوات الدراسة كان يقود جماعة الكشافة في المدرسة، يقيم المعسكرات، ينظم الرحلات إلى الأماكن النائية يشارك في المؤتمرات، يعد الدراسات للحصول على «الشارة الخشبية». كنت أتعلم منه وانصت إليه، أريد أن أطوف العالم بطريقته، أن أسير على دربه، كان قدوة للجميع في صفات الكشاف ومثالا يحتذى.

في المعسكرات الدولية أجده يقيم الخيام ويشيد الأبراج ويلقي المحاضرات ويتعامل مع الجميع بحب وعطف ومودة، مواقف كثيرة لا حصر لها، تعود إلى الذاكرة في هذه اللحظات القصار، لا أستطيع حصرها، لأن كل موقف منها أظهر الانسان وما بداخله.

بعد أن وقفت بجواره لحظات قصيرة، خرجت. سألت مرافقي عن المدة التي يستغرقها على هذا الحال، أجاب في حيرة:

ـ لا أدري..

سألت:

ـ وماذا قال الطبيب؟!

أجاب بحزن:

ـ هذا المرض اللعين، استشرى في الداخل، وقد قام الأطباء باستئصال أجزاء كبيرة..

عندما صمت، سألته في خوف:

ـ هل هناك أمل؟!

أجاب بقناعة كبيرة:

ـ سبحان من يحي العظام وهي رميم..

وخرجت، وأنا أهرب، أهرب من أشياء كثيرة، حتى لا تتغير الصورة التي ارتسمت في ذهني، حتى لا أفقد جزءا عزيزا غاليا من أيامي الماضية الطيبة. وتذكرت عبارة قالها أحد الفلاسفة المعاصرين؟ «أيها الانسان.. ما أضيعك»!!

***

* مناجاة..

ها قد هرعت إليك من أقاصي الممالك البعيدة، لأكون بجوارك في محنتك. ألملم ذكرياتي وأجمع شتات أفكاري المبعثرة على أرصفة الموانئ هنا وهناك، بين ماضى وما هو الآن، والأيام القادمة

وعما ستتمخض عنه من وقائع وأحداث.
عندما وصلني النبأ قررت أن أطير إليك لأكون بجوارك، أشد على يدك، أوقظ العزيمة القوية التي في أعماقك، أنبش عن الارادة الصلبة التي لا تلين، التي لازمتك طوال مسيرة هذه الحرب الضروس في معترك الحياة القاسية.
وجدتك تحمل كنزا كبيرا من حب الناس والتفاف اخوانك حولك في محنتك التي ستزول إن شاء الله. دعوت لك في كل وقت، في صحوي وأكلي وشربي، وأوقات راحتي القليلة. دعوات كثيرة بالشفاء وبأن تعود سالما غانما لأولادك ولي.
وضعت يدي على يدك، وهمست في أذنك لعلك تسمعني سيصلك كل ما بداخلي إلى قلبك وليس عقلك، فأنت في حالة لا تسمح بأن تفكر أو تحاور بل تصغي وتنصت، حالة من الوعي واللاوعي، من الادراك بالمشاعر والأحاسيس، لأن العقل في شبه «غيبوبة» استمرت أكثر من خمسة عشر يوماً وأنت على هذه الحال!!
أنا على قناعة تامة بأنك تسمعني وليتك تجاوبني...
وقفت الآلات والأجهزة الحديثة حائلا بين حوار العقل والمنطق، لكن خفقات القلب لم تتوقف، مازالت تنبض في عروقك وتصل إلى عروقي أحس بك وأنت على هذه الحال، لكنني على ثقة بأنك سوف تهب من رقدتك هذه قويا كالجواد لنواصل معا رحلة الحياة، هذه الرحلة التي اشتركنا فيها منذ سنوات وكانت نتائجها البنين والبنات وها قد وصلوا إلى مراحل عالية من العلم بفضلك، أعرف أنك ضحيت بكل شيء في سبيلهم، قدمت العرق والجهد والوقت وخشيت على مستقبلهم من الضياع وفضلت أن تتألم في صمت وأنت بعيدا عنهم وعنا وأنت قانع وراض بأن التضحيات لن تذهب سدى، وأن هذه الرقدة هي الزاد لهم في الأيام القادمة، هي الأبوة الصادقة المعبرة عن أغلى المشاعر الانسانية في الحب والبذل والفداء من أجل الأبناء.
وكما عهدتني فأنا قوية استمد قوتي من قوتك، وأنت الآن الجواد المكبل بالجراح، ينتظر فك قيوده لينطلق طائرا محلقا في عالم من الأحلام والرؤى والشفافية بفضل صفاء روحك ونقاء سريرتك.

***

كان الجواد الجاثم على فراش المرض في حالة من اللاوعي أشبه بالغيبوبة تتساقط دموعه في صمت إثر لمسة حنان من شريكة رحلة الأيام، الواقفة إلى جواره في حالة مناجاة للقلب الحزين.

***

* الحلم..
قل دون سابق مقدمات:
- كأنني كنت أحلم!!
سألته:
- والآن؟
أجاب بعد أن ابتلع ريقه:
- عدت إلى الواقع.
سألته بشغف:
- وما الفرق بين الحلم والواقع، بعد هذه التجربة المريرة التي عايشتها طوال الفترة السابقة؟
صمت محدثي برهة مفكرا، وعيناي تدور في أنحاء المكان على الأسرة البيضاء، ثم استقرتا أخيرا على وجهه الذابل، قال:
- طوال الفترة التي قضيتها في الحلم كنت أحس بأنني في الواقع أعيش حياتي كما هي أزاول نشاطي اليومي وأمارس ما تعودت عليه كل يوم.
كان صوت محدثي صادرا من الأعماق الداخلية، تنفس بعمق وواصل حديثه:
- كانت الأصوات تأتي من بعيد، من عالم هلامي، شفاف اتحرك فيه بسهولة ويسر كأنما أطير ولم أشعر بأطرافي كأن لا فائدة لهما في حياتي فجسمي خفيف يطير عندما أريد الحركة، الأقدام تلاشت من كل البشر، وكنت واحدا منهم، أحسست بأن هذا الشيء عادي لا يلفت النظر، أن يسير الانسان في حياته اليومية بلا ساقين فالجسم صار كالبخار الصاعد من الإناء الساخن، والبشر في حركة دؤوبة ونشاط منقطع النظير والأصوات كانت تصدر من بئر سحيق والصمت هو سمة الجميع، الحياة بلاساقين كانت أكثر سهولة ومرونة، حتى الرقص كان يبدو رائعا، الحياة في الحلم تبدو رائعة، لأنها بلاعوائق بلاأثقال بلاأحمال بلاساقين، تسير وتتحرك وتطير وترقص مثلما يفعل بقية البشر الذين معك في الحلم..
سألته:
- ألم تشعر بالألم؟!
قال وعلى وجه ابتسامة:
- اطلاقا. كنت أعيش حياة عادية لا تختلف عن الحياة التي نحياها الآن، فالساقان أصبحا عقبة في عالم الأحلام وحتى تصبح مثلهم عليك أن تمكث معهم بلاساقين والمكوث طوال أسبوعين أو يزيد في عالم من الأحلام الهلامية شيء مألوف وطبيعي ولن تكون مكبلا بالقيود والسير على الأرض بل دخان يتحرك في الهواء وصدى أصوات، صمت مطبق بلاحوار وكأنما العالم أصبح يرقص بلاساقين وفي صمت تام!!.
سألته عندما توقف عن الحديث: والآن عندما عدت إلى الواقع، خبرني..
ابتسم قائلا: الآن كأنني في حلم!! نعم أحس بأنني أعيش الحلم، وأن ما مضى كان واقعا، فنحن نعيش الحلم وهو واقع ونعيش الواقع وهو حلم..
تنهد بمرارة وقال كأنما يحدث نفسه: الحياة حلم طويل الأمد، متى انتهى هذا الحلم استيقظنا وشعرنا بالمتاعب والهموم والأثقال. والسير على الساقين، أعتقد أنه أساس المشاكل في هذا العصر!! ■

الغربة في شعر عمر بهاء الدين الأميري

(١ - ٢)

شعر الاغتراب لون واضح القسمات في أدبنا العربي مثل شعر الغزل وشعر المديح وشعر الفخر، بل لعله يتميز بملامح قلما تكاملت في لون من الألوان الأخرى(١).

ولا يختلف اثنان في أنه أصدق ألوان الشعر تعبيرا عن لواعج النفس بسبب الفراق والحنين إلى الأهل والأوطان ومدارج الصبا ومراتع الشباب، ومصدر كل أولئك - كما قال الجاحظ - (توقد النار في الأكباد)(٢).

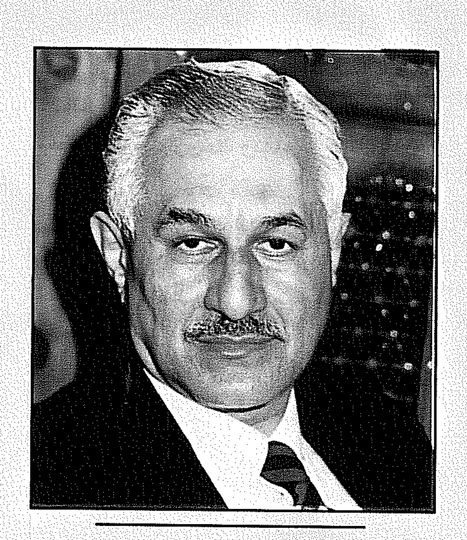
ويقول الجاحظ: ووجدنا من العرب من كان أشرف في نفسه، وأفخر في حسبه، ومن العجم من كان أطيب عنصرا، وأنفس جوهراً أو أشد حنينا إلى وطنه، ونزاعا إلى تربته، وكانت الملوك على قديم الدهر لا تؤثر على أوطانها شيئاً(٣).

والإحساس بالغربة يكاد ينحصر — كما يقول ماهر حسن فهمي — في الهارب، والأسير، والمهاجر(٤). ونماذج الغربة في ديوان الشعر العربي - قديمه وحديثه - أكثر من أن تحصى، ومنها روميات أبي فراس، وسرنديبيات البارودي، وأندلسيات شوقي.

ويكثر شعر الغربة في ديوان المتنبي في فترة السنوات الثماني التي ترك فيها سيف الدولة(٥).

ومن المكثرين في شعر الغربة شاعر الأندلس الكبير ابن زيدون، وكثير منه في الحنين إلى «قرطبة» وإلى حبيبته: ولادة بنت المستكفي بعد أن هرب من سجنه بمفهومها اللغوي فيقال: أغرب الرجل: صار غريبا، والغربة والغرب والاغتراب والتغرب: النزوح عن الوطن(٧).

وإذا كان هذا هو (المفهوم المادي) للغربة



بقلم الدكتور : جابر قميحة

فهناك الأرقى والأسمى وهو (الغربة الروحية) التي يستشعرها الإنسان حتى وهو في وطنه وبين أهله، وغالبا ما نجد هذا الشعور عند أصحاب المبادىء والمثاليات الذين يرفضون كثيرا من الأوضاع الاجتماعية والسياسية في أوطانهم، ونجد هذا اللون - على نطاق واسع عند المتصوفة

> شعر الاغتراب أصدق ألوان الشعر تعبيرا عن لواعج النفس

(فالزاهد أو المتصوف غريب في عصره، غريب بعزلته وتفكيره، غريب بروحه التي تبغي الانعتاق، غريب أيضا بحبه السماوي مثلما نرى عند رابعة العدوية(٨).

وفي العصر الحديث يهاجر كثير من المفكرين والأدباء والشعراء بسبب المظالم الاجتماعية والسياسية، وتأخذ النكبات والهزائم المتتالية بخناق الوطن العربي، ويفجر الشاعر العربي في حضارة الغرب وطوابعها المادية الخادعة، فيأخذه الشعور الحاد بالغربة النفسية التي تشبه إلى حد كبير غربة المتصوفة، مع تعدد الأشكال والمناحي الفنية والتعبيرية في التعبير عن حالات هذه الغربة. مما يحتاج إلى دراسة بل دراسات مستقلة.

وفي الصفحات التالية نقدم دراسة موجزة تتحدث عن (الغربة في شعر عمر بهاء الدين الأميري)

- وقد صدرت هذه الدراسة بصفحة تقدم خطوطا برقية سريعة عن حياة الشاعر كان يقدمها دائما في كل ديوان من دواوينه أو كتاب من كتبه. فليس في المكتبة العربية - للأسف - كتاب واحد يفصل حياة الشاعر في مراحلها المختلفة واتجاهات الفكرية والسياسية وطبيعة مواقفه مع رجال الحكم والساسة والمفكرين في وطنه، وفي خارج وطنه(٩).

— وكان الجزء الأول من هذه الدراسة عن: مضمون قصيدة الغربة واتجاهاتها وأنواعها وتطورها عند الأميري.

- وجاء الجزء الثاني كوقفة نقدية تبين عن أهم ملامحه الفكرية والفنية والأسلوبية في شعر الغربة.

ــ وكانت الخاتمة: خلاصة مقطرة عن: الجديد في شعر الغربة عند الأميري.
ولا شك أن شخصية الأميري بجوانبها المتعددة لعشرات من الدراسات الطويلة نأمل أن نراها في المكتبة العربية عن قريب إن شاء الله.

الشاعر: خطوط الحياة ١٣٣٦-١٤١٣

- ولد الشاعر عام١٣٢٦هـ في أسرة من كرائم الأسر الحلبية فوالده هو محمد بهاء الدين الأميري نائب حلب في (مجلس المبعوثان العثماني) وأمه هي سامية الجندية) ابنة حسن رضا، رئيس محكمة الاستئناف في حلب.
ــ ولد وأتم دراسته الثانوية (في الآداب والفلسفة في حلب).
ــ درس علوم الاجتماع والنفس والأخلاق والتاريخ والحضارة في حلب ودمشق، وتولى إدارة المعهد العربي الإسلامي في دمشق.
- أسهم في انطلاقة العمل الإسلامي العمل الإسلامي المعاصر، واتصل بكثير من مراكزه، وتولى بعض مسؤولياته.
ــ شارك في الدفاع عن (القدس) مع جيش الإنقاذ خلال حرب فلسطين عام (١٣٧٩هـ-١٩٤٨م).
ــ مثَّل سورية وزيرا وسفيرا في باكستان والسعودية، وكان سفيرا في وزارة الخارجية السورية.
- أسهم في تأسيس حرية (سورية الحرة)، وكان رئيس الجانب السياسي فيها عام (١٩٨٤هـ-١٩٥٣م).
- اهتم بقضايا الثقافة والسياسة والجهاد في أوطان العروبة والإسلام، واشترك في العديد من مؤتمراتها ومواسمها، واتصل بكبار علمائها ورجالاتها ومؤسساتها.
- دُعي إلى المغرب عام١٩٨٦ أستاذا لكرسي «الإسلام والتيارات المعاصرة» في دار الحديث الحسنية بالرباط (الدراسات العليا للدبلوم، والدكتوراة بجامعة القرويين في المغرب). واستمر خمسة عشر عاما يدرس الحضارة الإسلامية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة محمد الخامس.
ــ دُعِيَ أستاذا زائرا ومحاضرا في جامعات: الرياض، والإمام محمد بن سعود الإسلامية، والملك فيصل، والملك عبدالعزيز في السعودية، وجامعة الأزهر والجزائر والكويت وصنعاء وقطر، والجامعة الأردنية في عمان وجامعة الإمارات العربية في العين، وعدد من الجامعات الإسلامية في باكستان وتركيا وأندونيسيا.
ــ عمل عضـواً في أسرتي المجمع العلمي العراقي، والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) في الأردن.- طبع له أكثر من عشرين ديوانا وكتابا، وقد ترك ما يزيد عن ذلك مخطوطات. وترجمت بعض قصائده إلى لغات بلاد إسلامية وأجنبية.
- يتكلم التركية والأوردية والفرنسية، ويلم بلغات أخرى.
- اشتد عليه المرض، إلى أن فاضت روحه إلى بارئها في مدينة الرياض بالملكة العربية السعودية (سنة ١٤١٣-١٩٩٢م).(١٠)

قصيدة الغربة عند الأميري مفهومها وتطورها

تلتقي قصائد الغربة عند المرحوم الأميري - على اختلاف أنواعها ــ في ملامح مشتركة تتلخص فيما يأتي:
١- انطلاقها في أغلبها ــ من بلاد غير موطن الشاعر: مثل لبنان والمغرب والجزائر وباكستان والسعودية واليمن.. وهي البلاد التي قضى الشاعر فيها أغلب عمره الشعري.
٢- تصويرها لواعج النفس وأساها بسبب الفراق، أو لوضع سياسي أو اجتماعي مؤسف.

> شارك الأميري في الدفاع عن القدس مع جيش الإنقاذ خلال حرب فلسطين

٣- صدق الانفعال وتوهج الشعور وخصوصا في أوقات الأزمات النفسية الخاصة أو النكبات التي تنزل بالأمة الإسلامية.
٤- الحس الديني المتدفق، فلا تكاد قصيدة من قصائد الغربة تخلو من بصمات الدين ومشاعر الإيمان.
٥- انتهاء القصيدة عنده غالبا يكون بالنظرة الآملة الطامحة.

***

ولكن مظاهر التلاقي هذه لها طابع فني خاص فهي لا تنفي وجود ملامح فارقة بين قصائد الغربة في المضامين الفكرية والموضوعية والطوابع الفنية على مدار عمر شعري استغرق أكثر من نصف قرن.
وفي طريقنا إلى التعامل مع هذا النوع من الشعر اصطدمنا بإشكالية صعبة في التحديد الكمي والنوعي لشعر الغربة عند الشاعر، وكان لابد أن نقف أمام عدة فرضيات أو اختيارات، وبتعبير أدق: عدة معروضات للاختيار تتلخص فيما يأتي:
المعروض الأول: شعر الغربة هو كل الشعر الذي جادت به قريحة الشاعر في مغتربه، أي منفاه الاختياري أو الإجباري أيا كان الموضوع الذي يتناوله. ويمكن أن نطلق على هذا المعروض المفهوم الكائن لشعر الغربة - حيث الاعتبار الأول للمكان لا المضمون - أو المفهوم الحسي الشامل.
المعروض الثاني: شعر الغربة هو المفهوم المكاني السابق ولكن لا يصدق إلا على ما انعكست فيه معاني الغربة بآلامها وآمالها، وماتبعثه من حنين وأشواق.
وهذا أيضا مفهوم مادي أو حسي لشعر الغربة، ولكنه أكثر تحديدا وانكماشا لأنه لا يفرد المكان بالاعتبار، بل يشرك معه المضمون، وكل زيادة في المفهوم يترتب عليها نقص في «الماصدق» - كما يقول المناطقة:
فالمعروض الأول والثاني يشتركان في أن «المكانية» هي الأساس، فلا يعد من شعر الغربة إلا ما نظم في أرض غير أرض الوطن.
ولكنهما يختلفان اختلافا كميا ونوعيا: فالمعروض الأول يتسع لكل شعر ولد في المغترب أياكان لونه ومضمونه الفكري، فيدخل فيه الغزل والمدح والهجاء والأجناس الشعرية الموضوعية مثل الملامح والقصص

الشعري والمسرحيات الشعرية..الخ.
أما المعروض الثاني فيخرج كل أولئك ولا يبقى إلا ما عالج مسائل الاغتراب ومشاعره.
ولاشك أن المعروض الثاني هو الأقرب إلى روح الفن والواقع النفسي دون تشتيت أو توسيع لا لزوم له.
المعروض الثالث: شعر الغربة بمفهومه الفلسفي الإنساني الرحب، وهو يعني كل شعر عبر عن شعور الاغتراب بآماله وآلامه وتطلعاته وقيمه حتى لو كان الشاعر في وطنه وبين أهله، ولعله هو ماقصده ابن الرومي في قوله:
أعاذك أنس المجد من كل وحشة ... فإنك في هذا الأنام غريب
وإذا كان للمكان اعتبار محوري في المعروضين الأول والثاني فإنه في المعرض الثالث لا قيمة المعروض له، فرقعة الغربة تتسع حتى تشمل الأرض كلها يشبه ابن الرومي في شعر الغربة. وتتسع جماعة الأشخاص الذين يتعامل معهم الشاعر، ويسمعهم صوته حتى تشمل الناس جميعا. كأنه لا وطن بمفهومه الجغرافي المحدد المتمثل في رقعة معروفة من الأرض. ولا وطن بمفهومه الاجتماعي الحاد المتمثل في جماعة لها جنسية معينة.
وغالبا ما نجد هذا اللون فيما نسميه بشعر السجون: إذا ما تعرض الشاعر لمحنة السجن الحقيقي داخل وطنه ولو لم يوضع في السجن بمفهومه المادي، فالوطن في نظره صار سجنا كبيرا، والقائمون على أمره سجانون جبابرة، وهو وأمثاله من الأحرار «غرباء» في وطنهم، وهذا الشعور هو ما يعنى به الغربة الروحية.(١١)
وتثير هذه الإشكالية الرئيسة إشكالية فرعية تعتبر من مواليدها، ويمكن طرحها في شكل سؤال مؤداه هل قصيدة الغربة هي نفسها قصيدة الحنين؟ وبتعبير آخر: هل شعر الحنين مرادف لشعر الغربة ضربة لازب؟
الواقع يقول لا:
١- فقصيدة الحنين يكون محورها الأساسي التعبير عن الاشتياق للوطن أو الأهل أو معاهد الذكريات. أما قصيدة الغربة - وإن كان الحنين من مضامينها - فإنه لا يكون المضمون الوحيد دائما. ولا حتى المضمون المحوري، بل قد تخلو منه قصيدة الغربة تماما كما سنرى في بحثنا الموجز هذا.
وأكثر من ذلك قد تحمل قصيدة الغربة ما يناقض الحنين إلى الوطن. من زهادة فيه، ونقد مرٍّ لأهله والقائمين على أمره مع الشعور الحاد بالجفاء نحوه إلى درجة فقد الولاء والانتماء إليه.
٢- قصيدة الحنين غالبا ما تكون ذات خط مفرد يتمثل في الاشتياق للأهل والأرض ومواطن الذكريات، وهي بهذا المفهوم ضاربة في القدم، ونجد لها نماذج طيبة عند أبى فراس الحمداني والمتنبي وابن زيدون، ولها نماذج كثيرة عند شعراء المهاجر الشمالي والمهاجر الجنوبي(١٢) وهي لا تكاد تخرج في مضامينها الأساسية عن القصيدة التراثية القديمة.
أما قصيدة الغربة عند الأميري كما سنرى فتتجاوز هذا الخط الذاتي الخاص إلى رحاب اجتماعية وقومية وإنسانية واسعة المدى، رحبة الأرجاء، فهي ليست صوتا مفردا بل عدة أصوات رنانة قوية في صوت واحد.
وعودا إلى الإشكال الرئيسي الماثل بمعروضاته الثلاثة، نرى أن «طبيعة البحث العلمي» تلزمنا باستبعاد «المعروض الأول» وإلا كان علينا أن نضع في بوتقة الدراسة أغلب شعر الأميري الذي يتمثل فيما يزيد على خمسين ديوانا، أكثر من نصفها مازال مخطوطا...
ومن زاوية هذين المعروضين وارتباطا بالمسيرة الزمنية أو العمر الشعري للأميري - وهو يزيد على نصف قرن من الزمان - نرى أن قصيدة الغربة يمكن توزيعها على ثلاث مراحل زمنية متتابعة، كان لها في كل مرحلة «شخصيتها الفنية المتميزة» وملامحها وأبعادها الفارقة، مع الاعتراف طبعا بنقاط التلاقي التي ذكرناها آنفا:
ففي المرحلة الأولى: كانت قصيدة الغربة الحنين
وفي المرحلة الثانية: كانت قصيدة الغربة المزيج
وفي المرحلة الثالثة: كانت قصيدة الغربة الروحية
وكل أولئك يحتاج إلى تفصيل:

درس الأميري علوم الاجتماع والنفس والأخلاق والتاريخ والحضارة

أولا: قصيدة الغربة الحنين

وهي القصيدة التي يكون مضمونها الأساسي الحنين الخالص للأسرة أو بعض أفرادها، ونجد هذا اللون كثيراً في البدايات الشعرية للأميري. وفي دواوينه الثلاثة التي تحمل أغلب هذا اللون من القصائد:
الديوان الأول: ديوان: أمي
والثاني: ديوان: أب.
أما الثالث فديوان: رياحين الجنة.
وأهم هذه الدواوين الثلاثة وأغزرها مادة هو الديوان الأول. فقد انطلق حنين الشاعر وأشواقه في هذه القصائد إلى أمه وأبنائه وبناته وأحفاده. وكان حريصا على أن يضمن كل قصيدة أسماء من يحن إليهم وهوويصدر كل قصيدة بمقدمة نثرية تشرح ظروف نظمها بأسلوب منمق شاعري رائع، لا ينقصه إلا الوزن والقافية حتى يكون شعرا، كم أنه حريص على أن يسجل مكان نظم القصيدة وتاريخ نظمها.(١٣)
وأقدم القصائد نظما نجده في ديوان (أمي)، ومن هذه القصائد مامضى على نظمه قرابة ستين عاما كقصيدة (أريج الأم)(١٤) التي نظمها الشاعر، وهو في «حمانا» في لبنان سنة١٣٦٣هـ وفيها يقول:

أحن إلى أمي حنين متيم
مشوق جزوع مدنف كلف صب
وأهفو لأيام رضعنا بها المنى
وبتنا بظل الأنس جنباً إلى جنب
***
أدافع بالآمال آلام غربتي
وأبعد عن ذهني محاذرة الخطب
ويغلبني ضعفي وخوفي من الردي
وما في بنيات الزمان من الخب
فألجأ للقرآن في حومة الجوى

أداوي به دائي وأجعله طبي
واستودع الرحمن أمي وأسرتي
وأحيا ونفسي في حمى صونه الرحب
وأدعوه في غور الدجى متضرعا
أردد في سرى وجهري
«ياربي»(١٥)

***

وفي هذا الأفق: أفق قصيدة الغربة الحنين، نظم الشاعر قصيدة في حياته وهي قصيدة (أب) التي نظمها في «قرنايل» في لبنان سنة١٣٧٧، وقد ذكر الشاعر أنه:

«كان مع أطفاله وأسرته في مصيف قرنايل، وكانوا يملؤون حياته ضجة وحركة، ثم سافروا جميعا إلى بلده، وتلبث وحده، وقد أصمت كل شيء حوله، فنظمها في خلوته الشعرية(١٦).

ويكاد النقاد يجمعون على أن هذه القصيدة أرقى مانظم الشاعر في حياته، ويرى العقاد أنها إحدى روائع الشعر العالمي. والواقع أن اختيار قطوف منها يعد من أصعب الأمور على النفس لأنها ذات مستوى فني إنساني واحد بلا تفاوت وحرصا على الإيجاز أراني مضطرا إلى تقديم بعضها دون كلها:

أين الضجيج العذب والشغب
أين التدارس شابه اللعب
أين الطفولة في توقدها
أين الدمى في الأرض.. والكتب
أين التشاكس دونما غرض
أين التشاكي ماله سبب
أين التباكي والتضاحك في
وقت معا، والحزن والطرب
أين التسابق في مجاورتي
شغفا إذا أكلوا و إن شربوا
يتزاحمون على مجالستي
والقرب مني حيثما انقلبوا

***

إني أراهم حيثما اتجهت
عيني كأسراب القطا سربوا
بالأمس في «قرنايل» نزلوا
واليوم قد ضمتهم حلب
معى الذي كتمته جلدا
لما تباكوا عندما ركبوا
حتى إذا ساروا وقد نزعوا
من أضلعي قلبا بهم يجب

ألفيتني كالطفل عاطفة
فإذا به كلاغيث ينسكب
قد يهجب العذال من رجل
يبكي، ولو لم أبك فالعجب
هيهات ماكل البكا خور
إني وبي عزم الرجال أب

***

وربما كان اعتزازه بهذه القصيدة هو الذي دفعه بعد خمس سنوات (سنة ١٩٨٣) إلى أن ينظم وهو في وطنه سوريا قصيدة بعنوان (ريحانة الله) تدور في فلك قصيدة (أب) وعلى نفس بحرها السريع).

ولو ضمت القصيدة الثانية للأولى لكانتا قصيدة واحدة متكاملة بلاتنافر ولا تباعد، لأن القصيدة الأولى تصور شقاوة الأطفال «داخل» البيت. أما الثانية فتمثل «شقاوتهم» في لعبهم خارج البيت وفي جبل الأربعين الذي يقع فيه المنزل.

***

وإذا كان الشاعر يذكر الأحياء من الأهل والأبناء، ويفيض شعره بحبه لهم، فإن الوفاء لمن فارقوا الدنيا منهم لم يتخل عنه في غربته، حتى أنه ليشعر بانكسار اليتيم وهو في العقد السابع من عمره.

وأنا العقيم ـ أنا اليتيم. وما
أعتى وأقسى اليتيم في الكبر

***

إني غريب الدار.. ممتحن
بالعبء وحدي في مدى عمري
فأبي وأمي طاب خلدهما
مثوى. وفاض بنشره العطر
وشقيقتي رحلت مروزأة
بالبين ملء عيونها صوري
ذهبوا.. وغاب اللحن ينشدني
ويشدني حبا: أيا عمري(١٧)

> لاتكاد تخلو قصيدة من قصائد الاميري من بصمات الدين ومشاعر الايمان

ثانيا: قصيدة الغربة المزيج

وهي القصيدة التي تنبثق فيها ومنها أشواق الشاعر وآلامه ـ لا لاغترابه وبعده عن وطنه ومفارقته أهله وأسرته فحسب ـ ولكن لما نزل بالوطن الكبير من هزائم ونكبات، وماحاكه ويحيكه الأعدء للدين من مؤامرات، وما ينزل بالشعوب المسلمة من عدوان ومظالم قادتها وساوسها.

فهو في هذا اللون من قصائد الغربة ينطلق من الخاص إلى لعام، ومن المحدود إلى الرحب الواسع. ويكثر هذا اللون بصفة خاصة في العقد التاسع من القرن الرابع عشر الهجري، وتسوده موجة عاتية من الألم الحاد والانفعال الشديد:

وحيداً مع الذكرى وللهم زأرة...
صخوب يؤجّ الروع من أزلها ضرا..
ففي أسرتي ـ والشرق والغرب دارها
أفانين من لأواء ما يوقر الظهرا
وفي أمتي فتك التناحر دائب
ضروس إلى الخسران يأطرها أطرا
وفي بلدي ـ واجرح قلبي ومهجتي
على بلدي ـ غشم تفاقم واستشرى(١٨)

***

وكثيرا ماكان يغفل ذكر أسرته وأهله، ويفرد قصيدة الغربة لآلامه الحادة التي تستبد به، وتأخذ بخناقه، وتتركه في حالة يرثى لها بسبب مانزل بالأمة والدين فيقول في قصيدة (نجاوي سجينة).(١٩)

جلست، وفي الرأس من همَّة
النفوس الكبار نجاوى سجينة
أفكر في أمر ديني.. وقومي
وأدمع عينى حَرّى دفينة
وطرفي يرنو وراء المدى
وللحي أنوار كشف مبينة
وكنت من الهم في شردة
تلم برأسي طيوف حزينة
كأني ألمح في عاصفات
العباب تعتثر جرى السفينة
وألقى بنفسي حنانا عليها
لأوثقها بالحبال.. المتينة
فيرتد للصحو بي.. مفزعا
يطير بوجهي ـ حمام المدينة

فلاعجب أن يكون طعم الأشياء مرا في حلقه، فلا يفرح للمناسبات السعيدة التي يفرح لها

الناس:

ما العيد والقدس في الاغلال رازحة
والمسلمات سبيات.. لفساق(٢٠)

***

وكثير من قصائد هذا اللون انطلق به الشاعر بعد هزيمة١٩٦٧، تلك الهزيمة التي حطمت قلب كل مؤمن، ومازلنا نعاني مانعاني من آثارها حتى الآن.

وفي العقد الأخير من القرن الرابع عشر نرى الشاعر «يذوب» أسرته في أمته ودينه، فشغلت هموم الأمة الإسلامية نفسه وقلبه عن الأسرة في محيطها الخاص، اللهم إلا ماكان من قصائد ومقطوعات يداعب بها أحفاده ضمنها ديوانه (رياحين الجنة)، وهي لا تحسب له في باب المداعبات الحانية الدافئة، أو نسميه أدب الأطفال.

ثالثا: قصيدة الرغبة الروحية

وفي هذا اللون من القصائد يرتد الشاعر إلى ذاته ليصبح إحساسه بالغربة هنا إحساسا نوريا يمتح من صفاء روحي موار، ويستظل بمقام فيه تنمحي الزمانية والمكانية.

ويكثر هذا اللون في العقد الأول من القرن الخامس عشر، وإن كنا لا نعدم نماذج له سابقة على هذا التاريخ(٢١).

وفي قصيدته (حلم بين صحوتين)(٢٢) نحس بنبرة الشاعر دامعة دامية، وهو يعبر عن حدة غربته بقوله:

واغربتي بين الدنا
أحيا المكابدة الأبية
وأنا رهين المشرقية
في الديار.. المغربية
وكأنني بين الصخور
لموج معتزلى.. رمية

ولا يجد الشاعر المسعف المنقذ هذه المرة في لقيا الأهل والابناء والأحفاد، ولكن في (التجلي) وتخليص الروح مما رانها والأثقال التي تهصرها هصرا:

أين التجلي يرتقي بى
في معارجه العلية؟
أين الصفاة لليلة
القدر المباركة الصفية
أين السعادة يا إلهي
في عوالمنا الشقية؟

فالمكابدة والشدائد والمحن وأثقال الهموم.. كل أولئك من أعباء الرسالة التي عليه أن يتحملها، ويؤدي أمانتها انطلاقا من أنه:

المسلم المستخلف الربان قطب رحى الوجود(٢٣)

ويأخذ معنى الغربة في نظره طابعا نورانيا حتى ترادف (القربة) على حد قوله، فيستشرف بغربته آفاقاً علا، ومعراجا نورانيا بعد أن تشرَّب قلبه حب الله في كل خالجة من خوالجه:

غربتي تحتد.. تمتد
فطر بى.. ثم طِرْ.. بى
للسموات.. وانس
غربتى الحرَّى.. بقرب
أدبى.. بأربى، ساء
وذنبي.. زاد ذنبي
فبخمر الحب تستقطر
من أعماق.. صب
ثملت ذاتي.. فناديتك
ناجيتك.. دأبى
طمعا بالحب،.. لا..
شكوى، ولا طائف عتب
ياحبيبي.. أنا.. عبد
ياحبيبي.. أنت ربى(٢٤)

***

ويرتفع الأميري مرة أخرى بمفهوم الغربة حتى يجعلها مردافة (للشهادة).

وللشهادة منزلة رفيعة معروفة عند الله:

فيا للمرز إجل المراد..
وعز ومازال يبغى مراده
وفي نفسه غربة لا تحول
لها جذوات أغصت فؤاده
وفي الدار بعد، وفي الروح وجد
وفي العين سهد أقضت مهادة
مراد جسيم، ورهط عقيم
وكرب مقيم، أليست شهادة؟

غالباً ما تنتهي القصيدة عند الأميري بالنظرة الآملة الطامحة

عبيدك رباه، هذا الأبى
إلى حكمك المحض ألقى قيادة(٢٥)

وهكذا وتنتهي قصائد الغربة الروحية بالحل.. أو لحظة التنوير التي تفرضها ثقة المؤمن بالله، وطمأنينته إليه فيلقى عصاه في رحاب خير مستعان، فيعوض بذلك عما وجد في الحياة والأحياء من مظالم ومنكرات، واستهانة بالقيم، وجحود بالمثل العليا.. فالغاية التي ينتهي عندها هذا الشاعر الغريب بقصائده هي الله، ووجهه وقلبه وكل جوارحه أصوات خاشعة عابدة تنادي:

ألا تجليت ياربى عليَّ.. بما يزيل همى.. ويحبو الروح إشراقا(٢٦)

***

وقضاء الله...
يمضى بى...
وأنا...
– بالله –
كالطود...
سهولي... وحزوني(٢٧)

***

يرى في الصلاة.. راحة عميقة.. وطمأنينة وسكينة، فهو يسبح حيران المنى ظامئا، يعد السير في دائرة مقفلة تأخذ بخناقه، وتملأ قلبه بالأحزان، ولكنه يتحامل على نفسه ويواصل السير:

في الغيهب.. في الغيهب في التيه لا
سرب ولا درب حزين الوله
سرى على غير هدى.. طائر
مهاجر لم يستبن.. طائر
أيقظني البلبل من سهوتي
وصاح به ديك.. وما أعقله:
قم لصلاة الفجر.. واغنم بها
سكينة النفس.. وحسن الصلة(٢٨)

ولعل الشاعر قد اهتدى إلى «الحياة المثلى» في زمن باكر من بداياته الشعرية.. لقد كثف صورة هذه الحياة في هذا البيت:

لا يهدأ المؤمن إلا إذا..
في كنف الله ابتنى موطنا(٢٩)

والبيت يعني في ظاهره أن المؤمن لن يجد السعادة الحقيقية إلا في جوار الله.. في العالم الآخر. وهذا لا خلاف عليه، ولكن البيت من ناحية أخرى يتسع لتفسير آخر، وهو أن المؤمن لا يحقق الهناءة والسعادة والاستقرار في دنياه، إلا إذا ابتنى موطنة الرباني. - أي دولته المسلمة التي تحوطها

رعاية الله. وقد نستأنس لهذا التفسير بما رآه الشاعر الأميري من تفتت المجتمعات الإسلامية، وبعدها عن منهاج الله.

***

ويرى الدكتور أسعد علي في مثل هذا الشعر أن الأميري «تأخر عن شعراء الجمال الروحي، أولئك الصوفيين الذين استغرقهم الذوق الجمالي، فنسوا ماديتهم، واستغرقهم الجمال العلوي كابن الفارض وجلال الدين الرومي، وسواهما.. لذين قاموا باختراق لجدران أصوات الحس، وانعتاق إلى مطلق، موجود غائب في آن معا، ظاهر وباطن في وقت واحد».(٣٠)

والحقيقة أن الناقد الأديب يطلب من عمر الأميري المستحيل ولو فعل ذلك لكان مجرد صدى لأصوات هؤلاء الشعراء، لأن صوفية عمر صوفية لا تنفصل عن الواقع.. والواقع هو واقع الأمة الإسلامية من ناحية، وواقع الإنسان المعاصر المضيع من ناحية أخرى، وهي قضية تلازمه دائما، وتطل برأسها كثيرا في سفور وجلاء، ولكنها في قصيدة الغربة الروحية ـ بصفة خاصة كانت قوة دافعة خافية صاغت الإحساس بالغربة ينسحب ويعتزل — ولكن يقوم بعملية إعلاء -Sub limation صاغت الإحساس بالغربة على نحو أسمى، ووجهت ذاته ومشاعره إلى الملأ الأعلى منشدا وناشدا إياه بعد أن خط بالأمة الإسلامية ماحط من رزايا ونكبات.

وعمر كثيرا ما يستخدم مصطلحات الصوفية كالوجد والعشق والمقام والفناء.. الخ، ولكن بعيدا عن الدلالة الاصطلاحية الحادة، هو يستخدمها بمفهومها اللغوي بعد أن يكسوها بشحنة روحية ديناميكية موحية، تضفي عليها الحركة والنبض والحياة من ناحية، وتربطها بالواقع المشهود والواقع النفسي والروحي المغيب ـ من ناحية أخرى. وهذا مظهر من مظاهره التجديد حسب له ويوضع في ميزانه الفكري والفني. ■

يتبع

المصادر والمراجع

أولا: دواوين الشاعر عمر الأميري

١- أب: دار الفتح: بيروت ١٩٧٣.
٢- أشواق وإشراق: دار القرآن الكريم. بيروت١٩٧٣.
٣- ألوان طيف: دار الفتح. بيروت١٩٧٥.
٤- أمي: دار الفتح. بيروت (د.ت)
٥- حجارة من سجيل: دار الثقافة. الدوحة. قطر١٤٠٩.
٦- رياحين الجنة: دار البشير. عمان١٩٩٠
٧- الزحف المقدس: دار الضياء. عمان. الأرب. ط(١)١٩٨٩.
٨- قلب ورب: دار القلم. دمشق. ط(١) ١٩٩٠.
٩- مع الله: دار الفتح. بيروت١٩٧١.
١٠- ملحمة الدين الخالد (مخطوطة نظمها في ربيع الآخر ١٤١١)
١١- نجاوي محمدية: المدينة المنور.١٤٠٧.

الكتب والدراسات:

١- الأدب الحديث بين عدالة الموضوعية وجناية التطرف: د. جابر قميحة: (الدار اللبنانية. القاهرة١٩٩٢).
٢- الأدب العربي في المهجر: د. حين جاد (دار قطرى بين الفجاءة. الدوحة. قطر١٩٨٥)
٣- أدب المهجر: عيسى الناعوري. (ط٣- دار المعارف بالقاهرة١٩٧٧).
٤- الحنين والغربة في الشعر العربي: د. ماهر حسن فهمي. (معهد الدراسات العربية. القاهرة ١٩٧٠)
٥- رسالة في الحنين إلى الأوطان: الجاحظ. (المطبعة السلفية. القاهرة١٣٥١).
٦- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق. المكتبة التجارية. القاهرة ١٩٦٢.
٧- عمر بهاء الدين الأميري: د. محمد على الهاشمي. (دار البشائر الإسلامية. بيروت ١٩٨٦).
٨- لسان العرب: ابن منظر المصري.
٩- المثل السائر: ابن الأثير. (دار النهضة المصرية. القاهرة١٩٥٢).
١٠- مرايا لسجايا: دراسة للدكتور أسعد علي. ملحقة بديوان مع الله للأميري.
١١- موسيقى الشعر: الدكتور إبراهيم أنيس. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة١٩٨١.

هوامش

١- ماهر حسن فهمي، الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث ٥ (معهد االبحوث والدراسات العربية ـ القاهرة١٩٧٠.
٢- الجاحظ: الحنين إلى الأوطان٤ (المطبعة السلفية. القاهرة١٣٥١).
٣- لجاحظ: السابق ٣٨.
٤- مرجعه السابق ٢٣.
٥- انظر مثلا قصيدته الميمية في العرف الطيب ١٧٥-١٧٩.
٦- أنظر أرجوزته البائية ص١٥، وقصيدته الحائية ص٢١ من ديوانه (دار صادر بيروت د.ت).
٧- لسان العرب.
٨- ماهر حسن فهمي: مرجعه السابق ١٠٨.
٩- في رسالة بعث إليّ بها الشاعر من الرياض في ٢٤ من رمضان ١٤٠٨ أن أحد الإخوة العراقيين وهو وليد على السامرائي كتب أطروحة بالانجليزية عنه وحصل بها على درجة الدكتوراه من جامعة ليدز Leeds بالملكة المتحدة. ولم أر في المكتبة العربية كتابا واحدا عن الشاعر إلا كتاب الدكتور محمد الهاشمي. وهو كتاب موجز غاية الإيجاز. كما أن الأخ الأستاذ خالد الحليبي يصنع حاليا اللمسات الأخيرة في أطروحة عن الأميري لنيل درجة الدكتوراه.
١٠- انظر الصفحة الأولى من ديوانه (قلب ورب).
وانظر: د. محمد علي الهاشمي: عمر بهاء الدين الأميري: شاعر الأبوة الحانية والبنوة البارة والفن الأصيل ١١-١٣ (دار البشائر الإسلامية. بيروت١٩٨٦).
١١- كما نرى في ديوان (في غيابه الجب) للشاعر المصري علي الفقي. وانظر جابر قميحة (الأدب الحديث بين عدالة الموضوعية وجناية التطرف) فصل: أدب السجون ١٩٥-٢٠٦).
١٢- انظر الدكتور عيسى الناعوري: أدب المهجر ٧٩-٧٨. والدكتور حسن جاد: الأدب العربي في المهجر ٣٨٠-٣٨٦.
١٣- لاشك أن تسجيل الشاعر لتاريخ نظم قصائده يساعد الباحث على معرفة التطور الفكري والفني للشاعر. ولكن تبقى صعوبة من نوع آخر ومصدرها أن الأميري يصنف قصائده في دواوين ـ لا على تاريخ نظمها. ولكن على أساس موضوعاتها فالديوان الواحد يضم قصائد الموضوع الواحد أو الموضوعات المتقاربة بصرف النظر عن تباعد نظمها زمنيا.
١٤- ديوان أمي٦٧.
١٥- كان حب الشاعر لأمه قويا فياضا. فكان شوقه إليها لا ينقطع، بل يستبد به حتى وهي قريبة منه كما نرى في قصيدة (في وحدتي) التي نظمها في جبل الأربعين بسوريا سنة١٣٧٨هـ (انظر ديوان أمي١٤٧).
١٦- نشر الشاعر هذه القصيدة في ديوانه (مع الله) ص. وديوانه (أب) ص٥٥. وديوان (ألوان طيف) ص٥٢. وديوانه (رياض الجنة) ص٢٥.
وهذا يدل على أن الشاعر كان يعتز بها اعتزازا خاصا.
١٧- ديوان: قلب ورب١٤١ (والقصيدة نظمها الشاعر في مكة في ٢ من ذي القعدة سنة١٤٠٨هـ.
١٨- نجاوى محمدية ٢٨٥: من قصيدة طويلة نظمها في هرهورة با لمغرب.
(الروع: القلب) الأزل: الشدة والضيق. اللأواء: الشدة.
يأطرها: يشدها. الغشم: الظلم).
١٩- السابق ٣٤ (وقد نظمها في المدينة في رمضان١٣٨٤).
٢٠- ديوان: أشواق وإشراق٢٣ (الرباط ١٣٩٢) طبعة دار القرآن الكريم بيروت ١٣٩٣-١٩٧٣.
٢١- مثل قصيدة «غربة الروح» التي نظمها سنة١٣٨٣: ألوان طيف ١٣٨٤.
٢٢- ديوان: الزحف المقدس١٠٣ (الرياض ـ ٢٧ من رمضان١٤٠٥).
٢٣- حجارة من سجيل٩٣ (صنعاء ١٤٠٨).
٢٤- قلب ورب ٢٧٨ (جدة في رمضان ١٤٠٩).
٢٥- الزحف المقدس ٧٩. وانظر كذلك الأخيرة من مطولته ملحمة الدين الخالد (مخطوطه) وهما من أواخر ما نظم في حياته (المغرب في ربيع الآخر١٤١١).
٢٦- ألوان طيف٣٨٧.
٢٧- قلب ورب ١٣٣ (المدينة: شوال٤٠٧).
٢٨- قلب ورب ٥٤ (الرباط ١٣٨٧-١٩٦٦).
٢٩- أمي ١٩٠.
٣٠- د. أسعد على مقال بعنوان «مرايا لسجايا». نشر في ملحق لديوان (مع الله) ,٢٥٣

لو تعقلون..!!

شعر
عبد الغني
أحمد ناجي

دنيا تئن، وعالمُ ... قد راعه هذا الأنين
بشر معنىً بالحروب ... يلفه ليل حزين
والموبقات المهلكات ... بغيها الشره اللعين
فالفطرة الحسناء ما ... عادت برونقها المصون
كالزهر شوه حسنه ... في روضة عفن وطين
كالطير أفسد شدوه ... في غصنه نشز الطنين
أوكالنسيم يصده ... عن سيره وهج الأتون
هو عالم نحيا به ... وكأننا بين المنون
والآهة والخرساء ليس ... لها بمسمعنا رنين
والعلة الكبرى ابتعاد ... العقل عن نهج ودين
نهج الإله سفيننا ... للشاطىء الرغد الأمين
فشراعه التوحيد لا ... شرك ولا رق يهين
كل الرقاب خضوعها ... لله رب العالمين
هو وحده المعبود والمحمود ... والدنيا تهون
من ثم لا إحن تمور ... ولا الصدور بها ظنون
فتألف ربط القلوب ... فلاحروب ولاجنون
ومواكب الانسان في الدنيا ... لها عذب اللحون
وعلى الثغور ترف أعذب ... بسمة كالياسمين
ومن الصدور شذا رضا ... هالات نور في العيون
هذي السعادة في الوجوه ... رياضها نهج ودين

فتفيئوا ظل السعادة ... فيهما، لو تعقلون
فبمنهج الاسلام ليس ... بغيره سعدا نكون

الصورة الأمريكية عن الإسلام

ترجمات

نشرت مجلة «لوس أنجليس تايمز» مقالاً بقلم «وليم باف» تضمن وصفاً تحليلياً لرؤية الأمريكيين حول الإسلام والمسلمين، ونظراً لأهمية المقال تقوم «الوعي الإسلامي» بنشره مترجماً إلى اللغة العربية ليستفيد منه قراء الوعي يقول المقال:

بدأ موسم الحملة الانتخابية للرئاسة الأمريكية والإرهاب يتصدر جدول أعمال السياسة الخارجية لواشنطن وحتى إذا لم يكن قضية فإن كلاً من الجمهوريين والديمقراطيين يتنافسون لتقديم أكبر التعهدات للقيام بعمل ما ضده.

هناك سخرية شديدة في الأمر، طالما أنه لا مكان إلا للقليل جداً من الممارسة العملية في هذا المجال باستثناء بعض الإجراءات الوقائية والأمنية البدهية والمقررة مسبقاً وإن كانت تغفل أحياناً.

والإرهاب في كل الأحوال انتقائي ومعروف بأنه غوغائي وبالنسبة للسياسة الأمريكية يكاد يكون الإرهاب دائماً إرهاباً إسلامياً فالقسم الأعظم من المشتغلين بالسياسة والفئة السياسية كان قد حدد الأصولية الإسلامية على أنها وريثة الشيوعية كخطر كوني يهدد استقرار النظام العالمي الجديد ومن هنا تأتي حملة واشنطن ضد أصولية إيران والسودان وليبيا كدول ترعى الإرهاب. فقد احضر الرئيس الأمريكي يوم الاثنين الماضي أسر الذين قتلوا نتيجة كارثة الرحلة ٨٠٠ لشركة تي دبليو ايه T W A ليشهدوا توقيعه على تشريع يفرض مقاطعة ثانوية على الشركات التي تتعامل مع هذه الدول وكأن صلة إيران بما حصل لهذه الطائرة مؤكدة.

لقد كان ذلك استغلالاً سياسياً لهذه المأساة، وهي حالة ديماغوجية من النوع الذي يدفع بهذا البلد إلى درجة أسوأ من الجهل. كي يفهم سبب وجود الأصولية في إيران، علينا أن نعرف لماذا يوجد أصولية في السعودية والبحرين وأفغانستان أيضاً، وأصولية الحكومة التركية وربما في الجزائر ذات يوم.

ونحن في حاجة إلى أن نفهم أن الإرهاب ليس أصولية دائماً لقد بدأ الإرهاب «الشرق أوسطي» المسيس ضمن الأوساط الفلسطينية المثقفة.

لابد من شيء من التاريخ فقد كانت الأمبراطورية العثمانية الإسلامية لاعباً رئيسياً في الشؤون العالمية خلال ستة قرون مضت ثم انهارت في الحرب العالمية الأولى.

وقبل العثمانيين، كانت الأمبراطورية العربية المتألقة، في عصرها الذهبي، تمتد من آسيا الوسطى عبر الشرق الأوسط وشمال أفريقيا حتى جنوب غرب فرنسا، وظلت تحكم معظم أسبانيا على مدى سبعة قرون، حتى العام ١٤٩٢م. كانت هذه الأمبراطورية تضم مجتمعاً أكثر تطوراً من المجتمع الأوروبي آنذاك. فقد نقل العرب الفلسفة الأغريقية الكلاسيكية والأدب إلى أوروبا



الغربية، إضافة إلى علومهم ورياضياتهم المتطورة.

فمع وجود مثل هذا الماضي المجيد، لن يكون من السهل تقبل المرارة والمهانة التي يشعر بها العالم الإسلامي هذه الأيام هذا ما يحس به الأشخاص العاديون بقدر ما يحس به الزعماء أخيراً كتب مثقف جزائري اسمه حامد شرفة قائلاً: اليتامى الذين فقدوا تاريخهم العظيم، الجماهير التي تحاول العودة لما أوجد ذلك التاريخ، ولتعقب تلك الخطى...

هذه الأصولية. الوهم الأصولي هو التفكير أن بالإمكان العودة إلى المجتمع القائم على الدين وإلى حكومة من طراز العصور الوسطى. إن وهمهم، كما يقول السيد شرفة يمثل «حالة من المرض الاجتماعي، حالة مرضية تؤدي إلى التطرف».

فبعد خروجهم من أسبانيا، تراجع العرب إلى نوع من العزلة الفكرية بعدئذ وفي القرن العشرين، جاء الاستعمار، وأصبح العرب محكومين لا حكاماً. ووجدوا أنفسهم مقسمين بين القوى الأوروبية. وبعد ذلك زرعت إسرائيل بالقوة مكان فلسطين العربية.

وحين نالت مصر والدول العربية استقلالها الكامل — مرة أخرى في الخمسينات، حاولت مواكبة الغرب من خلال اعتماد نموذج دكتاتورية الحزب الواحد «التقدمية» — وصارت شعبية نتيجة دعم الاتحاد السوفياتي للعرب.

لم يكن ذلك مفيداً. كما أن الحروب مع إسرائيل أدت إلى الهزائم وحرب الخليج سحقت العراق. أما النفط فقد كان الوحيد الذي منح بعض العرب تأثيراً عالمياً.

معظم البلدان الإسلامية لا تزال فقيرة ومتخلفة، خاضعة لهيمنة الغرب، الذي يتحكم بالتكنولوجيا والاقتصاد على مستوى العالم ولا تزال إسرائيل تحتل القدس، المدينة المقدسة عند المسلمين مثلما هي بالنسبة لليهود والمسيحيين. والولايات المتحدة لا تزال تدعم إسرائيل.

والآن جاءت الحرب في البوسنة، لتثير من جديد أسطورة الحملة التي يشنها الغرب المسيحي لإزالة آخر موقع متقدم للإسلام في أوروبا، ويتابع السفير البريطاني في المملكة العربية السعودية خلال حرب الخليج ألن مونرو قائلاً: «هذه ليست قناعة سطحية لقد كان مضمونها المقنع هو المادة الأساسية لصلوات الجمع في المساجد عبر العالم الإسلامي خلال السنوات الأربع الماضية، إن استيعاب كل ذلك، وفهم آلية وصول الحركة الأصولية إلى حالة اليأس لا يفيد في حل المشكلة التي يمثلها وجود الأصولية هذا أمر يفيد في إظهار الأصولية ليست مؤامرة ترعاها الدولة في مواجهة الغرب. وتبين أن قصف إيران أو ليبيا لن يكون مفيداً. إن العرب ضحية المأساة التاريخية الناتجة عن خمسة قرون من التراجع الثقافي والفكري. ونحن نتأثر بمأساتهم، التي لا تزال مستمرة. ما دامت لا الأصولية ولا الإرهاب قادرين على إيصال الشعوب الإسلامية إلى حيث تريد. فالأصولية لا تمتلك برنامجاً إيجابياً يتطلع إلى حكم دولة حديثة وبناء اقتصاد حديث وإيران بدأت تدرك ذلك. فهناك تذمر نظراً لإخفاقات حكومة رجال الدين وقد أشارت الانتخابات في إيران أخيراً وفي كل من مصر والأردن والجزائر إلى عدم الرضا تجاه الأصولية والعنف أيضاً.أن السياسة الخارجية الأميركية غير قادرة على التعامل بنجاح مع العالم الإسلامي مادام مقتنعاً بالتفكير والتعامل بمفردات «مؤولجة» ومزيفة، كما هو الحال في هذه الأيام وهذه الفترة تمثل الموسم السياسي. وبالتالي موسم الدهماء ولكن حان وقت الجد.

اتفاق الحظر الشامل للتجارب النووية تحت رحمة من؟

كتبت اللوموند الفرنسية في عدد لها صدر أخيراً مقالاً مطولاً حول مصير اتفاق الحظر الشامل للتجارب النووية في ضوء توصل القوى النووية الكبرى الخمس إلى اتفاق وحصولها على تأييد معظم البلدان مع وجود بعض العقبات.. حول هذه القضايا ومن تقف وراءها كتبت اللوموند تقول:

من المعلوم أن اتفاق الحظر الشامل لكل التجارب النووية موجود حقيقة ولكن يبدو أن الهند قد حكمت عليه بالزوال.

ولا تدخر فرنسا — التي ساهمت مساهمة فعالة في وضع نص يمنع كل التجارب النووية - ولا تدخر جهداً لمحاولة إنقاذ الاتفاق غير أن المتفاوضين تراجعوا في نهاية المطاف عن الإجماع الذي سعوا إلى تحقيقه بكل السبل أمام الرفض القاطع الذي أعربت عنه الهند بخصوص التوقيع على هذا النص. ولكن ثمة مبررات قوية تبعث على الأمل في أن يحظى مشروع الاتفاق الأخير بالموافقة إذا أحيل على الدول للتوقيع في منتصف سبتمبر خلال افتتاح الجلسة العامة الـ ٥١ للأمم المتحدة في نيويورك.

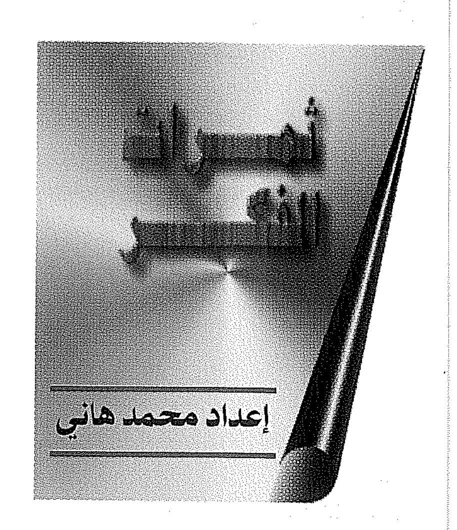
وبعد توصل القوى النووية الكبرى الخمس «الصين، بريطانيا، فرنسا، الولايات المتحدة، وروسيا» إلى اتفاق وحصولها على تأييد معظم البلدان التي شاركت في التفاوض علامة جيدة، وقد

يعتبر «أصدقاء الاتفاق» إعلان مجموع الدول الغربية ودول أوروبا الوسطى والشرقية ودول الجنوب «أفريقيا الجنوبية والبرازيل وشيلي وكينيا والمغرب ودول أخرى» عن انضمامها للاتفاق كنوع من التشجيع المؤكد.

وقد صرح سفير جمهورية الصين الشعبية ـ الذي أثار العديد من العقبات في وجه المتفاوضين خلال القسم الأكبر من المفاوضات ـ بأن الاتفاق حظي بالتأييد المطلق باستثناء دولة أو دولتين. ويرى كثير من المفاوضين بأن تضييع ما أنجز خلال المؤتمر هو هدر للوقت والجهد. وحتى الآن تبقى إيران الدولة الوحيدة التي تطالب بإعادة فتح المفاوضات حول الاتفاق وتعترض على وجود دولة إسرائيل بين مجموعة «الشرق الأوسط» التي تضم طهران غير أن العائق الأساسي هو الهند التي تشترط إدراج بند في الاتفاق ينص على إزالة كل الترسانات النووية التي تملكها القوى الكبرى. وعلى مستوى الإجراءات ترفض أن يغادر نص الاتفاق جنيف إلى نيويورك وأن يحال على الدول لتوقيعه في شهر سبتمبر أو أكتوبر. وتبرر نيودلهي اعتراضها لكون مصادقة الهند شرطاً ضرورياً لسريان مفعول اتفاق الحظر الشامل للتجارب النووية حسب ما نص عليه أحد بنود الاتفاق وتعتبر الهند أن الأمر يتعلق باعتداء على حق لدولة ذات سيادة في الانضمام لاتفاق ما أو عدم الانضمام إليه، وهو اعتداء يتنافى مع المبادىء العامة للقانون الدولي. وللخروج من المأزق حاولت بعض الدول المفاوضة تدارك الأمر. وهكذا فكرت فرنسا في إمكانية تعديل البند الخاص بسريان مفعول الاتفاق ويفسر بعض المراقبين الدوليين موقف الهند بالوضع السياسي داخل البلاد حيث تريد الحكومة أن تترك باب الخيار النووي مفتوحاً. وفي نفس الوقت تسعى إلى استغلال عداء الرأي العام المحلي ضد هذا الاتفاق لاعتباره بدعة خلقتها الولايات المتحدة بل والقوة الاستعمارية القديمة بريطانيا.

وتبدو الهند من خلال ما يجري وكأنها تسعى لفرض نفسها كقوة نووية وفي الوقت نفسه كمدافع عن الإزالة الشاملة للسلاح النووي. وإذا كانت بعض الوفود تحاول فهم موقف نيودلهي فإن وفوداً كثيرة أخرى تنتقد رغبتها في عرقلة الاتفاق. ويعترف الكثيرون في قصر الأمم بأن قرار توقيع وثيقة قانونية بأهمية اتفاق الحظر الشامل للتجارب النووية يتعلق بالسيادة الوطنية، ولكن عدداً من أعضاء المؤتمر حول نزع الأسلحة لا يقبلون المناورات الرامية إلى منع دول أخرى للانضمام.

وفضلاً عن ذلك انعكس الموقف الهندي على باكستان التي أبدت استعدادها لرفض توقيع الاتفاق أيضاً إذا لم تفعل الهند وهي تستغل الوضع لمضاعفة المناورات التسويقية ــ ويكفي اعتراض دولة واحدة لوضع المؤتمر على طريق مسدود. وكل ما يهم المفاوضين إذن هو إيجاد مخرج يسمح بنقل الاتفاق إلى الجمعية العامة التابعة للأمم المتحدة من أجل خلق فرصة لإنقاذه. ■



إصدارات

كتاب الأمة

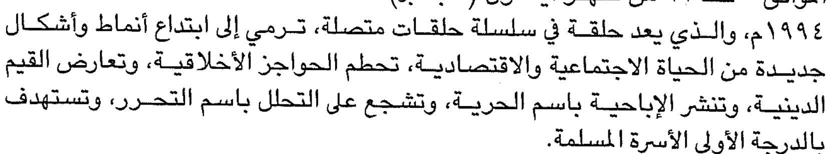
العدد: ٥٣ جمادى الأولى ١٤١٧هـ السنة السادسة عشرة

وثيقة مؤتمر السكان والتنمية

رؤية شرعية

في سلسلة الكتب التي يصدرها مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر صدر كتاب الأمة الثالث والخمسين تحت عنوان: «وثيقة مؤتمر السكان والتنمية... رؤية شرعية».

وهذا الكتاب... رؤية شرعية لوثيقة مؤتمر السكان والتنمية الذي انعقد خلال الفترة من ٢٩ ربيع الأول إلى ٨ ربيع الآخر ١٤١٥هـ، الموافق ٥ ـــ ١٣ من شهر أيلول (سبتمبر) ١٩٩٤م، والذي يعد حلقة في سلسلة حلقات متصلة، ترمي إلى ابتداع أنماط وأشكال جديدة من الحياة الاجتماعية والاقتصادية، تحطم الحواجز الأخلاقية، وتعارض القيم الدينية، وتنشر الإباحية باسم الحرية، وتشجع على التحلل باسم التحرر، وتستهدف بالدرجة الأولى الأسرة المسلمة.



والكتاب لم يأتِ متأخراً، لأن القضية التي يعرض لها ممتدة، والحلقات متواصلة، والطروحات ذاتها مستمرة، لكن بأشكال وألوان مختلفة، فكل مؤتمر يفيد من اطاريح مَنْ سَبَقَهُ، ويرصد ردود الفعل، ويفكر كيف يتعامل معها... إنها حقبة التحول من حصار الأوطان الإسلامية إلى حصار الأفكار والقيم الإسلامية.

وتأتي أهميته في أنه يقدم مجموعة من الأحكام الفقهية المتخصصة وفلسفتها، فيما يخص الأسرة، والإصابات التي قد تلحق بها، مما يمكن أن يشكل رؤية إسلامية تحصينية ضد استهداف الأسرة، ومحاولة العبث بها، وتفكيكها، أو إعادة تشكيلها على غير ما شرع الله، والحيلولة دون استمرار بنائها، وفق الأصول والقواعد الشرعية.



أول كتاب لفقه العبادات باللغة الألمانية

صدر في فرانكفورت في ألمانيا الاتحادية أول كتاب لفقه العبادات الإسلامية تحت عنوان:

Fiqh- ul-ibadatlش

Einfuthrung in die islamischen gottesdienstlichen Handlungen

ويعد هذا الكتاب الأول من نوعه في هذا المجال الفقهي باللغة الألمانية، حيث يتناول مواضيع الطهارة والصلاة والصيام والزكاة والحج، وكل ما يتعلق بأنواعها وشروطها وأركانها وسننها وآدابها.

وقد حرص المؤلف وهو الأستاذ أمير محمد أديب زيدان، خريج في الكلية الأوروبية للدراسات الإسلامية في شاتو شينون في فرنسا، على مراعاة عرض المادة الفقهية بلغة سهلة مع مراعاة إيراد النصوص الشرعية باللغة العربية إضافة إلى ترجمة معانيها التقريبية بالألمانية، وكذلك عرض الآراء الفقهية تبعاً للمذاهب الأربعة. ويشمل الكتاب على ٢٣٨ صفحة.

ويأتي إصدار هذا الكتاب كبداية لسلسلة يسعى المؤلف لنشرها حول العلوم الإسلامية الأساسية باللغة الألمانية، ليتسنى لأبناء المسلمين الناطقين بالألمانية والذين يزيد عددهم على الثلاثة ملايين في كل من ألمانيا والنمسا وسويسرا، على التعرف على أمور دينهم باللغة التي يجيدونها.

وستحوي هذه السلسلة كتباً حول فقه السيرة النبوية، وفقه الأحوال الشخصية، وفقه المعاملات، والتعريف بالشريعة الإسلامية ومقاصدها، وعلم الحديث، وعلوم القرآن والتاريخ الإسلامي، وأعلام المسلمين، وأحاديث مختارة.

والمؤلف الآن بصدد تنقيح كتاب العقيدة الإسلامية، والمزمع نشره في نهاية العام الميلادي الحالي.

معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية

ضمن سلسلة تهيئة الأجواء التي تصدرها إدارة البحوث والدراسات. اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، صدر كتاب «معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية» للدكتور محمد أبو الفتح البيانوني، وذلك انطلاقاً من اهتمام إدارة البحوث والدراسات بنشر الكتب التي من شأنها تجلية حقائق هذا الدين وتنقيته من الشبهات المتسلقة على جدران مبادئه وتذليل العقبات التي قد تعترض مسيرة تطبيق أحكامه، وتهيئة المناخ المناسب الذي يشرح الصدور لمزيد من الحرص على ترسيخ مبادىء هذا الدين في حياة المسلمين.

إصدار المجموعة الأولى من ألبومات الشيخ علي الطنطاوي

فضيلة الشيخ علي الطنطاوي، أديب العلماء وعالم الأدباء، هو أحد أبرز كتاب «الوعي الإسلامي» منذ بواكيرها الأولى. وكانت آخر أعماله التي قدمها البرنامج التلفزيوني الشهير «نور وهداية» الذي استمر ربع قرن كاملة، إضافة إلى أحاديثه الإذاعية التي تنقلت بين عدد من الإذاعات العربية على مدى عشرات السنين.

الأستاذ الطنطاوي يطل علينا من جديد، من خلال ما أعلنته مؤسسة «سنا» للإنتاج والنشر والتوزيع في مدينة جدة عن إصدارها للألبوم الأول من أعمال الشيخ الجليل متضمناً الأشرطة التالية:

١ ـ في ظلال آية/ ٢ ـ خير الهدي/ ٣ ـ على هامش السيرة/ ٤ ـ عقيدة المسلم/ ٥ ـ قضايا فكرية/ ٦ ـ قطوف تربوية. وهذه هي المجموعة الأولى من سلسلة «دين ودنيا» التي قدمها فضيلة الشيخ إلى تلامذته ومحبيه، شاكراً الجهود التي بذلت لإخراج هذا العمل إلى حيز الوجود، من خلال الأشرطة الصوتية «بعد أن ضاع أكثرها واحترق أو فقد»! بينما قدمته مؤسسة «سنا» للناطقين بلغة القرآن الكريم باعتبار أن هذه المجموعة «تحتوي العلم الشرعي والفكر الواعي واللفتة المؤثرة مع الأسلوب الأدبي والذوق الشائق مما يشكل نخبة من أجمل الأحاديث التي تتناول مختلف نواحي الحياة معتمدة طريقة السؤال والجواب». وتأتي أهمية هذا العمل من كونها المرة الأولى التي نجد فيها تدويناً صوتياً لأعمال علمية محترمة تخرج إلى الجمهور في ألبومات أنيقة تتفوق على الكتاب جودة وجاذبية مما يشكل نقلة نوعية في الشريط الإسلامي الذي يواكب صحوة العالم العربي في رحلة استرجاع الذات....

ندوة عالمية بدمشق عن «الأرابيسك»

فن «الأرابيسك» أحد الفنون الزخرفية الأصيلة في الحِرَف الإسلامية وقد شهد تطوراً ونمواً وهو ذو تأثير كبير على الفن الأوروبي المعاصر وأحد الشواهد على تأثير الفنون والحضارة الإسلامية على الحضارة الأوروبية الحديثة ومظاهر نهضتها وفنونها سيكون الموضوع الرئيسي لأول ندوة عالمية تناقش «آفاق تنمية فنون الزخرفة في حِرَف العالم الإسلامي اليدوية». الندوة التي تعتبر الأولى من نوعها ستقام في العاصمة السورية «دمشق» خلال الفترة من ٤ إلى ١١ يناير القادم... وينظمها مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في اسطنبول «إرسيكا» ووزارة الثقافة السورية بالتعاون مع منظمة اليونسكو العالمية وبمساهمة من مؤسسة مشارق السعودية في جدة وتناقش الندوة سبعة عشر موضوعاً من الموضوعات المتعلقة بآفاق تطوير المهارات التقليدية المستعملة في فنون الزخرفة للحِرَف اليدوية المستعملة في الوقت الحالي. وقد صرح الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي ـ المدير العام لمركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية قائلاً: إن الندوة ستتيح الفرصة للالتقاء والتشاور وتبادل الخبرات ووجهات النظر حول المعوقات وآفاق المستقبل المتعلقة بموضوع إحياء فن الزخرفة بالعالم الإسلامي، وتحقيقاً لرسم سياسة عملية ثابتة للنهوض بهذا الجانب الهام لما يشكله من عامل ثقافي واقتصادي وسياحي وتراثي للدول الأعضاء.

وقال الدكتور أوغلي: إن الندوة تهدف إلى إنشاء مركز دولي لزخرفة الحرَف اليدوية، لتأهيل وتدريب حرفيي الدول الإسلامية، على مختلف الوسائل والطرق المستعملة في ميدان فنون الزخرفة الحرَف اليدوية في جميع مناطق العالم الإسلامي المختلفة، وتنظيم برامج تنافسية للشباب الحِرفي، لحثهم على الابتكار والإبداع في تنمية هذه الفنون. وتقويم الوضع الراهن لفن الزخرفة في العالم الإسلامي وتحديد الأطر المستقبلية لتطوير جوانبه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

أخبار ثقافية

● عقدت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالتعاون مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية وجامعة أفريقيا العالمية دورة تدريبية حول استخدام الآلة الراقنة بالحرف العربي البنط التي اخترعتها المنظمة لكتابة لغات الشعوب الأفريقية بالحرف القرآني وكانت المنظمة قد أنتجت سنة ١٩٩٢م أول آلة كاتبة «مرقنة» تطبع ١٦ لغة من لغات الشعوب الإسلامية في أفريقيا تم توحيد حروف كتابتها بالحرف العربي.

● تشهد «باريس» في شهر نوفمبر «تشرين الثاني» المقبل انعقاد «مؤتمر الإسلام وفرنسا وأوروبا... كفي نبني مستقبلنا»؟ وسيفتتح المؤتمر الرئيس الفرنسي جاك شيراك في إطار التعاون بين منظمة «المؤتمر الإسلامي والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة وجمعية الإسلام والغرب».

● خصصت الحكومة الألمانية جائزة جديدة للتعليم تحت اسم «الجائزة الدراسية الألمانية» وستمنح الجائزة لأول مرة العام ١٩٩٧م وتهدف هذه الجائزة إلى تشجيع الأبحاث التي تتجاوز حدود الاختصاص الواحد إلى العلوم الواضحة والمفهومة ويحق للدارسين داخل وخارج ألمانيا المشاركة والتقدم لنيل هذه الجائزة التي تصل قيمتها إلى نصف مليون مارك ألماني.

● تم اعتماد سبعين مليون جنيه لإنشاء المكتبة المركزية الجديدة لجامعة القاهرة والتي ستحل محل المكتبة القديمة التي أنشئت قبل نحو نصف قرن.

● أقر الأزهر الشريف ترجمة أندونيسية حديثة لمعاني القرآن الكريم وأجاز نشرها وتداولها بين المسلمين وقد أعد الترجمة الدكتور عمر بكري وتعتبر هذه الترجمة أحدث ترجمة أندونيسية لمعاني القرآن الكريم منذ القرن السابع عشر الميلادي.

كتاب الشهر

التحقيق والبحث في التراث ككل عمل جاد يسعى خلف الموقف الحضاري، والمعنى المتجدد، ولا يتوقف عند حدود القديم لمجرد كونه قديماً ضارباً في الزمان، ولا عند حدود المخطوط لكونه مخطوطاً، تصعب قراءته على من لم يتقن الصنعة.. وإنما يتجاوز ذلك للموضوعات الكامنة، والأفكار المشرقة..

والكتابة التراثية تحتاج عيناً بصيرة، وأذنا واعية، وفؤاداً مستنيراً، فالفرق بين المراوحة في المكان والزمان والاستفادة من الزمان والمكان للانتقال إلى الواقع فالمستقبل، كالفرق بين الأعمى والبصير، والظلمات والنور..

والوقوف عند حدود النص ليس مطلوباً لذاته، ولا يصح من عاقل فاهم واعٍ أن يقيّد نفسه بقيود الحرف والشكل، وهو يسمع قولَ الله عزّ وجلّ في ذمّ الذين يقرأون فلا يفقهون، ويفقهون فلا يعملون: ﴿مَثَلُ الذينَ حُمِّلوا التوراةَ ثمّ لمْ يَحْمِلوها كمَثَلِ الحِمارِ يحمِلُ أسْفاراً بئسَ مَثَلُ القومِ الذينَ كذّبوا بآياتِ اللهِ واللهُ لا يَهْدي القومَ الظالمينَ﴾ [الجمعة/ ٥] فأسفاره على ظهره لم تزده إلا رهقاً وعبئاً في الدنيا، ولن تغني عنه شيئاً يوم القيامة، وقد ظلم نفسَه وظلم رسالَته..

روضة الأرواح

بقلم/ د. صلاح الدين أرقه دان

(باحث لبناني مقيم في الكويت)

الكاتب/ محمد بن ناصر العجمي

الناشر/ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الكويت)

الطبعة/ الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م

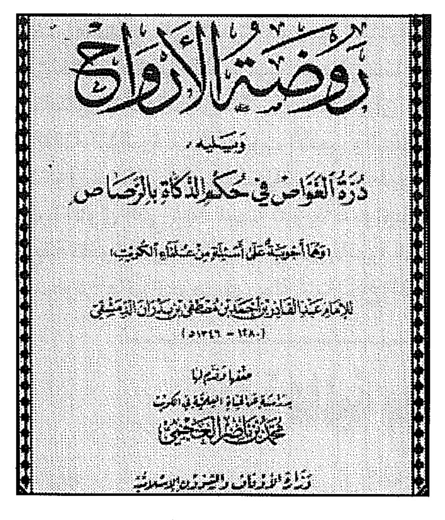
بين قراءة التراث وتشويهه

وفي معترك البحث الحضاري، وأمام أزمة الأمّية المتفشيّة - الظاهرة والمقنّعة - وأمام معترك الحياة اليومية واللهاث خلف لقمة العيش، وأمام الكم الهائل مما تقذفه المطابع كل يوم - غثّاً وثميناً - تحتاج إلى من يشعل أمَامك مِصباحاً تسترشد به في قراءة ماضيك، قراءة هادئة بعيدة عن الانفعال العاطفي، وقريبة من الحقيقة المجرّدة التي تعينك لترفع الستار عن الرموز التي دفنها البعض في غياهب النسيان، والبعض في سجون التجاهل، وآخرون حالوا بينها وبين النّاس بما أثاروه من نقيع الصراخ، والجدل العقيم، والممارسة المنفّرة..

تحتاج في كل وقت، وفي هذه الأيام بالذات، إلى قراءة هادئة تقترب منها وتقترب منك لتأخذ بيدك فتكون قاب قوسين أو أدنى من شاشة عرض التاريخ الناصع المشرّف الذي يريك دربَ الأوّلين على سبيل العبرة والقيادة لا على سبيل الجمود والقيود..

والكتابة التراثية، إما أن تكون تحليلية، تتعامل مع النص فتستخرج كنوزه، وتوضح خفاياه، وتشرح ما استغلق من عباراته ومصطلحاته، وتربطه بواقع الحال والبيئة والثقافة السائدة، وترد على شبهات أثارها البعض في وجهه أو وجه مثيله، ثم تربط بينه وبين الواقع وسبل توظيفه والاستفادة منه، وإما أن تخرج النصّ سليماً معافىً صحيحاً في إملائه وطباعته، وتحقق نصوصه ولاسيما آياته وأحاديثه حتى يطمئن القارىء إلى صحة ما يقرأ، وتترك للقارىء نفسه عملية الفهم والاستنتاج، وفي كلا الأمرين من الفوائد ما لا يخفى..

وبعضُ الخائضين في التراث وجدوا الكتابة فرصةَ عمل، وباب رزق، فكان كحاطب ليل لا يعرف من عمله سوى الأجرة التي يجنيها، أو السمعة التي يكتسبها.. ومنهم من رأى في بعض نصوص التراث ما يعينه في مخطط هدمه ونيله من الأمة ومكانتها وحضارتها، كبعض المستشرقين ومسلمين ساروا على درب هؤلاء المستشرقين، فالتفت إلى الثغرات ولم يعرْ بالاً بالجوانب المشرقة، ولكل أمّة في تاريخها وأيّامها سلبيات وإيجابيات.. ومن العاملين في التراث من أخلص النيّة لله ورأى



في إحياء التراث إحياءً لروح سارية في الأمة تدفع نحو العلم والعمل معاً، وتظهر من دفين رسالتنا الحضارية ما كادت تغطيه رمال الجهل والتجاهل معاً..

تحقيق علمي موضوعي

والكاتب المحقق محمد بن ناصر العجمي أحد هؤلاء الذين نأوْا بأنفسهم عن الخوض فيما يزيد الفتق ولا يحيك الرتق، وانصرف إلى درر يمرّ عليها العام والخاصّ فلا يعيرها بالاً لسبب أو لآخر، ولم يكتف في بناء الفكر والفقه بالقوالب الجاهزة، والعقيرة المرتفعة، وإنما نضّ عن ذراعه وشمّر عن ساقه ليسابق عوادي الزمان في كتب تراثنا المخزون فأخرج للأمة المسلمة شيئاً مما تجهله من تاريخ بعض أهل العلم في الكويت واكبت عصر النهضة الأخير بروح العزم، وصدق الإخلاص، وجميل التوكّل، يوم لم يكن في عالمها وسائل اتصال كالتي نراها

اليوم، فلا «برقيات» ولا «هاتف» ولا «فاكس» ولا «إنترنيت» وإنما هو الإصرار والعزيمة والجهاد العلمي الذي يشرّف حامله..

كتاب (روضة الأرواح)

وفي كتابه الأخير الصادر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت «روضة الأرواح» استمرارٌ لمنهجه في البحث والتنقيب، ومشاركة الآخرين بما يراه من ثروة علمية حري بشباب اليوم التمثّل بها وبجهود الذين قاموا عليها..

فالكتاب «صورة من صور الحياة العلمية في تاريخ الكويت الثقافي» اختارته الوزارة «ليعكس اهتمامها بالتراث، باعتباره مقوماً أساسياً من مقومات هويتنا وخصوصيتنا الحضارية، وإيمانها بأن الموقف الإيجابي من التراث يتطلب وضع الخطط والبرامج العلمية والعملية، وبعث روح النشاط والعمل في ميادين الكشف عنه وتوثيقه وتحقيقه ودراسته، وعرضه في صورة عصرية تيسّر الاطلاع عليه والإفادة منه، وذلك لتحقيق التواصل والتدفق، والنمو المتجدد والمبدع بين ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا، في صياغة خلاّقة تحقق فاعلية وصل القديم بالجديد في بنياننا الفكري والثقافي»..

والباحث الكريم اختار موضوع كتابه من أسئلة وأجوبة دارت بين علماء الكويت وعلماء العالم الإسلامي المعروفين منذ قرن تقريباً، وهي أسئلة واقعية تتعلّق باحتياجات النّاس وما يبتلى به المكلّف، وتعطي صورة صادقة عن البيئة والمجتمع والحياة العلمية فيه، وتبيّن مدى اهتمام أهل الكويت بهذا الجانب من المعرفة الشرعية وحرصهم على التواصل مع العالم العربي/ الإسلامي حولهم، من القاهرة حيث الأزهر الشريف إلى الشام المشهورة بمدارسها وعلمائها إلى غيرها من البلدان العامرة بحلقات العلم، الزاخرة بمجالس التدريس والإفتاء..

و«العلم خزائن مفتاحه المسألة»، و«السؤال الحسن نصف الجواب» ومجموعة الأجوبة التي يتضمّنها الكتاب موجّهة من العلاّمة الشيخ/ عبد القادر بن بدران الدمشقي، وكان قد صاغ أسئلتها ووجهها إليه علامة الكويت الشيخ/ عبد الله بن خلف بن دحيان الحنبلي، ومما يذكر هنا كتاب ابن بدران المشهور «العقود الياقوتية في جيد الأسئلة الكويتية»، ورسالته «روضة الأرواح» وقد اتخذها المحقق عنواناً لهذا الكتاب..

وقد أرسل مؤرخ الكويت الشيخ/ عبد العزيز بن أحمد الرشيد يسأل الشيخ ابن بدران عن حكم الصيد بالرصاص، فأجابه برسالة «درّة الغوّاص في حكم الذّكاة بالرصاص»، وهي من فصول الكتاب نفسه..

صور علمية مشرقة

ومن دلائل التواصل العلمي مراسلات الشيخ/ عبد العزيز لعلماء آخرين وعدم الاقتصار على سؤال ابن بدران، حيث يورد الباحث ما ذكره الأستاذ ظافر القاسمي ابن علامة الشام الشيخ جمال الدين القاسمي في كتابه عن أبيه (ص٥٥٤) فيقول:

«وهذه رسالة من عالم كويتي اسمه عبد العزيز بن أحمد الرشيد البداح الكويتي، صدرت عن الكويت في ٢٤ جمادى الأولى ١٣٣٢هـ، أي قبيل وفاة القاسمي.. ومن تصفحها يتضح له أن هذا القطر العربي الشقيق لم يخل – حتى في تلك الحقبة – من قائم بأمر الله، حريص على شريعة الله وعلومها، وعلى العربية وآدابها.. وإذا كان هذا الكتاب عنواناً، فإنه عنوان على نهضة علمية كانت قائمة في الكويت.. أضف إلى ذلك أن هذه الرسالة قد تضمّنت حرصاً على تحري الحق، وأدباً مع العلماء ، وهما من سجايا العلماء وطلاب العلم في كل الأزمان». إهـ.

ثم أورد القاسمي نصّ الرسالة، وفيها من حسن السبك وجزالة الألفاظ ومتانة النسيج ما يدل على مستوى القلم يومها، وأدب العلماء في اختلاف رؤيتهم للمسألة الفقهية الواحدة، وكيفية إظهار ما يرونه من دون التعريض ببعضهم بعضاً أو النيل من كرامة أحدهم، فللاختلاف في الإسلام آداب تراعى أين منها ما نراه من الذين ينتهجون منهج التجريح والتطاول بعيداً عن الوسطية التي يدعو إليها الإسلام ويأمر بالإلتزام بها، ويختم الشيخ الكويتي رسالته بتوجيه سلامه إلى علماء الشام المعروفين يومها فيقول مخاطباً الشيخ القاسمي:

«هذا، وأرجو من إحسانكم العميم إبلاغ سلامي لسيدي الأستاذ الكبير/ عبد الرزاق البيطار، والأستاذ الشيخ/ محمد كرد علي، والأخ العزيز الشيخ/ محمد بهجت البيطار»..

> – المطلوب اتّباع درب الأوّلين على سبيل العبرة والقيادة لا على سبيل الجمود والقيود

كما كان للشيخ وعلماء الكويت علاقة بالعلاّمة الشيخ/ محمود شكري الألوسي، والشيخ/ نعمان بن العلامة محمود الألوسي، وبين هذا الأخير والشيخ/ سليمان بن علي وكانت بينهما مراسلات تدل دلالة واضحة على عِلاقة علماء الكويت وصلتهم بعلماء البلدان المجاورة..

وممن زار الكويت واجتمع حوله أهلها للاستماع والتلقي المؤرخ الشيخ/ عبد الرحمن بن عبد الله السُّويدي البغدادي سنة ١١٨٦هـ، المصلح الشيخ/ محمد رشيد رضا (صاحب المنار) سنة ١٣٣٠هـ، والزعيم التونسي الشيخ/ عبد العزيز الثعالبي.. ولكل منهم كتابات تدل على اهتمام الكويتيين بالعلم والعلماء وحرصهم على التلقي عليهم وذكر أسماء المساجد التي عمرت بحلقات العلم حيث اجتمع رجالات الكويت وشبابها طلباً للخير وتحصيلاً للعلم، والاستماع إلى المواعظ والتوجيه..

وممن وفد إلى الكويت واستقر بها الشيخ/ محمد نوري الموصلي، والد الشيخ/ عبد الله النوري بطلب من أهلها سنة ١٣٤١هـ وعلّم في مدرسة «المباركية» وأمّ في بعض مساجدها، وأجاز بعض علمائها ومن جملتهم الشيخ/ محمد بن خليفة النّبهاني الطائي المكي المالكي (ت١٣٦٩هـ)..

لقد اعتنى الباحث بالجانب العلمي، فذكر في مقدمة كل مخطوط وصفه وعمَله فيه، وألحق بكتابه جداول فهرَسَتْ الآيات والأحاديث والآثار، والأعلام والكتب وختمها بفهرس عام للموضوعات، فزاد إلى المكتبة الإسلامية بحثاً طيباً يفيد الدارس في أكثر من ميدان ولاسيما في إظهار ميزة لم تأخذ حقّها من قبل في الحركة العلمية الواعية التي قادها علماء تلك الفترة ومتانة العلاقة بين أهل العلم في بلادنا الإسلامية..

ولقد أحسنت «وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية» في دولة الكويت إذ أوْلت عنايتها – بالإضافة إلى الأعباء العلمية والإدارية والتنظيمية التي تقوم بها – هذه الكنوز الدفينة من تراثنا العلمي الإسلامي، فأخرجتها في ثوب قشيب يحاكي مضمونها المفيد.

جزى الله الجميعَ عن العلم وطلابه خيرَ الجزاء. ■

نافذة على العالم

الايدز يتراجع في افريقيا

أكد المكتب الاقليمي لمنظمة الصحة العالمية في داكار ان معدلات الاصابة في فيروس الايدز قد تراجعت في أغلب الدول الافريقية الواقعة جنوب الصحراء خلافا لنهاية السبعينات التي شهدت اعلى معدلات الاصابة في هذا المرض في هذه الدول.

وقدرت المنظمة في تقرير لها عن الايدز في دول افريقيا عدد الذين يحملون فيروس الايدز في هذه الدول بما يقرب من ١٣٥,٣ مليون شخص تتراوح اعمارهم من ١٥ إلى ٤٩ عاما.

ازدياد عدد الأثرياء في غرب المانيا

بينت احصاءات المانية نشرت ان عدد الاشخاص الذين يزيد دخلهم السنوي على مليون مارك تزايد في غرب المانيا بصورة كبيرة ليصل العام ١٩٩٢ الى ٢٣,٦٨٣ مليونيرا مقارنة مع ١٧,٢٣٣ في العام ١٩٨٩.

وذكرت تلك الاحصاءات ان هذه القفزة الكبيرة مرتبطة باعادة الوحدة الالمانية وزيادة فرص الكسب والاستثمار.

اتفاقية بين وزارة الاوقاف وأمانة الوقف



انطلاقا من اهتمام المسؤولين في وزارة الاوقاف والشوون الاسلامية والامانة العامة للاوقاف بالأئمة والخطباء والمؤذنين والقائمين على رعاية بيوت الله من خلال توفير جميع الامكانات المتاحة لهم حتى يستطيعوا ان يتفرغوا للدعوة الاسلامية من خلال المساجد المنتشرة في مختلف محافظات دولة الكويت الخمس والتي تعتبر مراكز للاشعاع الديني ومنارات للعلم والمعرفة، فقد وقعت في مقر الامانة العامة للاوقاف اتفاقية لتنظيم عملية استخدام الوحدات السكنية المخصصة للأئمة والخطباء والمؤذنين وذلك بالتنسيق مع قطاع المساجد في الوزارة.

وقد مثل الوزارة خالد عبد الله راشد الزير وكيل وزارة الاوقاف الشؤون الاسلامية، ومثل الامانة العامة للاوقاف عبد المحسن العثمان الامين العام وحضر توقيع اتفاقية التعاون كل من وليد شعيب مدير مكتب الاسناد في قطاع المساجد ومدير الصندوق الوقفي لرعاية المساجد، وطالب الغربللي رئيس مكتب محاسبة الوقف ومنصور عبد الله بوعبيد رئيس مكتب الشؤون القانونية بالامانة العامة للأوقاف وياتي البخيت مدير العلاقات العامة.

روسيا كانت المصدر الأول للسلاح إلى الدول النامية في العام الماضي

ذكرت دراسة نشرت في واشنطن ان روسيا كانت في العام الماضي اكبر مصدر للسلاح الى الدول النامية للمرة الاولى منذ انهيار الاتحاد السوفياتي.

واشارت دراسة مجموعة الابحاث الخاصة بأعضاء الكونغرس الاميركي «كونريشينال ريسيرش سرفيس» الى ان مبيعات الاسلحة الروسية ارتفعت بنسبة٦٢ في المئة العام الماضي بالمقارنة مع العام ١٩٩٤ وبلغت قيمتها ستة مليارات دولار في مقابل ٣,٧ مليار دولار سابقا.

وتأتي زيادة مبيعات الاسلحة الروسية في وقت استمر انخفاض مشتريات الدول النامية من السلاح للعام الخامس على التوالي اذ بلغت قيمتها ١٥,٤ مليار دولار.

وحلت الولايات المتحدة في المرتبة الثانية وبلغت قيمة مبيعاتها ٣,٨ مليار دولار العام الماضي مقابل ٦,٣ مليار دولار العام ١٩٩٤ وفرنسا في المرتبة الثالثة إذ بلغت مبيعاتها ٢,٧ مليار دولار (٨,٩ مليار دولار العام ١٩٩٤).

اتفاقية تعاون بين لجنة مسلمي افريقيا ومنظمة الصحة العالمية

وقعت لجنة مسلمي افريقيا اتفاقية مع منظمة الصحة العالمية للتعاون بين اللجنة والمنظمة بغية تحسين صحة المجتمعات السكانية في الدول الافريقية.

وتم الاحتفال بهذه المناسبة في حفل خاص اقيم في المقر الرئيسي لمنظمة الصحة العالمية في جنيف يوم ١٣/٩/١٩٩٦وقد وقع الوثيقة كل من الدكتور عبد الرحمن حمود السميط امين عام لجنة مسلمي افريقيا، والدكتور هيروشي ناكاجيمان المدير العام للمنظمة العالمية.. و حضر الاحتفال سفراء دول مجلس التعاون الخليجي وبعض سفراء الدول الافريقية وممثلين عن جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الافريقية ومنظمة المؤتمر الاسلامي.

وتحدد الاتفاقية اربعة مجالات للتعاون: مكافحة امراض المناطق المدارية ولاسيما «الملاريا» ودودة غينيا والبلهاريسيا والطفيليات المعوية، والتخلص من مرض الجذام كمشكلة من مشكلات الصحة العامة، وتحسين التغطية باللقاحات، والوقاية من العمى والصمم الناتج عن الامراض.

وسوف تتعاون المنظمة واللجنة ضمن انشطة اخرى من اجل توفير آبار المياه واعداد مواد التثقيف الصحي والاضطلاع بأنشطة التثقيف الصحي.

وهذه الاتفاقية تفتح الباب لمزيد من تكامل عمل لجنة مسلمي افريقيا ضمن الخطة العامة لمنظمة الصحة العالمية حيث ان لجنة مسلمي افريقيا سبق ان حفرت اكثر من ٧٦٠بئرا ارتوازيا في افريقيا ساهمت دون شك في توفير الماء النظيف لقطاعات كبيرة من الفقراء وحمتهم من بعض الامراض التي تنتقل عن طريق الماء كما ستقوم اللجنة بالتثقيف الصحي عن طريق مدارسها التي تبلغ ٨٤٠ مدرسة قروية وستساهم المؤسسات الصحية التي اقامتها لجنة مسلمي افريقيا التي بلغت اكثر من ٣٤مستشفى ومستوصفاً في تقديم الخدمات الطبية يعضدها برنامج مكافحة العمى في اقامة مخيمات خاصة لعلاج امراض العيون وبخاصة العمى بالماء الابيض « الكاتاراكت» وستتعاون في هذا الميدان مع عدة مؤسسات مثل مؤسسة البصر ولجنة الطبيب المسلم في الندوة العالمية للشباب الاسلامي في الرياضة.

المرضى ينتظرون اكثر من سنة في بريطانيا

تضاعفت اعداد المرضى المسجلة اسماؤهم وقوائم الانتظار لدخول المستشفيات العامة في بريطانيا لمدة تزيد عن العام خلال الاشهر الثلاثة الاخيرة عندما ارتفع عدد هؤلاء المرضى من ٤٧٥٤ مريضاً الى ١٠٣٧٤ خلال نهاية شهر يونيو الماضي ويمثل هذه الزيادة كما توضحها الاحصاءات الرسمية لوزارة الصحة البريطانية اول دليل على مدى الضغوط التي تتعرض لها الخدمات الصحية في بريطانيا والتي تواجه هذه الفترة اشد القيود المالية التي واجهتها خلال السنوات العشر الماضية وكان ستيفيني دوريل وزير الصحة البريطاني قد اعتراف في مطلع الصيف الحالي بأن اعداد المرضى المسجلين على قوائم الانتظار سوف تزداد عما هو عليه وتعكس هذه الزيادات نسبة ارتفاع في عدد المرضى المسجلين على قوائم الانتظار تصل الى ١٢٧،١ في المئة خلال الفترة من نهاية مارس الى نهاية يونيو من العام الحالي. ويقول جيرالد مالوني وزير الدولة في وزارة الصحة ان اقل من واحد في المئة من هؤلاء المرضى قد زادت فترة انتظاره على هذه القوائم عن عام واحد حيث هبطت نسبة الذين بلغت فترة انتظارهم اطول من ثمانية عشر شهرا ٢٠ الف مريض منذ اربعة اعوام الى مئة مريض فقط خلال العام المنتهي في ٣٠ يونيو الماضي.

الأقليات العرقية في بريطانيا بلغ تعدادها ٣،٢ مليون نسمة

وصل تعداد الاقليات العرقية في بريطانيا الى ٣،٢ مليون نسمة وتمثل هذه الاعداد نسبة ستة في المئة من مجموع السكان وذكر تقرير لمكتب الاحصاء البريطاني ان الاقلية الهندية تعتبر الاكثر ثراء بين الاقليات في بريطانيا فكل اسرة تمتلك منزلا وسيارة.

واضاف التقرير ان الاقليات الاخرى تنتمي في غالبيتها الى دول الكومنولث وبخاصة باكستان والهند وبنغلاديش وهونغ كونغ ويزداد تعداد هذه الاقليات لزيادة المواليد هناك ويغطي التقرير مختلف الابعاد الاجتماعية لهذه الاقليات سواء من حيث التركيبة السكانية او التوزيع الجغرافي او الحياة العائلية او النشاط الاقتصادي والهوية الثقافية وطريقة حياة هذه الاقليات وحصتهم بشكل عام.

ويوضح التقرير ان كل هذه الامور تختلف من مجموعة الى اخرى مشيرا على سبيل المثال الى ان المجموعات المقبلة من جنوب اسيا كالهند والباكستان وبنغلاديش تتمتع باستقرار اسري عال ويوضح التقرير ان ٣٤ في المئة من الاطفال المولودين في عائلات من جزر الكاريبي يعيشون في اطار عائلي بينما يعيش ٥٤ في المئة منهم في عائلات انفصل فيها الزوجان ويعيشون اما مع الام او الاب على العكس من الاطفال في العائلات القادمة من جنوب اسيا حيث يعيش ٩٠ في المئة منهم في اطار العائلة وفي مايتعلق بالتعليم نجد ان ٧٢ في المئة من الاطفال الاسيويين يحصلون على تعليم افضل من باقي الجماعات الاخرى بينما لايحصل سوى ٥٠ في المئة من الاطفال من ذوي الاصول السوداء على قسط وافر من التعليم.

ويوضح التقرير ان ٥٠ في المئة من الصينيين يزورون موطنهم الاصلي كل خمس سنوات.

٦٤ في المئة من سكان افريقيا اطفال

اكد تقرير لاتحاد البرلمانات الافريقية ان نسبة الاطفال تحت سن ١٥ سنة في هيكل سكان القارة الافريقية تبلغ حوالي ٦٤ في المئة مقابل حوالي ٣٢ في المئة لقارات العالم الاخرى وهي نسبة ضخمة جدا تستتبع مشكلات كبيرة بالنسبة لأعباء الإعالة والضغط على الخدمات العامة وعلى فرص العمل.

وأضاف التقرير ان المعدلات السكانية تتجه نحو الارتفاع في افريقيا حيث تزامنت مع تراجع معدلات النمو الاقتصادي وتفاقم الصراعات الافريقية الداخلية وزيادة مساحات الفقر في القارة الذي يتركز بصفة خاصة في المناطق الريفية.

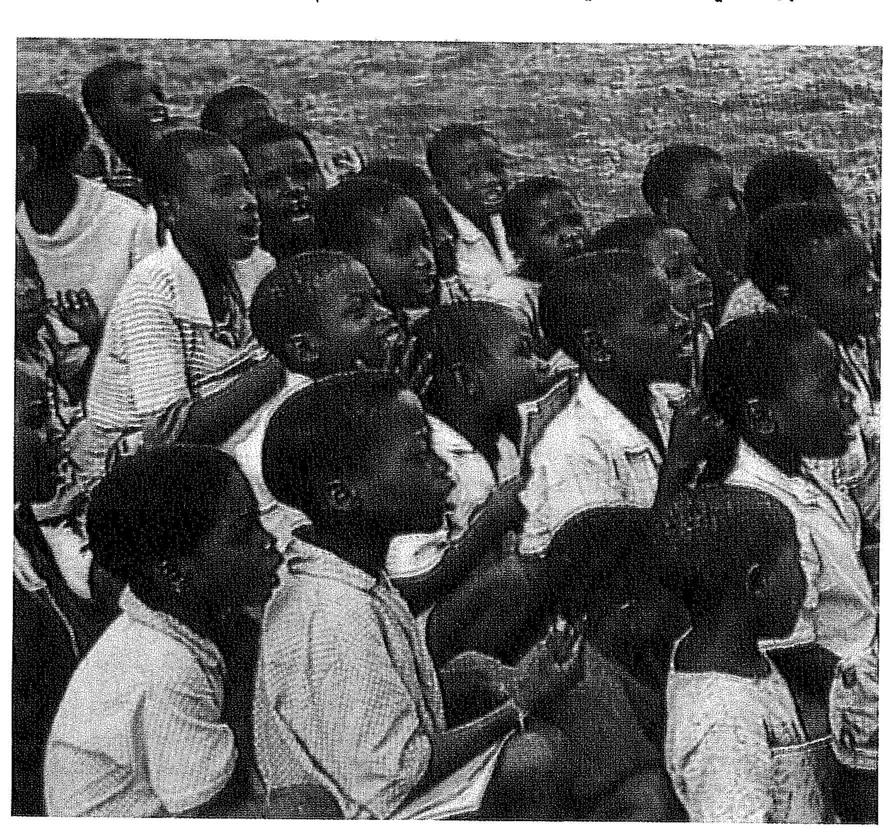
واشار التقرير الى البيانات المسجلة والتي تؤكد ان نسبة السكان الذين يعيشون تحت خط الفقر في اواخر الثمانينات بلغت ٦١ في المئة في المناطق الريفية الافريقية و٣٤ في المئة في الحضر مقابل ٣٥ في المئة و٢٧ في المئة على الترتيب في الدول النامية.

واوضح التقرير الذي يتحدث عن الموارد البشرية في افريقيا ان عدد سكان القارة تجاوز ٧٠٠ مليون نسمة يمثلون قرابة ١٢ في المئة من سكان العالم في حين تمثل ارض القارة حوالي ٢٢ في المئة من مساحة العالم.

وقال ان كثافة الكيلومتر المربع سكانيا لاتتجاوز ٢٤ نسمة فقط وهي اقل نسبة كثافة اذا ماقورنت بمناطق اخرى في اوروبا حيث بلغت الكثافة ١٠٢ نسمة و١٢٠ في اسيا و٢٥ في اميركا اللاتينية.

وذكر التقرير ان القارة تتميز بارتفاع معدلات النمو السكاني حيث حققت في السنوات الاخيرة اعلى معدل للنمو السكاني في العالم وصل الى ٣ في المئة سنويا.

وجاء ذلك نتيجة الارتفاع في معدلات المواليد التي وصلت الى ٤١ في الألف خلال العام الاخير.



نافذة على العالم

الإيسيسكو توقع اتفاقيات للتعاون المشترك مع عشر جمعيات ومراكز ثقافية اسلامية في اوروبا

في اطار التوسع في التعاون الدولي لنشر رسالة المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة، وعلى هامش الاجتماع الثاني للمسؤولين من المراكز الثقافية الاسلامية في اوروبا الذي نظمته الايسيسكو أخيراً في مدريد تم التوقيع على مجموعة من بروتوكولات للتعاون بين المنظمة الاسلامية وبين عشر جمعيات ومراكز ثقافية اسلامية في اوروبا تغطي جميعها مجالات التعاون الثقافي والتربوي والعلمي المشترك لفائدة الجاليات الاسلامية في عدد من الدول الاوروبية.

وبذلك اصبحت المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة ترتبط باتفاقيات وبروتوكولات للتعاون مع« اتحاد المنظمات الاسلامية في اوروبا في مدريد» والمجلس الاسلامي في فرانكفورت بالمانيا واتحاد الجمعيات الاسلامية في مدريد باسبانيا والمؤسسة الاسلامية في ليستر بانكلترا والمجلس الاهلي لمسلمي بلجيكا في بروكسيل وجمعية الثغرة الثقافية الاسلامية بغرناطة في اسبانيا والمركز الاسلامي بميلانو في ايطاليا والمركز الاسلامي في مدريد باسبانيا ومركز الاتحاد الاسلامي بستوكهولم في السويد والهيئة الاسلامية في مدريد باسبانيا.

٦٠ في المئة من اليمنيين تحت خط الفقر

اقترحت دراسة حديثة اعدها خبراء من برنامج الأمم المتحدة الاغاثي انشاء لجنة وطنية للقضاء على الفقر في اليمن تضم شخصيات حكومية وممثلين عن المنظمات الشعبية.

واوصت الدراسة وهي بعنوان «تحدي الفقر في اليمن» باجراء مسوحات جزئية سنوية ابتداء من سنة ١٩٩٧على ١٢ الف اسرة بالعينة للاطلاع على التطورات التي تطرأ على حال الاسر من عام الى آخر، كما اوصت بإقامة وحدة احصائية عن الفقر في الجهاز المركزي للاحصاء ترفد اللجنة الوطنية بالبيانات الدورية.

وحسب التقديرات الدولية تعيش نسبة تراوح بين٥٠و٦٠ في المئة من اليمنيين تحت خط الفقر ويقل مدخولها السنوي عن ٢٥٠دولاراً.

ولفتت الدراسة الى ان اكثر من ٨٠ في المئة من الفقراء يعيشون في الريف.

وتسعى الحكومة اليمنية بالتعاون مع مؤسسات دولية الى مواجهة مشكلة الفقر التي عمقتها آثار حرب الخليج الثانية وتفكك الاتحاد السوفياتي الذي كان يقدم مساعدات سخية الى اليمن فضلا عن حرب الانفصال العام١٩٩٤ التي تسببت بضرر كبير للاقتصاد اليمني قدرت قيمته بنحو١٣ بليون دولار.

ووافق مجلس الوزراء اليمني على مشروع قانون باستحداث صندوق للتنمية الاجتماعية والعمل برأس مال اولي قدره ٢٥ مليون دولار بدعم من البنك الدولي.

ورأت الدراسة ان النمو الاقتصادي مقدمة لابد منها للتخفيف من الفقر، على ان يتزامن ذلك مع توزيع للدخل لمصلحة الفقراء وتقوية اتصالهم با لمتلكات.

ونصحت الدراسة باتباع استراتيجيات عدة لتخفيف الآثار السلبية لعملية التوازن الاقتصادي منها توجيه الانفاق الحكومي الى تطوير المرافق الاجتماعية وتقليل تأثير الضرائب غير المباشرة وتطوير نظام شكبة الضمان الاجتماعي.

وشددت الدراسة على ان تقوية القطاع غير المنظم والمشاريع الصغيرة واشارت إلى ان ذلك امر مهم جداً لتخفيف من حال الفقر في المدى القريب بعد التغيرات الهليكلية الجارية في الاقتصاد.وركزت الدراسة على التنمية الزراعية ونصحت الحكومة بتحرير اسعار المنتجات الزراعية من خلال الغاء الدعم على القمح المستورد وتقديم المساعدات الى المزارعين الذين ينتجون محاصيل بقصد التسويق.

أول مكتب في أوروبا لرعاية المسنين المسلمين

ستقوم الوزيرة الهولندية المكلفة بالرفاهية والصحة والرياضة السيدة إيركيا تربسترا يفيلزن بافتتاح اول مكتب للرعاية والخدمات خاص بالمسنين المسلمين وهذا المكتب يعتبر الانموذج لتجربة فريدة في اوروبا ويتم تنفيذه من طرف اتحاد المسنين المسلمين في هولندا والهيئة المركزية لسياسة المسنين وسيتم فيما بعد تقويم هذا المشروع على اساس تطبيقه على الصعيد الوطني والدولي.

يسكن حاليا في هولندا حوالي ٤٠,٠٠٠ مسن مسلم، وهذا العدد سيعرف ارتفاعا كبيرا في السنوات القليلة المقبلة ومعظم هؤلاء يعيش وضعية اجتماعية جدّ متأزمة في ميادين مثل الصحة والسكن والدخل وبما ان اتحاد المسنين المسلمين في هولندا راع لمصالح هؤلاء المسنين يعمل بجانب البحث عن حلول لهذه المشاكل على تطوير اساليب عمل جديدة تساهم في اشراك حقيقي وكامل للمسنين المسلمين في المجتمع الهولندي المتعدد الثقافات والتجربة المكتسبة في هذا الميدان يمكن اعتبارها حافزا لباقي المنظمات الاسلامية في البلدان الاوروبية الاخرى داخل مكاتب تسيير الاتحاد نجد اعضاء من جنسيات مختلفة اتراك، مغاربة، مصريين، سوريين، اندونسيين..

وبالتعاون مع COB طور اتحاد المسنين المسلمين في هولندا أنموذج مكتب للرعاية والخدمات خاص بالمسنين المسلمين في بلدة فيلزن من بين المهام التي سيقوم بها هذا المكتب هو وضع مستشارين في شؤون المسنين في خدمة الجالية المسلمة في هذه المنطقة وللعلم، فمستشاروا الاتحاد تمكنوا وفي وقت قصير جدا من اكتساب ثقة واحترام الجالية المسلمة في مدن مثل امستردام لاهاي،ليدن وأوتريخت، واصبحوا يشكلون مرفقا لايمكن الاستغناء عنه.

العنصر الجديد في هذا الأنموذج هو ان الاتحاد يضع مستشاريه لتقديم خدماتهم للمسنين المسلمين من داخل مرفق خاص بالمسنين الهولندين من خلال عزم مختلف الاطراف المعنية على وضع تجربتها وخبراتها رهن اشارة هذا المكتب ومن دون شك ان الخدمة التي سيتم تقديمها للمسنين المسلمين ستكون في المستوى المطلوب. الى جانب هذا فالمشروع يعكس منطلقنا بأن مشاركة حقيقة وكاملة للمسنين المسلمين داخل المجتمع هي مسؤولية مشتركة بين اتحاد المسنين المسلمين في هولندا ومرافق العناية والخدمات والحكومة.



التأمين على العاملين

يسرنا إحاطتكم علماً بأن الجمعيات التعاونية قد رأت أنه من الضروري أن تقوم بالتأمين على العاملين بها أسوة بالكثير من القطاعات العامة والخاصة في الدولة. وحيث إن الجمعيات التعاونية تحرص على استيضاح الجانب الشرعي لعملية التأمين عموماً سواء أكان على العاملين أم غير ذلك من الأمور التي يجري التأمين عليها، وذلك قبل الشروع في اتخاذ الخطوات اللازمة لتنفيذه.

لذا، نأمل منكم التفضل بتزويدنا بالرأي الشرعي حول إجراء عمليات التأمين عموماً حتى يتسنى لنا اتخاذ اللازم على ضوء هذا الرأي.

ـ وقد أجابت لجنة الفتوى بالتالي:

يجوز التأمين على المباني والأموال ونحوها ضد الأخطار إذا كان مبلغ التعويض لا يتجاوز حدود الضرر الفعلي ويجب أن يكون عقد التأمين في الأصل خالياً من شرط الربا. وكذلك الحال بالنسبة للتأمين على العمال ضد إصابات العمل. أما بالنسبة للتأمين على الحياة لا يجوز.

منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..

حكم المهرجان الخيري وقسائم السحب

يرجى التكرم بالموافقة على تزويدنا بفتوى لمدرسة خليفة حول المهرجان الخيري الذي ترغب في إقامته «لذوي الاحتياجات الخاصة» وقسائم السحب المرفقة طياً علماً أن السحب سيكون خلال شهر رمضان المبارك بمناسبة «القرقيعان» أيام ٣١ يناير ـ ١، ٢ فبراير لعامة الجمهور وقد قامت وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل مشكورة ، بالموافقة على إصدار تصريح للمدرسة بشأن إقامة السوق الخيري وختم الإيصالات والدفاتر «المرفقة طياً». ونود أن ننوه بأن جميع الجوائز متبرع بها من قبل بعض الشركات والمؤسسات الأهلية، وسوف يعود ريع المهرجان الخيري وبيع القسائم كاملة، لمدرسة خليفة، وهي غير قابلة للربح، بموجب الرخصة الصادرة عن وزارة التربية «المرفقة طياً» علماً أن مدرسة خليفة هي مدرسة خيرية لا تهدف إلى الربح المادي، وتعتمد كلياً على الدعم المادي والمعنوي من أهل الخير، ومن الفعاليات والأنشطة الاجتماعية المختلفة. ثم إن هدف المدرسة هو الاستفادة القصوى من أحدث الأبحاث التربوية، وذلك لوضع برنامج تعليمي وعلاجي يتيح الفرص لكل طفل معوق لاستغلال ما لديه من طاقات لتطوير إمكاناته من أجل التعامل بصورة طبيعية مع المجتمع.

وتحتوي مدرسة خليفة على ٢٨ فصلاً وعدد الطلاب يبلغ مئتي طالب وطالبة والجدير بالذكر أن ٩٥٪ هم من الجنسية الكويتية و ٣٪ من أسر غير القادرين مادياً على دفع الرسوم... ونرفق لكم كتيباً يوضح أنواع الإعاقات والأهداف والطرق التربوية المختلفة التي نتبعها مع أطفالنا.

وقد تم الاتصال بالجهة المستفتية للاستيضاح منها عن طبيعة هذه المسابقة. وكان ملخص الإفادة التالي:

١ ـ ان المهرجان عبارة عن سوق خيري.

٢ ـ الدينار المدفوع هو ثمن البطاقة.

٣ ـ شراء البطاقة شرط لدخول السحب وليس لدخول المهرجان

٤ ـ جميع الأموال المحصلة من ثمن البطاقات تصرف لصالح المعوقين.

ـ وأجابت الهيئة بالتالي:

ترى هيئة الفتوى عدم إجراء السحب بالصورة المعروضة حتى ولو كانت الجهة خيرية، لما فيها من شبهة المقامرة وسداً للذريعة، والحل البديل لهذا السحب هو أن يتم تقديم مبلغ معين مقابل الشراء من السوق الخيري، شريط أن تعطى هذه الكوبونات دون مقابل، أو زيادة في ثمن البضائع التي اشتراها، وتكون الجوائز الممنوحة لمن تخرج له القرعة من قبيل الهبة.

ما حكم خروج المرأة من المنزل؟

ـ وقد أجابت اللجنة بالتالي:
الأصل في حال المرأة القرار في البيت لتربية الأولاد والعناية بشؤون الزوج والأسرة لقوله تعالى: (وقرن في بيوتكن) فإذا خرجت لمصلحة معتبرة وكانت متحجبة غير معطرة جاز بإذن الزوج إن كانت متزوجة أو الولي إن كانت غير متزوجة، فإذا لم يأذن لها بذلك لم يجز لها الخروج لغير ضرورة.

ما تفسير الآية الكريمة: (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا) [الآية/٣ من سورة النساء]. ومدى تطبيقها في العصر الحالي؟

ـ وقد أجابت اللجنة بالتالي: جاء في تفسير هذه الآية أن عروة بن الزبير رضي الله عنه سأل عائشة رضي الله عنها عن هذه الآية فقالت: يا بن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها بعد أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فهو أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا إليهن ويبلغوا بهن أعلى سنتهن في الصداق وأمروا أن ينكحوا ما طالب لهم من النساء سواهن.

ومعنى «مثنى وثلاث ورباع» أي فانكحوا ما شئتم من النساء سواهن إن شاء أحدكم ثنتين وإن شاء ثلاثاً وإن شاء أربعا. قالو: «الواو» في الآية ليست للجمع وإنما للبدل، بمعنى انكحوا ثلاثاً بدلاً من مثنى ورباعاً بدلاً من ثلاث، لذلك عطف «بالواو» ولم يعطف بأو، ولو عطف بأو لما جاز لمن تزوج باثنتين أن يتزوج الثلاثة، ولا لمن تزوج بثلاثة أن يتزوج الرابعة، فإن «أو» تقتضي التخيير بين هذه الأقسام، فمن اختار قسماً منها لم يجز له أن يختار غيره.

ولقد أجمعت الأمة على عدم جواز نكاح مازاد على أربع، مستندة على ما أخرجه أحمد في مسنده من حديث غيلان ابن سلمة الثقفي أنه أسلم وتحته عشر نسوة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «اختر منهن أربعا» فيتعين حمل الآية على ذلك. ولا يحتج بفعل النبي صلى الله عليه وسلم أنه جمع بين تسع لأن هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقد نهى أمته عن الجمع بين أكثر من أربع.

أما قوله تعالى: (أو ما ملكت أيمانكم) فمعناه إنه إن خفتم من تعداد النساء أن لا تعدلوا بينهن كما قال تعالى: (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) فمن خاف من ذلك فليقتصر على واحدة أو على الجواري السراري فإنه لا يجب قسم بينهن ولكن يستحب.

ويتعذر في عصرنا الحديث التسري بالإماء وملكهن ملك اليمين وذلك لانتفاء الرق في العصر الحديث أو ندرة وجوده مما يتعذر معه الاطمئنان إلى صحة مصدره حيث غلب عليه الغصب والسرقة وتوارثه الناس في بعض البيئات المحدودة على أنه رق، وهو ليس كذلك.

ما حكم الشرع في إعفاء اللحية أو حلقها؟

ـ وقد أجابت اللجنة بالتالي:
اختلف الفقهاء في حكم حلق اللحية: فذهب جمهور الفقهاء وهم الحنيفة، والمالكية والحنابلة، وهو قول عند الشافعية، إلى حرمة حلقها ووجوب إعفائها، واستدلوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «خالفوا المشركين ووفروا اللحى واحفوا الشوارب» رواه البخاري. وجاء في رواية «أعفوا» وظاهر الأمر في الحديث يدل على الوجوب.
وذهب الشافعية في الأصح عندهم إلى أن حلق اللحية مكروه.
من هذا يتبين أن الإجماع لم ينعقد على وجوب إعفاء اللحية، بل هناك خلاف، ولكن القول الراجح الذي تسنده الأدلة هو ما ذهب إليه الجمهور من وجوب إعفاء اللحية وحرمة حلقها.

هل يجوز استعمال الأواني المطلية بالذهب أو الفضة كالصحون والكؤوس والملاعق، أو الساعة.
وقد أجابت اللجنة بالتالي:
اختلف العلماء في حكم استعمال الآنية المطلية بالذهب أو الفضة، كالملاعق والصحون والكؤوس وما إليها والأكثرون أقروا على إباحتها إذا كانت الفضة أو الذهب قليلاً بحيث لا يمكن تخليصه، وعلى المنع منها إذا كانت الفضة أو الذهب كثيراً يمكن تخليصه.
وعلى ذلك فإن استعمال الأدوات المطلية بالذهب أو الفضة القليلة التي لا تستخلص جائز.

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ ـ ١٢ ظهرا ومن ٤ ـ ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية :
٢٤٤٤٤٠٥
٢٤٦٦٩١٤
٢٤٢٨٩٣٤
٢٤٨٧٤٣٨
ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □



د/ عماد الدين عثمان

أرقام ذات دلالة !!

هنا يرسو القلم، ينفض عن كاهله وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..

يأتي تصريح الدكتور/ علي علي حبيش عضو لجنة التحديات العلمية والتقنيات في رابطة العالم الإسلامي — بأن عدم التعاون والتنسيق يعرقل التقدم العلمي والتقني في كثير من بلدان العالم النامية - يأتي ذلك — في الوقت الذي يخطو فيه العالم المتقدم خطوات واسعة وسريعة للأمام للدرجة التي دفعت العلماء إلى احتساب الوقت في جزء من المليون من الثانية بينما نحن مازلنا - مسلمين وعرب - تعاني مما نعاني منه!.

ويلخص الدكتور/ حبيش أهم أسباب عدم تقدمنا العلمي في أحد جوانبها وهي إهمال دراسة العلوم والهندسة والرياضيات وإن هذا الإهمال يؤدي إلى ندرة الخبرات العلمية، وبنظرة سريعة إلى بعض الأرقام التي تخللت الحديث نجد أن نسبة العلماء والتقنيين إلى مجموع تعداد السكان في الدول الإسلامية لا يكاد يذكر إذا قورنت بنسبهم في الدول المتقدمة علمياً وتقنياً... إذ تتراوح هذه النسبة على سبيل المثال (٢٠) في المليون في بنجلاديش، (١٩٠٩) في المليون في مصر — بينما تتراوح عند غير المسلمين بين (٤٣٠٠) في المليون في أوروبا الغربية، (٨٢٠٠) في المليون في أوروبا الشرقية. وتبلغ متوسط تلك النسبة في الدول النامية بصفة عامة (١٠٠) في المليون.

وعلى ذلك يمكننا القول بأن تعليم المستقبل في الدول العربية والإسلامية يحتاج إلى تصور جديد مغزاه أن الإنفاق على التعليم ليس استهلاكاً إنما هو استثمار في رأس المال البشري، وأن العائد من الإنفاق عليه أكبر من عوائد الإنفاق في قطاعات أخرى — ذلك أن المعركة الحقيقية المستمرة والفاصلة اليوم هي معركة التعليم بعد أن سكتت أصوات المدافع وتوارى أصحابها وأصبحوا لا يُدعون إلى الظهور إلا في الأوقات الاستثنائية التي يغيب فيها الرشد وتهزم الفكرة وتنتصر الشهوة، ويرتكس الإنسان إلى حياة الغابة. ■

من أجل محبي المعرفة والباحثين



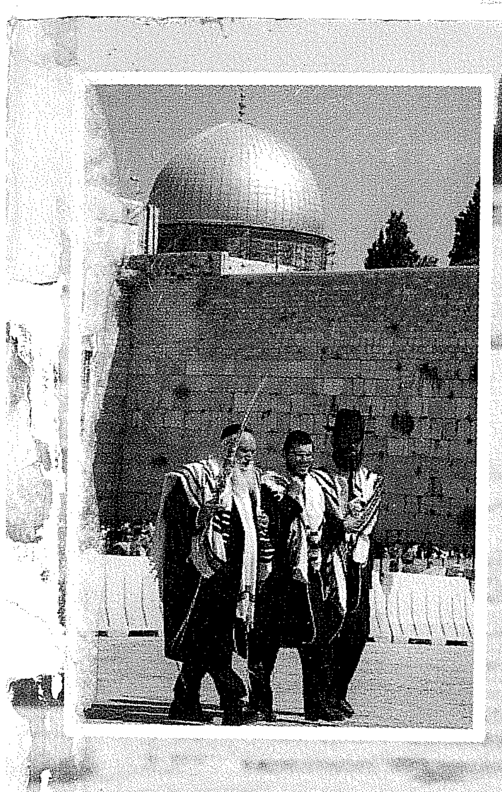
دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

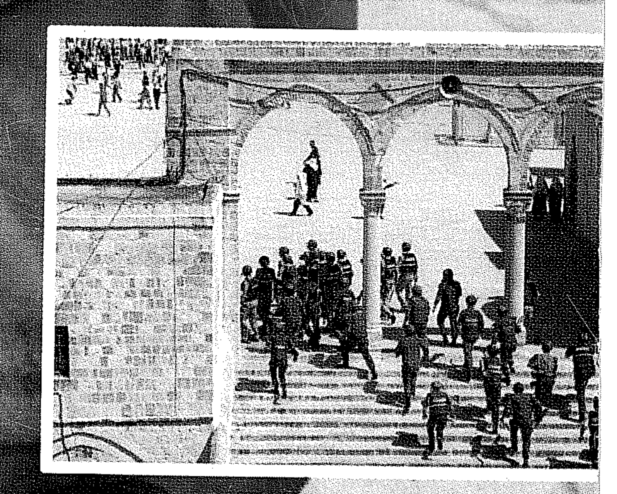
الكشاف العام
لمجلة الوعي الإسلامي

الجزء الأول

اصدار
مجلة الوعي الاسلامي
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

سبعة ملايين ونصف مليون نسخة صدرت من مجلة الوعي الإسلامي حتى اليوم





هذا ما فعله يهود